عوض عبد الهادي العطا

١٨٨١ ١٨٩٩

تاريخ كردفان السياسي في المهدية



المجلس القومي للآداب والفنون

نبذة عن حياة المؤلف

★ من مواليد قرية البار ـ بريفي مروي ـ المديرية الشمالية ٠

★ تخرج من كلية الآداب ـ قسم التاريخ ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم في عام ١٩٦٠ ٠

★ عمل مدرساً للتاريخ بالمدارس الثانوية العليا ٠

★ حصل على درجة الماجستير في التاريخ من جامعة الخرطوم عام ١٩٧١ ٠

★ انتدب للعمل في مشروع معجم الشخصيات السودانية بمعهد الدراسات الافريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم ٠



تاريخ كردفان السياسي

في المهدية

١٨٨١ — ١٨٩٩ م

عوض عبد الهادي العطا

الناشر
المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون
وزارة الثقافة والإعلام
جمهورية السودان الديموقراطية



الطبعة الاولى
١٩٧٣

الإهـــداء

الى والديَّ

الى والدي الذي كان يحثني ويشجعني بحســن توجيهاتــه وآماله وفي ذكراه العطرة •

الى والدتي على تقديرها واهتمامها •

اليهما أهدي هذا الجهد •

شكر وتقدير

يلزمني وقد انتهيت من اعداد هذا الكتاب ــ والذي كان في أصلهدراسة للحصول على درجة الماجستير فى الآداب من جامعة الخرطوم عام ١٩٧١ ــ أن أسجل شكري وتقديري للبروفسير يوسف فضل حسن مدير الدراسات الافريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم الذي أشرف على هذا البحث وتتبعه بعناية منذ ان كان فكرة ، وعلى مابذله معي من عناء وجهد وصبر وسعة صدر وعلى توجيهاته الموضوعية وافكاره البانية •

كما يلزمني أن أعبر عن امتناني للدكتور محمد ابراهيم ابو سليم مدير دار الوثائق المركزية على ما خصني به من الرأي الصائب والعون الصادق • وأقدم شكري للاخوة بدار الوثائق المركزية لمساعداتهم في تسهيل حصولي على الوثائق الخاصة بموضوعي وكذلك اخص بالشكر امين مكتبة السودان بجامعة الخرطوم ومساعديه للمساعدات التي بذلوها في تيسير حصولي على المراجع والكتب ، والى كل من ساعدني في الحصول على مادة البحث سواء الشفهية أو المكتوبة •

وأسجل تقديري لوزارة التربية التي اوفدتني للدراسة بجامعة الخرطوم والتي كان من ثمارها هذا الكتاب •

فللجميع شكري وتقديري •

المؤلف

خلاصة البحث

تمثل كردفان أهمية خاصة في تاريخ الثورة المهديــة ، ففيها ترعرعت الثورة ، وضحت قبائلها وسكانها في سبيل انجازها حتى انتصرت • وقــد اهتم الخليفة عبد الله بهذه المنطقة ونالت قسطا كبيرا من اهتمامــه • وعندما جعلها عمالة قائمة بذاتها أسندها الى أقرب الرجال اليه •

وقد شملت هذه الدراسة مقدمة من قسمين وستة فصول ، أوضحت في المقدمة جغرافية كردفان وسكانها ومدى الاختلاف بين التكوينــات القبلية من حيث البيئة ونمط الحياة ووسائل المعيشة ، وعرضت بايجاز تاريخ كردفان قبل عهد الخليفة مع عناية خاصة بفترة المهدي كمدخل لدراسة عهد الخليفة في كردفان ، وابراز معطيات المنطقة للثورة المهدية في معاركها ضد الحكم التركي من الناحية المادية والبشرية حتى تحقق لها الانتصار •

ثم تحدثت في الفصل الاول عن عمالة محمود عبد القادر عندما عينــه المهدي في قدير على جبال النوبا وعندما أصبح عاملا في كردفان واستمراره عليها حتى بعد وفاة المهدي ، وعمله في سبيل توطيد سيادة المهدية ، وتعرضت في هذا الفصل الى النظام الاداري في كردفان وارتبــاطه بنظام الدولــة في أم درمان •

وخصصت الفصل الثاني لمنطقة جبال النوبا التي عين المهدي حمدان ابي عنجة عاملا عليها لينشر المهدية بين سكان الجبال ، ولتوضيح ذلك اشرت الى الخدمات الدينية والاجتماعية التي قدمها حمدان في الجبال ، ثم الحمـلات العسكرية التي جردها في تلك المناطق لاخضاع المكوك والسكان أو لارغــام

المجموعات العربية التي تتوغل في أوساطهم على الهدوء وطاعة المهدية • ورأيت أن أفرد الفصل الثالث للصراع الذي حدث بين الخليفة وصالح فضل الله شيخ الكبابيش ، فقد كشف موقف صالح فضل الله وعصيانه للمهدية مدى التهديد الذي تتعرض له سلطة الخليفة من هذا الجانب ، لانفتاح الكبابيش على مصر وارتباطهم بحكامها مما جعل الخليفة يركز كثيرا من امكانياته العسكرية في كردفان وام درمان ودنقلا للقضاء على هذا الخطر •

واشتمل الفصل الرابع على سياسة التهجير التي أراد الخليفة تطبيقها على قبائل كردفان وكلف عثمان ادم بتنفيذها ، ولكن الخليفة واجه رد فعل عنيف لهذه السياسة ، فقد رفضت القبائل تنفيذها وهجرة اوطانها ، واضطر الخليفة لمواجهتهم •

أما الفصل الخامس فهو عبارة عن دراسة لعمالة محمود ود احمد في كردفان ، وهي مكملة لما جاء في الفصل الرابع لتنفيذ السياسة التي رسمها الخليفة لتهجير القبائل مع العناية بتركيز سلطة الخليفة في كردفان • وأوضحت أسلوب محمود في علاج المسائل السياسية المختلفة وفي مواجهة التحديات التي برزت خلال فترة عمالته ـ كتمرد الجهادية وحركة مزيل الضلال واخضاع المجموعات العربية وقبائل النوبا ـ لنظام الدولة •

وقسمت الفصل السادس وهو كردفان في أواخر عهد المهدية الى ثلاثة موضوعات ، الاول عن عمالة الختيم موسى وكيف تحمل عبء المنطقة في وقت ساءت فيه احوالها الاقتصادية وهجرها سكانها وضعفت حامياتها وازدادت مقاومة المعارضين من الداخل • والموضوع الثاني عن تعرض البلاد الى الغزو الخارجي وما لحق الخليفة من هزائم متكررة انتهت بهزيمته في كرري وانحيازه الى كردفان لمواصلة الجهاد ضد قوات الاحتلال وتنقله المستمر في انحائها ، والموضوع الثالث يشير الى نهاية الخليفة في منطقة جديد واحتلال كردفان واسدال الستار على فترة حكم المهدية •

المقدّمة

جغرافية كردفان وسكانها

يقع اقليم كردفان بين خطى طول ٩° ـ ١٦° شمالا ، وبين النيل وخط عرض ٣٠ر٢٧° ، وطوله حوالي ٤٠٠ ميلا وعرضه حوالي ٣٥٠ ميلا ، وتبلغ مساحته نحو ٥٠٠ر١٣٠ ميلا مربعا[١] .

وتمتد حدوده شمالا في الصحراء الكبرى من نقطة في الشمال الغربي قرب خط الطول ٣٠ر١٦° شمالا تقريبا[٢] ويستمر عبر هوباجي وآبار جبره حتى فتاشه فيقاطع خط الطول ٢٧ر١٥° من ناحيـة الضفة الغربية للنيـل الابيض[٣] ، وتصل حدود كردفان شرقا الى نقطة قرب الجبلين محازية النيل جنوبا حتى بحيرة نو . وأما الحدود الجنوبية فيكونها خط يبدأ من التقـاء بحيرة نو ببحر الجبل على امتداد طولي متعرج في اتجاه غربي . ومن ناحية الغرب يفصل كردفان عن دارفور سلسلة من الكثبان قرب تلال أم كداده حيث تضيف أم بادر وفوجا لكردفان ويستمر الخط الغربي في اتجاه جنوبي حتى بحر العرب[٤] .

---

(١) Anglo - Egyptian Sudan Handbook Series, II, **Kordofan and the Region to the West, (1912)**, P. 7.

(٢) March, G. F. « Kordofan Province » in **tothill, Agriculture in the Sudan, Oxford (1952)**. P. 829.

(٣) **Anglo - Egyptian Sudan Handbook Series**, II, P.7.

(٤) Gleichen, **The Anglo - Egyptian Sudan,** Vol. I, P. 337.

ويمكن تقسيم كردفان من الناحية الجغرافية الى ثلاثة أجزاء :

١ ـ النطاق الصحراوي :

ويقع شمال خط ١٤٫٣٠° شمالا وهو عبارة عن منطقة صحراوية[١] سكانه من الكواهلة والكبابيش والهواوير ، يتحركون حركة موسمية مرتبطة أساسا بالامطار نحو الجنوب[٢] وبعد التأكد من هطول الامطار ووجود العشب في الشمال تبدأ عندهم ما يعرف بحركة النشوق ، وعند انتهاء موسم الامطار يتجهون جنوبا الى مناطق الدمر حيث توجد مضاربهم في الصافية وأم بادر وغيرها .

أما في فصل الشتاء فيستفيد الكبابيش من المراعي الشتوية المسماة بالجزو وموقعها في الجزء الشمالي الغربي من كردفان وتمتد حتى شمال دارفور . وتنمو مراعي الجزو بطريقة غير منظمة بعد هبوب الرياح الشمالية الباردة في فصل الشتاء[٣] .

٢ ـ نطاق القوز :

ويقع هذا النطاق ما بين خطي طول ١١٫٢٠° ـ ١٤٫٣٠° شمالا وهو عبارة عن كثبان رملية تعطي شكلا متموجا وتسمى القوز ، وترجع أهميتها الى أنها غنية بأشجار الهشاب الذي يستخرج منه الصمغ[٤] وأهم مناطقه الابيض والطيارة وأم دم والنهود ، ويتخلل هذا النطاق قليل من المرتفعات الصخرية وتنمو حولها أشجار التبلدي الضخمة التي تحفظ فيها المياه في الفترة من

---

(١) March, « op. cit», in **tothill,** P. 831.

(٢) Talal Asad, **The Kababish Arabs,** (1970), P. 19.

(٣) Barbour, K. M. **The Republic of the Sudan,** P. 170.

(٤) March, « op. cit », in **tothill,** P. 832.

نوفمبر حتى يونيو[١] • وبهذا النطاق مناطق زراعية أخرى رعوية صالحة لرعي البقر أساسا[٢] وفي شمال هذا النطاق توجد أحواض في شمال غرب اقليم دار حامد قرب باره تسمى الخيران ، وهي منخفضات قاعها قريب من مستوى الماء الباطني اذ توجد المياه في عمق بين ١ الى ٣ أمتار[٣] حيث توجد بعض المزروعات وأهمها الخضروات والقمح كما يوجد النخيل والدوم • وسكان هذا النطاق من البقارة والبديرية ودار حامد وغيرهم •

٣ ـ النطاق الجنوبي :

ويقع هذا النطاق من خط عرض ٢٠ر١١° حتى حدود الجنوب وهو يتكون من تربة صلصالية يوجد بها مرتفعات جرانيتية هي مرتفعات جبال النوبا التي يصل ارتفاعها الى خمسة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر[٤]• وقطاع جبال النوبا بين خطي عرض ٢٩° ــ ٣٠ر٣١° شرقا وبين خطي طول ١٠ــ ٣٠ر١٢° شمالا ، ومساحته نحو ٣٠ ألف ميل مربع[٥] • وتختط هذا القطاع بعض الوديان التي تصلح فيها الزراعة • كما انه يمتاز بازدياد سقوط الامطار بالنسبة لما يحيط به من المناطق ، وتكون هذه الامطار مجاري مائية موسمية تنحدر في مختلف الاتجاهات اما المياه من الجبال الجنوبية فتجد طريقها الى بحر العرب[٦] • وقد ساعدت طبيعة المنطقة الجبلية على اعتصام السكان بها كما أصبحت موئلا للهاربين من الجهات الاخرى •

---

(١) **Anglo - Egyptian Sudan Handbook,** II, P. 9.

(٢) March, «op. cit», in **tothill,** P. 832.

(٣) Barbour, **op. cit,** P. 162.

(٤) Stevenson, R. C. **The Nuba people of Kordofan Province** (M. SC. Thesis 1965) P. 9.

(٥) Nadel, S. F. **The Nuba,** (1947) P. 1.

(٦) Ohrwalder, J. **Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp,** P. 4.

أما من حيث السكان فقد رأيت تقسيمهم الى أربعة مجموعات قبلية ، هي قبائل الأبالة ، والبقارة ، والنوبا ، ومجموعة أخرى ظلت تعمل برعي البقر ورعي الابل وأعمال أخرى كالزراعة والتجارة • وقد راعيت في هذا التقسيم البيئة ونمط الحياة وتخصصاتها المعيشية على النحو التالي :

آ ـ قبـائل الابـالة :

١ ـ الكبابيش :

يعيشون في المنطقة ما بين خطي طول ١٤° ـ ١٦° شمالا ، شمال كاجا وكاتول وتمتد شرقا حتى جبرة في شمال شرق ام درمان[١] ، وتبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي ٤٨ ألف ميل مربع[٢] ، ولكن الكبابيش يسرحون أحيانا حتى الصحراء الليبية ، ويسقون ابلهم في وادي الملك ، والمناهل المختلفة في جبره والصافية وغيرها ، وقد يصل بعضهم الى النيل في دنقلا •

وتنقسم قبيلة الكبابيش الى عدة فروع منها العطوية واولاد عقب واولاد عون والنوراب وغيرهم ، وقد عمل بعضهم في الزراعة كما عملوا في نقل البضائع من كردفان الى النيل ، وكانوا ينقلون الصمغ من الابيض الى الدبة وهو ما يزال لينا وفي الطريق يجف ويقل وزنه وحجمه ، ولكن المسئولين الاتراك كانوا يحاسبونهم على الوزن الذي استلموا به في الابيض وعليهم دفع الفرق ، فاحتجوا لدى الوالي التركي فزاد لهم أجرة الترحيل ، وأحيانا كانت الحكومة لا تدفع لهم استحقاقاتهم نقدا وتضطرهم الى أخذها عينا ، ولهذا السبب كانوا كثيرا ما يفضلون نقل بضائع الجلابة رغم ان الاخير أقل مما تدفعه الحكومة[٣] •

---

(١) Gleichen, **op. cit**, P. 179.

(٢) Talal Asad, **op. cit**, P. 11.

(٣) Pallme, I. , **Travels in Kordofan**, P. 141.

٢ ـ الكواهلة :

من القبائل العربية التي نزحت الى السودان في وقت مبكر ، واتجه بعضهم الى كردفان قبل العهد التركي بقليل[١] وأقاموا حول خط عرض ١٥° شمالا • وتقوم ثروتهم على الابل وما تبعها من الماشية ، وقد تضطرهم ظروف المرعى الى التوغل في أرض غيرهم كما يحدث في فصل الجفاف حيث يلجؤون الى منطقة الخيران حول بارة ثم ينزحون شمالا عندما تسقط الامطار فينزلون أراضي الكبابيش حيث يضطرون الى دفع أجر نظير حصولهم على المياه • وقد كثر اختلاط الكواهلة بغيرهم كما انتشر بعضهم بين قبائل النوبا •

٣ ـ الحمر Hamer :

الى عهد قريب كان موطنهم في دارفور بين قبائل برتي والبقارة في منطقة الطويشة ، ومن هناك نزحوا نحو كردفان في فترة بين ١٧٧٩ ـ ١٧٩٦[٢] وأقاموا بين خطي عرض ١٢° ـ ١٤° شمالا وتشمل مناطقهم ابي حراز وام سميحة وجبل ابي سنون وأم سديرة وجبل أبو عسل[٣] ، وينقسم الحمر الى ثلاثة فروع وهي العساكرة والدقاقيم والغريسية ، وهم يعتمدون أساسا على الابل ، فيتاجرون في بيع الجمال للجلابة والقبائل المجاورة ، وقد عمل بعضهم بالزراعة ما بين فوجا والطويشة • وتعتبر منطقة الحمر من أكثر مناطق كردفان تأثرا بالعطش ، وأغلب ريهم من النهود والاضية وأم بل •

---

(١) MacMichael, H. A. **A History of the Arabs in the Sudan,** Vol I, P. 324.

(٢) Henderson, H. A. Sudan Govt. Memorenda No 2, **A Note on the History of the Hamar tribe of western Kordofan** (1935) P. 17.

(٣) MacMichael, H. A. **The tribes of Northern & Central Kordofan** (1967) P. 20.

٤ ـ الهواوير :

وموطنهم في شمال كردفان من غرب وادي الملك الى صحراء بيوضة أو صحراء جبره ، فهم يجاورون الكبابيش من ناحية الشمال الشرقي ، ويلتقون سويا في طلب المرعى وحول مناهل المياه ، ويوجد منهم كثيرون في الابيض والرهد[١] كما ان منهم بيوتا في الاضية والنهود[٢] ، وهم يعملون في التجارة ونقل البضائع ، وفي عهد الخليفة عبد الله ساهموا في تقديم المساعدات من الجمال لحصار صالح فضل الله زعيم الكبابيش[٣] .

ب ـ قبائل البقارة في كردفان :

تعيش قبائل البقارة في جنوب كردفان ودارفور في اقليم يمتد غربا حتى بحيرة تشاد ، وجنوبا حتى اقاليم الدينكا والفرتيت ، والبقارة هم المجموعة الوحيدة التي تحتفظ بهذا الاسم كتعريف اصلي لها دون القبائل الاخرى حتى التي تحترف رعي البقر . وبسبب هذه الحرفة يضطر البقارة للتنقل جنوبا وشمالا حسب موسم الامطار خوفا من اثر الذبابة ، ولكنهم كانوا يقعون في قبضة الحكومة التركية حيث يضطرون لدفع الضريبة[٤] ، وفي عهد المهدية ساهموا في اشعال الثورة واشتركوا مع المهدي في حصار الابيض ، ولكنهم في عهد الخليفة واجهوا بعض الصعاب عندما رفضوا سياسة تهجيرهم الى الشمال . وينقسم البقارة في كردفان الى عدة قبائل أهمها :

---

(١) محمد عبد الرحيم ، **محاضرة عن العروبة في السودان** ، الطبعة الاولى ، ص ٢٠ .

(٢) عثمان حمد الله ، **كتاب التعارف والعشيرة** ، بيروت ، ص ٦٧ .

(٣) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٥٥٦ ص ١٨٨ ، ٥ ربيع ثاني ١٣٠٣ (يناير ١٨٨٦) من الخليفة احمد الى أحمد الصغير .

(٤) Pallme, **op. cit, P. 126 - 127**.

١ ـ المسيرية والحمر :

وهما في الاصل قبيلة واحدة ذات قسمين هم المسيرية الزرق والحمر ، والواقع في فترة هذا البحث كان المسيرية والحمر يشكلون قبيلتين منفصلتين لكل منهما دار •

أما المسيرية الزرق وموطنهم حول جبل السنوط والمفرع ، ويمر ببلادهم وادي الغلة[١] ومجراه من الشمال الى الجنوب الغربي • وينقسمون في كردفان الى أولاد أم سليم والغزايا والديراوي واولاد أبو نعمان واولادهيبان• وقد دخلوا في نزاع مع قبائل كردفان الاخرى بغرض التوسع •

وينقسم الحمر الى فرعين أساسيين الحمر العجايره والحمر الفلايتة[٢] ، وموطن الحمر بين البركة وشكا ولا يتجاوز خط عرض ١١° شمالا ومن مراكزهم الاضية وابي قلب ، وانتقالهم في الصيف ، الى الشمال والى الجنوب يساعدهم على الانتفاع بجميع المراعي ويجنبهم غائلة الذبابة في موسم المطر[٣] ، وفي فصل الدرت يقيمون في منطقة المجلد •

٢ ـ الهبانية :

ويقع اقليمهم بين بركة الرهد وشركيلة وجنوبا الى تقلي بين خطوط طولية١٥ر١٣° و٣٢° شرقا ، وبين خطي عرض ١٥ر١٢° ـ ٤٥ر١٢° شمالا[٤]، ويقولون انهم فرع من هبانية دارفور هاجروا في حوالي منتصف القرن الثامن عشر ، وقدر عددهم عام ١٨٧٦ م بنحو ٨ آلاف نسمة[٥] • وينقسمون

---

(١) MacMichael, Arabs, op. cit, P. 287.

(٢) MacMichael, Arabes, op. cit, P. 146.

(٣) محمد عوض محمد ، **السودان الشمالي ، سكانه وقبائله** ، ص ٢٣٧ .

(٤) Prout, H. G. **General report on the province of Kordofan,** (1877) P. 7.

(٥) Ibid.

الى فرعين هما الطارة والسوط ، ويلحق بكل من هذين الفرعين فروع أخرى[1] ، ويعيشون تقريبا على نمط من الحياة التي يعيشها أقرانهم من البقارة الآخرين سواء في تربية الابقار أو من حيث العادات والتقاليد .

٣ ـ الحوازمة :

وتقع منطقتهم الى الشرق من الدلنج وتمتد الى قرب كادوقلي ، جزؤها الشمالي الشرقي قاحل (قيزان) وبقية الاجزاء تصلح للزراعة وخاصة في جهات السنجكاية وأم علوان وغيرها ، كما تكثر بها أشجار الصمغ . والحوازمة رحل تقريبا اذ انهم يضطرون للنزوح في الصيف جنوبا الى حيث المرعى والماء ، اما الذين يعملون في الزراعة والتجارة فيقيمون بمنطقتهم على مدار السنة[2] ، وتنقسم القبيلة الى ثلاثة أقسام ، عبد العلي ، حلافة الروادقة ، ونسبة لتوغلهم في جبال النوبا فقد اختلط بعضهم بشعب النوبا حتى ان بعضهم يسمى اولاد نوبا[3] ، وبطون هذه القبيلة التي تعيش في كردفان هي دارتي ودار شلنقو ودار نجوتي ودار نعيلة واولاد غبوش[4] .

٤ ـ أولاد حميد :

وموطنهم حول تقلي ، ويقولون ان جدهم بابكر العباس من الجعليين الذين نزحوا الى كردفان في حوالي منتصف القرن الثامن عشر حيث أقام في منطقة بين الرهد وشركيلة وفي جنوب غرب تقلي ، وفي تلك المنطقة تنازعوا مع الهبانية وجانب من الحوازمة قبيل المهدية ، وعند اندلاع الثورة المهدية

---

(١) MacMichael, Arabs I, op. cit, P. 280.

(٢) عبد الفتاح القباني ، « القبائل المستوطنة بجبال النوبة » ، **المجلس** ، ٩٤ ، يوليو ١٩٥٩ ، ص ١١ .

(٣) محمد عوض محمد ، **السودان الشمالي** ، ص ٢٣٧ .

(٤) عبد الفتاح القباني ، « المصدر السابق » ، ص ١١ .

حاولوا مقاومتها ولكنهم فقدوا كثيراً من رجالهم المحاربين فاضطروا الى تأييدها والانضمام اليها[1] .

وفي كردفان اختلطوا ببعض القبائل الاخرى ، كما تداخلوا في قبائل النوبا من حيث ساعد ذلك على تسرب بعض الدماء النوبية اليهم[2] .

٥ ـ بني سليم :

وينقسمون الى فرعين هما أم طريف واولاد محبوب ، ويعيشون غرب النيل الابيض في منطقة تمتد جنوبا حتى كاكا ، شمال منطقة الشلك والدينكا وجنوب الاحامدة[3] وحرفتهم الرئيسية رعي البقر ، وفي الفصل المطير يتحركون شمالا أو شرقا قرب النهر هربا من اثر الذبابة ، وقد لجأ بعضهم الى تربية الضأن واكثروا منه لنزوحهم نحو النهر ، وقد ساندوا المهدية في بداية أمرها وهاجر بعضهم ضمن قوات المهدي للجهاد .

ج ـ قبائل النوبا :

وهم مجموعات متعددة يبلغ عددها حوالي ٥٠ قبيلة أو وحدة قبلية ، وقد يبلغ عدد افراد القبيلة الكبيرة مثل المورو Moro والاتورو Otoro ما بين ٢٠ الى ٤٠ الف بينما تقل النسبة في بعض القبائل فتصل الى الف نسمة أو أقل[4] .

وتذكر المصادر ان أسلاف النوبا كانوا يقطنون اجزاء كبيرة من كردفان ما عدا الاجزاء الصحراوية في الشمال ، ونسبة لتعرض كردفان لهجمات

---

(١) **Anglo - Egyptian Handbook Series, Kordofan**, II, P. 3.

(٢) محمد عوض محمد ، **السودان الشمالي** ، ص ٢٣٦ .

(٣) MacMichael, Arabs, **op. cit**, P. 276.

(٤) Nadel, **op. cit**, P.2.

القبائل التي تحكم شواطىء النيل ، وتعرض المنطقة ايضا الى نزوح القبائل العربية انحسرت هذه القبائل الى منطقة الجبال[1] حيث وجدت فيها الحماية الطبيعية ، وتمكنت من تذليل صعابها من حيث الحصول على الغذاء وغيره .

وتمتاز قبائل النوبا بتعدد اللغات واللهجات حتى لقد قيل ان عدد اللغات بين النوبا يعادل عدد الجبال ولكن بعض الباحثين قسموا قبائل النوبا الى عشرة وحدات لغوية[2] .

وقد تأثرت مناطق النوبا وخاصة الشمالية مثل الدلنج وكادرو بالمؤثرات العربية والاسلامية وتتناقص هذه المؤثرات كلما اتجهنا جنوبا[3] ، وفي فترة المهدية تأسست المساجد في بعض الجبال وغرست العادات والتقاليد العربية في وسط قبائل النوبا ، وكان المهدي نفسه قد مهد لبناء المجتمع الذي ينشده باقامة مجتمع نموذجي له في جبل قدير ، كما ان القبائل العربية ظلت تلجأ الى هذه الجبال للحماية بها من نظام المهدية فيما بعد ، بينما ظلت غالبية النوبا على الوثنية . وتقوم حياة النوبا الاقتصادية على الزراعة ، في المدرجات الجبلية التي يقيمونها لمنع انجراف التربة ، حيث يعتمدون في الزراعة على المطر ولكن في بعض الاحيان يعتمدون على الري في قطع الاراضي الصغيرة المجاورة لبعض الينابيع أو الآبار أو الجداول[4] . ولهم من الحرف الاخرى الرعي كما يقومون ببعض الصناعات البسيطة كصناعة الفخار . وجبال النوبا من المناطق التي تعرضت الى هجمات تجار الرقيق في كردفان ، اذ كانت من المناطق الثرية التي يلجأ اليها هؤلاء التجار للحصول على الرقيق ، وكان النوبا يقاسون كثيرا في مقاومة هؤلاء التجار ، ولكن

---

(١) محمد عوض محمد ، **الشعوب والسلالات الافريقية** ، ص ٢٠٤ .

(٢) Stevenson, **op. cit**, P. 13 - 14.

(٣) محمد عوض محمد ، **الشعوب والسلالات الافريقية** ، ص ٢٠٢ .

(٤) محمد عوض محمد ، **الشعوب والسلالات الافريقية** ، ص ٢٠٩ .

وجد من بين النوبا انفسهم من تحالف مع تجار الرقيق وبدأوا يمهدون لهم للحصول على حاجتهم من الرقيق من الداخل .

د ـ قبائل أخرى :

وليس لهذه المجموعة صفة محددة فهي ترعى الابل كما ترعى البقر ، ونعمل في الزراعة وفي التجارة ، ولذلك رأيت وضعها منفصلة وأهمها :

١ ـ الجوامعة :

يقع اقليم الجوامعة في كردفان في قطاع مستطيل شمال وجنوب شرق الابيض وهم قسمين في كردفان ، الحمران ، والجميعية[١] ، وقد تكاثر عددهم وأصبح لهم ثروة بفضل استفادتهم من غابات الصمغ[٢] ، وعند ظهور المهدي كانوا من مناصريه واشتركوا في بعض وقائع المهدية بكردفان ، كما ان المهدي كان قد كلف زعيمهم المنا اسماعيل بحصار بارة حيث تمكن من اخضاعها . وقد نقص تعدادهم حتى قيل انه لم يبق من الجوامعة في ظل المهدية سوى السدس من أصل تعدادهم بكردفان[٣] . وكان بدارهم مراكز تجارية معروفة في المهدية مثل أم ضفيرة وام دم ، كما كان بمنطقتهم معاصر المزيت على عهد الخليفة عبد الله .

٢ ـ البديرية :

وموطنهم الاصلي على النيل شمال أرض الشايقية وجنوب الجوابرة ، وفي أوائل القرن الرابع عشر هاجر بعضهم الى كردفان ، واقاموا حول الابيض ومارسوا الزراعة والتجارة والرعي ، وعند نشوب الثورة المهدية

---

(١) MacMichael, Arabs I, op. cit, P. 226.

(٢) محمد عوض محمد ، **السودان الشمالي** : ص ٢٠٤ .

(٣) MacMicael, Arabs I, op. cit, p. 225.

انضموا اليها وظهر من زعمائهم حينذاك عبد الصمد بن صفية الـذي اشترك بفرقته في وقائع المهدية بكردفان[1] .

٣ ـ الغديـات :

أقاموا في البداية عند جبل كردفان بعد ان طردوا النوبا منه ، وعندمـا استطاع الفونج اخضاع المناطق بين الابيض والداير اقاموا عليها حاكما من الغديات[2] ، وقد تداخلوا في قبائل النوبا الشماليين حتى ضاعت كثير من الفوارق بينهم . وفي عهد المهدية كان لهم فصيلة من ابنائهم اشتركت فـي حصار الابيض يقودهم اسماعيل الدلندوك ودكنونة .

٤ ـ وهناك من قبائل كردفان ما كان يعرف بقبيلة فزاره ، وقد كانت خليطا من المجموعات العربية[3] ، التي تضم أكبر مجموعة من رعاة الابل في كردفان ، وظلت كذلك حتى عهد المهدية .

ومن هذه المجموعات قبائل دار حامد وأهم مراكزهم بارة ومن فروعهم الجليدات والمجانين والمرامرة[4] والفراحنة والهبابين ، وهم يرعون الابل والبقر ويزرعون في بعض الاماكن ذات التربة الطينية التي تحتفظ بالماء ، واكبـر هذه المناطق في دار هبابين وهنا تروي جميع دار حامد ابقارها اما الابل فتروى في مشرع العاديك والبشيري بأرض الفراحنة وايضا في أم بادر بـدار الكبابيش[5] .

وهناك أيضا بني جرار في جنوب خورسي ، وقد لعبوا دورا في فترة

---

(١) Holt, P. M. **The Mahdist State in the Sudan,** (1958) P. 51.

(٢) MacMichael, Arabs, I, **op. cit,** P. 205.

(٣) Yusuf Fadl Hasan, **The Arabs & The Sudan** (1967), P. 166

(٤) نعوم شقير ، **جغرافية وتاريخ السودان** ، (بيروت ١٩٦٧) ص ٧١ .

(٥) عبد الغفار محمد احمد ، « تمساح ام بده » **الخرطوم** ، (اكتوبـر ١٩٦٨) ، ص ١٦٣

المهدية ، ومن أقسامهم المحابيب والجبارات[1] .

أما البزعة فهي قبيلة قليلة العدد لهم صلة ببني جرار ، يعملون في اقليم الصمغ بشرق كردفان وفي جنوب أم دم وقليل منهم يرعى الابل في غرب كردفان[2] .

وهناك الشنابلة واكثرهم في كردفان رعاة ابل ، وليس لهم شأن سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية . وفي كردفان ايضا تعيش شعبة من المعاليا الى القرب من دار حامد وفي النهود والابيض والدلنج وأم روابه ، وهم يعملون في حرف مختلفة منها رعي البقر ورعي الابل .

أما الزيادية فهم قبيلة صغيرة هاجرت حديثا الى كردفان وليس لها وزن وسط القبائل الكبيرة سوى انها تقيم ، ويعمل بعضهم برعي الابل بالقرب من دار حامد[3] .

كردفان قبل عهد الخليفة عبد الله

لقد أصبحت كردفان[4] بسبب موقعها الجغرافي بين النيل من جهة ودارفور من جهة أخرى حلقة وصل بين الجهتين وصارت مطمع القوى السياسية المتنافسة وبالذات بين الفونج في سنار والمسبعات الذين سعوا لخلق

---

(1) MacMichael, Tribes, op. cit, P. 212.

(2) محمد عوض محمد ، **السودان الشمالي** ، ص ٢٢٢ .

(3) محمد عوض ، **السودان الشمالي** ، ص ٢٢١ .

(4) كانت كلمة كردفان ترمز في البداية الى جبل كردفان الذي يقع بين خطي ٠٤ر١٣°٥ و ٢١ر٠٣°٥ شرقا بالقرب من منطقة العين ، وهو اصطلاح اخذ عن قول الاهالي (كلد فار) أي يغلي وكلد هذا آخر ملوك النوبا الذين احتلت منهم قبيلة الغديات جبل كردفان ، وكان من عادة هؤلاء التنقل خلف المرعى والماء فوجد بذلك اسم كردفان شيوعا بين سائر السكان حتى صار يغلب على بقية المناطق (راجع Pallme, P. 11 ومحمد ود ضيف الله ، **كتاب الطبقات** ، تحقيق يوسف فضل حسن تحت الطبع ص **٧١**) .

مملكة لهم في كردفان[1] وملوك الفور في دارفور ، وقد أدى هذا الصراع السياسي الى عدم وجود وحدة سياسية تشمل المنطقة كلها ، ففي الوقت الذي كانت هناك أجزاء من كردفان وجبال النوبا[2] تخضع لمملكة تقلي التي نشأت في حوالي عام ١٥٣٠ كنتاج للمؤثرات الاسلامية والعربية في جبال النوبا ظلت أجزاء أخرى تتأرجح في ولائها بين الفونج والمسبعات والفور حتى تم للفور السيطرة عليها • بل ان حاكم كردفان عند الفتح التركي عام ١٨٢١ كان يحكم من قبل سلطان دارفور[3] •

وعندما تعرض السودان عام ١٨٢٠/١٨٢١ م الى حملة الفتح التركي بقيادة اسماعيل بن محمد علي اتجه جزء رئيسي منها الى كردفان بقيادة الدفتردار • وكان محمد علي يعوّل كثيرا على هذه الحملة للحصول على الرقيق وغيره • وقد استطاع الدفتردار هزيمة جيش المقدوم مسلم حاكم كردفان في واقعة بارة ، حوالي صفر ١٢٣٧ ، اكتوبر ١٨٢١ ، ومن ثم طلب منه محمد علي أن يعمل على تنظيم حكم المنطقة والاهتمام بموضوع الرقيق ، (•••• لما كانت الغاية المرجوة من هذا كله منحصرة في جلب العبيد بكثرة ووفرة فان مقصودنا ان تدبروا هذا الامر على الوجه الذي تقتضيه غيرتكم •••)[4] ، وفي أيام قليلة سيطر الدفتردار على الابيض وأجزاء كبيرة من كردفان ، وقسم المنطقة الى خمسة أقسام ادارية هي خورسي وبارة وكشعر وابو حراز وديرا ، بينما بقيت منطقة البقارة والنوبا خارج هذا التقسيم ، ولذلك كانت الحكومة تلاحقهم للحصول على الضرائب المقررة

---

(١) محمد بن عمر التونسي ، **تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان،** تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد (١٩٦٥) ص ٨٤ .

(٢) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ٥٠٦ .

(٣) Elles, R. J. « The Kingdom of Tagalli » **S. N. R.** XVIII Part I (1935), P. 15.

(٤) محفظة ١/١٤٧ دفتر ١٠ معيه تركي رقم ٢٢ (القلعة) ٣ صفر ١٢٣٧، ٢٠ اكتوبر ١٨٢١ ، من الجناب العالي الى الدفتردار .

عليهم[1] . ثم بدأ الدفتردار حكما ارهابيا طاغيا منذ البداية ، فعندما لا يستطيع الاهالي دفع الضريبة المطلوبة نقدا أو عينا من الحبوب أو من القطعان تؤخذ منهم رقيقا ، وفي نفس الوقت بدأت غارات حكومية منتظمة لاصطياد الرقيق من جبال النوبا ، وبجانب ذلك كانت الحكومة المصرية تكلف مندوبيها في اسوان وفي السودان بجلب البقر والجمال من كردفان وترغيب التجار بشراء البقر والجمال أيضا من كردفان[2] لبيعها في مصر ، كما كانت تستورد الصمغ من كردفان بكميات كبيرة ، فقد قام رستم بك مثلا حاكم كردفان بشراء صمغ بمبلغ ٢٥ الف قرش وارسله الى مصر بالطريق البري[3]، واهتمت الحكومة المصرية بتأمين الطريق بين كردفان ومصر عبر الصحراء ليساعد ذلك في المحافظة على وصول البضائع التجارية سليمة[4] ، كما اهتمت بالتنقيب عن المعادن ، وخاصة الحديد ، ولذا أرسلت اعدادا من العمال المهرة لاستخراجه وبناء المصاهر وأرسلت بعض الخبراء من انجلترا للمساعدة في اكتشاف تلك المعادن [5] ، وخلاصة القول ان كردفان كانت منطقة ذات أهمية لانها غنية بثروتها الحيوانية والبشرية ، وظلت تجارتها على مدار قرون مضت منتعشة ، ومنفتحة على العالم الخارجي ، فقد كانت صلاتها وطيدة بمصر وشمال افريقيا وغربها ، كما كانت أسواقها تمتلىء بالبضائع الاجنبية من ارباح وملايس ووصلتها ايضا البضائع من اوربا ومن الهند .

---

(١) Pallme, **op. cit.** P. 2.

(٢) محفظة ٢٤ معيه تركي رقم ٣٣٤ (القلعة) أول ذي القعدة ١٢٤١ ، ٧ يونيو ١٨٢٦ ، من الجناب العالي الى مأمور نظام اسنا .

(٣) محفظة ٧٦٦ خديوي تركي رقم ١٩٦ ص ٨٤ (القلعة) ٢٥ رمضان ١٢٤٥ ، ٢٠ مارس ١٨٣٠ .

(٤) محفظة ٥٥٨ معيه تركي ص ١١ رقم ١٢ (القلعة) ٢٣ رجب ١٢٨٣ ، ٣٠ نوفمبر ١٨٦٦ .

(٥)) محفظة ٣٨ معية تركي رقم ٢٣ (القلعة) ٢٣ ربيع اول ١٢٤٥ ، ٢٢ سبتمبر ١٨٢٩ .

ميلاد الثورة المهدية

اتفقت المصادر على ان المهدي فطر على حب الدين وتشبع برغبة في رفع لواء الاسلام ، واطلع على فكرة المهدي المنتظر وظل يرقب ظهوره بحسبانه وسيلة تغيير واصلاح لحال المسلمين ، فبحث عن صفاته وعلاماته واسراره ، ثم تقمص هذه الفكرة واتجه الى الدعوة لها سرا في أول شعبان ١٢٩٨ هـ ، ٢٩ يونيو ١٨٨١[١] الى خاصته وبعض الشخصيات التي وثق بها فدعاهم الى مقاومة الظلم والثورة على الفساد والجهاد في سبيل الله[٢] ضد الحكم التركي القائم في البلاد . ثم لم يلبث أن أصدر منشوراته علنا (... وإني لا أعلم بهذا الأمر حتى هجم علي من الله ورسوله ... ولما تكاثرت منه الأوامر والبشائر لي في هذا المعنى امتثلت قياما بأمر الله وقد كنت قبل ذلك ساع في احياء الدين وتقويم السنة ...)[٣] .

وقد علمت الحكومة التركية في الخرطوم بأمر المهدي ، وتأكد لديها أنه مصرّ على أمره ، فأرسل رؤوف باشا ـ الحكمدار حينذاك ـ يستدعيه، ولما رفض أوفد اليه قوة عسكرية ، وانتهى الأمر بنشوب معركة أبا في ١٦ رمضان ١٢٩٨ هـ ، ١٢ أغسطس ١٨٨١ م[٤] ، التي انتصر فيها المهدي ، وكان ذلك بمثابة انبثاق الثورة وتفجيرها مما كان له صدى وبعدا كبيرا ، فقد رفع الانتصار من الروح المعنوية للمهدي وأتباعه ، واعتبرها أنصاره

---

(١) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٦٤٤ .

(٢) اسماعيل بن عبد القادر الكردفاني ، **سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي** ، تحقيق محمد ابراهيم ابو سليم ، (بيروت ١٩٧٢) ص ٩٣ .

(٣) محمد ابراهيم ابو سليم ، **منشورات المهدية** ، تحقيق (بيروت ١٩٦٩) ص ٢١ .

(٤) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٦٥٣ .

معجزة من معجزاته واحدى كراماته ، كما شبهت بوقعة بدر الكبرى من حيث عدد المحاربين وظروف المعركة والعتاد وتاريخ وقوعها •

وبعد هذا الانتصار مباشرة قرر المهدي الخروج من الجزيرة ابا لانه توقع ان الحكومة ستلجأ الى عمل عسكري وحاسم ، ولان الجـزيرة اصبحت لا تصلح كمركز استراتيجي لدعوته ، ولان الهجرة أمر من صميم الدعوة ، ولما كان المهدي يقتدي بسنة الرسول أشاع ان الرسول أمره بالهجرة الى مكان يكون فيه قوام الدين ووعده بالنصر والظفر[1] ، ومن ثم كانت الهجرة الى جبل قدير •

هجرة المهدي الى كردفان :

تجول المهدي في كثير من بقاع السـودان ، وفطـن الى بواعث سخط الجماهير ، ولاحظ استياء الناس من الحكومة ورغبتهم في التخلص منها[2]• وكان المهدي قد زار ضمن زياراته لبقاع السودان ـ منطقة كردفان ، وقد زارها مرتين وتعرف على شخصياتها الاجتماعية والدينية ، وزار في كردفان مناطق تقلي والابيض وغيرها ودخل في مناظرات فكرية مع رجالها ، فقد ناظره مجلس من علماء تقلي وهم القاضي ميرغني والعالم طه ، والشيخ دفع الله ود بقوي ولم يقتنعوا بآرائه حينذاك[3] ، ويبدو ان زيارته الاخيرة جاءت قبيل اصدار منشوراته السرية بقليل اذ انه بعد رجوعه من كردفان بدأ على الفور في تحرير خطاباته الصريحة الى رجال الدين[4] •

---

(١) محمد ابراهيم ابو سليم ، **منشورات المهدية** ، راجع المقدمة ص هـ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) عبد الله علي ابراهيم ، **الصراع بين المهدي والعلماء** ، (١٩٦٦) ، ص ١٥ حاشـية .

(٤) مكي شبيكة ، **السودان في قرن** ، (القاهرة ١٩٦١) ، ص ١٤١ .

وقد وجد المهدي الجو مهيئا له في كردفان لكي ينفذ مخططاته ، فقد شعر بتعطش الناس الى أفكاره ورغبتهم في حملها والالتزام بها[1] • وكان يعمل لبناء مجتمع ديني يأخذ مقوماته من المجتمع الذي اقامه الرسول وصحابته، علي أن يكرس جهده في بادىء الامر على بناء نواة لهذا المجتمع في منطقة نائية ومن ثم جاءت زيارته لكردفان[2] ، حيث لمس التصدع الذي أصاب مجتمع كردفان من الناحية الاخلاقية والسياسية ، فقد كان الصراع يقوم حول السلطة بين ذوي النفوذ من زعماء القبائل وكبار التجار ، من ذلك مثلا الخلاف الذي حدث بين الياس باشا أم برير ، حين كان مديرا لكردفان وأحمد بك دفع الله ، أحد التجار الكبار ، وكيف أن أحمد بك أوغر صدر علي كنونة شيخ الغديات واستعداه على الياس حتى نشبت الحرب بينهما وتمكن في البداية من هزيمة الياس باشا ولكنه هزم في حرب ثانية عندما ساعدت الحكومة الياس باشا[3] •

كما لمس المهدي تلك الحياة البائسة التي يعيشها المجتمع الكردفاني تحت نير الحكم التركي الذي مافتىء يثقله بالضرائب والاتاوات رغم سوء الحال ويتبع أبشع الاساليب والوسائل في تحصيلها منهم ، فترسبت في نفوسهم روح الغضب والكراهية لذلك الحكم ، وكانت هذه ارهاصات الثورة ، يقول يوسف ميخائيل ــ وهو يعرض لنا صورة المجتمع والحياة في كردفان قبيل الثورة المهدية ــ (•••• صار أغلب الناس من رجال ونساء يقولون ليس لنا مهدي ما قالوا هذا أوان نزول المهدي •••)[4] وتوضح هذه الصورة

---

(1) مهدية ٩/٨ ، يوسف ميخائيل ، **غردون والسودان** (نسخة مصورة) ص ٢٠ •

(2) محمد ابراهيم ابو سليم ، **الحركة الفكرية في المهدية** ، قسم التاليف والنشر جامعة الخرطوم (١٩٧٠) ص ١٧ •

(3) يوسف ميخائيل ، **المصدر السابق** ، ص ٥ •

(4) يوسف ميخائيل ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣ •

ان المجتمع الكردفاني كان يتطلع الى القيادة الجديدة التي يمكنها قيادة الناس ضد الظلم والطغيان وضد الحكم التركي •

والواقع ان فكرة المهدية نفسها قد وجدت تربة خصبة للانتشار في منطقة الغرب ، فقد بشرت حركة عثمان دان فوديو في مناطق تشاد والنيجر بأن المهدي المنتظر سيظهر بالمشرق في الحجاز أو في وادي النيل وان علامات ظهوره الجفاف والمجاعات والمنازعات الاهلية والاضطرابات العامة في المغرب وغرب السودان[١] •

وقد انتشرت هذه الاقوال انتشارا واسعا وصارت معتقدا عاما حتى أدت الى هجرة اعداد كبيرة من امبراطورية سكوتو الى السودان والحجاز[٢] ، ولعل هجرة جد الخليفة عبد الله الى السودان الغربي كانت نتيجة لسماعه لتلك الاخبار ، كما يوضح موقف الخليفة عبد الله من الزبير باشا تغلغل مسألة ظهور المهدي في فكر الوافدين من تلك المناطق ، وذلك عندما التقى عبد الله بالزبير باشا وكتب اليه يقول : (••• لقد رأيت في المنام انك المهدي المنتظر وأنا أحد تلاميذك فأخبرني اذا كنت مهدي العصر فاني سأتبعك •••)[٣] • ولكن الزبير باشا رفض ذلك ، والمعروف ان المهدي نفسه لم يعلن مهديته الا بعدما التقى بعبد الله في المسلمية[٤] •

اذن من هذا يتضح ان منطقة كردفان كانت منطقة لتلاقح افكار المهدية وانها ترسبت في نفوس الاهالي هناك ، وشعر المهدي ، بقبول الناس لافكاره ،

---

(١) Saburi Biobaku and Mohammed Ali Al Hajj, « The Sudanese Mahdiyya and the Niger - Chad Region », in I. M. Lewis, **Islam in tropical Africa,** (1966), P. 428.

(٢) محمد ابراهيم ابو سليم ، **الحركة الفكرية في المهدية** ، ص ٤ .

(٣) Saburi Biobaku and Mohammed Ali Al - Hajj, « op. cit, in Lewis, P. 432.

(٤) Ibid.

فساعده ذلك المناخ الصالح لاتخاذ كردفان مجالا لبث دعوته واعلانها ٠

وبجانب هذا فان هناك عوامل أخرى وضعت في الاعتبار عند الهجرة الى كردفان ، من ذلك ان كردفان ــ ومنطقة قدير خاصة ــ اكثر ملاءمة من غيرها من الناحية الجغرافية ،فهي منطقة جبلية كثيرة الوعورة والمرتفعات ، وبعيدة عن متناول السلطة المركزية في الخرطوم ، كذلك صعوبة المواصلات وخصوصا في موسم الامطار ، كما ان منطقة كردفان من أكثر المناطق التي حاق بها الحيف والظلم والمشقة من الحكم التركي[١] ٠ هذا فضلا عن ان منطقة جبال النوبا قد قاست من غزوات الحكومة التركية لصيد الرقيق ، فقد كانت قوافل الصيد تتكون من مجموعة ضخمة من الجنود النظاميين وغير النظاميين بمعدل مرة أو اثنين في العام ، بالرغم من ان سكان الجبال كانوا يدافعون عن حريتهم باقصى ما يستطيعون ويفضلون الموت من ملاقاة هذا المصير المظلم[٢] ، ولذلك اتسمت تلك المنطقة بظاهرة التمرد والعصيان٠

وبالاضافة الى كل ذلك فان فكرة المهدية ــ كثورة ضد الظلم والطغيان وجبروت الحكام ــ فكرة يتوقع انتشارها وسط القبائل الغيرة الساخطة ، وان كردفان عموما وجبال النوبا على وجه الخصوص قد تكون اكثر خصوبة لانتشار هذه الفكرة وتأييدها ومناصرتها ٠

ومن اجل ذلك استطاع المهدي ان يقرر سلامة اختياره لكردفان ولمنطقة قدير كمركز استراتيجي لبناء المجتمع الذي ينوي اقامته ، ومن ثم ترتب على هجرة المهدي الى قدير ان تحول مركز الاحداث الى كردفان حيث زادت اهمية تلك المنطقة في حين قلت أهمية المناطق النيلية[٣] ٠

---

(١) Pallme, **op. cit**, P. 17.

(٢) Pallme, **op. cit**, P. 320.

(٣) محمد ابراهيم ابو سليم ، **الحركة الفكرية فى المهدية** ، ص ٢١ ٠

وقد كان للهجرة موقعها من الناحية العقائدية ذلك لان بعض الاقوال الواردة عن المهدي المنتظر تذهب الى انه يظهر في جبل ماسا بالمغرب ، وقد زعم المهدي انه بجبل قدير جبل يسمى ماسا[١] .

انتصار المهدية في كردفان :

لم يجد المهدي صعوبة في اقناع ذويه بالهجرة الى (رباط الدعوة) ، فالهجرة في مضمونها تقليد لمسلك الرسول وتأكيد بأن مهدية محمد احمد احياء لعهد الرسول وبعث للدين الخالص[٢] ، ولذا دعا أنصاره الى الهجرة فهو يربط مفهوم المهدية ومكان ظهورها بعامل الهجرة ويقنع اصحابه بانه مهاجر الى ذي القدرة التامة التي لا يعجزها شيء لاظهار قدرته[٣] .

ومن ثم خرج المهدي من أبا في ٢٢ أغسطس ١٨٨١ م وسار متنقلا عبر مناهل عدة حتى وصل رباط دعوته في قدير في ٧ ذي الحجة ١٢٩٨ ، ٣١ اكتوبر ١٨٨١ حيث وجد ترحيبا من الملك ناصر ملك جبل قدير .

ورأى المهدي بعد ذلك ضرورة فرض ارادته على المنطقة وتنظيفها من الجيوب المعادية لحركته[٤] ، وبدأ يعمل لبناء نموذج للمجتمع الاسلامي في قدير فبنى المسجد والمنازل لسكن اتباعه وقام باصدار عدة منشورات . ولم يكن المهدي يتوقع استقراراً مع السلطة القائمة اذ لم يلبث أن واجه حملة

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٢ (وتذهب بعض الروايات الشفهية ان ماسا حجر صغير بجبل قدير وان عليه آثار مباركة من الرسول . ومثل هذه الفكرة التي تقول بأن آثار الرسول تركت على جبل معين موجودة في انحاء كثيرة في السودان ، وهناك بعض الجبال تعد مزارات للناس للتبرك فيها) .

(٢) Holt, **The Mahdist State**, P. 48.

(٣) الكردفاني ، **المصدر السابق** ، ص ١٤٠ .

(٤) الشاطر بصيلي عبد الجليل ، **معالم تاريخ سودان وادي النيل** ، (القاهرة ١٩٥٥) ص ١٩ .

بقيادة راشد أيمن حاكم فاشودة ، ولكن المهـدي تمكن من هزيمتـه في ١٦ محرم ١٢٩٩ ، ٩ ديسمبر١٨٨١ م[١] رغم قوة جيشه وعنصر المفاجأة التي حاول مباغتة المهدي بها ، فأضافت رصيدا آخر من الخوارق والمعجزات التي حققها المهدي فضلا عن حصوله على مزيد من الاسلحة والعتاد مما تركـه جيش راشد[٢] •

وقد ذعر رؤوف من انتصارات المهدي المتكررة ، ورأى أن امكانياتـه المحلية لن تفي بعدئذ بمجرد المقاومة فتقدم فورا يلتمس من القاهرة ارسال قوات اضافية للخرطوم • ولكن القاهرة رأت ان انتصارات المهدي مردهـا عدم كفاءة الحكمدار العسكرية ولذا استدعته وعينت مكانه عبد القادر باشا حلمي في مارس ١٨٨٢ م لحنكته العسكرية وخبرته بشئون السودان[٣] •

وفي هذه الاثناء نشطت اتصالات المهدي بزعماء ومشائخ كردفان فكاتب الملك ادم مك جبال تقلي والياس علي كنونة شيخ الغديات[٤] وعسـاكر أبي كلام وغيرهم •

ولكن جيقلر باشا الذي تولى منصب الحكمدارية بالانابة قبل وصول عبد القادر باشا رأى أن يقوم بعمل عسكري يقضي به على ثورة المهدي ، فجمع كل القوات الباقية في السودان في النيل الابيض التي بلغ تعدادها أكثر من ستة آلاف من الجنود واوكل قيادتها الى يوسف باشا الشلالي يساعده في القيادة عبد الله دفع الله وعبد الهادي صبر من كبار تجار الابيض[٥] •

---

(١) Holt, **The Mahdist State**, P. 48.

(٢) Holt, **The Mahdist State**, P. 49.

(٣) Ibid.

(٤) مهدية ٩/٨ ، **المصدر السابق** ، ص ٣١ .

(٥) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٦٦١ .

وفي شهر مايو ١٨٨٢ تحرك جيش الشلالي من الكوة قاصدا قدير عن طريق فاشودة ، وكان المهدي قد سمع بخبر هذه الحملة فاستعد لها ، وبدأ الشلالي بمناقشة المهدي في أمر دعوته وانه غير محق فيها ، ورد عليه المهدي مؤكدا صحة دعوته وحقيقتها وانه ولي الامر الذي تجب طاعته .

وكان الشلالي واثقا من سحق المهدي ، فبلغ به الغرور أن أعدم رسل المهدي اليه بالرغم من أن طليعة المهدي قابلت مصيرها بكل رباطة جأش ، وبلغ به اعتقاده في النصر أن فكر في إقامة عاصمة في جبل الجرادة والاستقرار هناك فأخذ معه ما يلزم من التقاوى لزراعة الخضر والمحاصيل[1]. وفي صباح ١٢ رجب ١٢٩٩ هـ ، ٣٠ مايو ١٨٨٢ م دارت بين الفريقين معركة رهيبة انتهت بانتصار المهدي ، حيث تمكن من ابادة جيش الشلالي ، ولم ينج من ذلك الا قلة قليلة .

وقد أعطت هذه الانتصارات حركة المهدي بعدا سياسيا واجتماعيا كبيرا ، فهذا الانتصار اذن لا يقل أهمية عن انتصارات المهدي اللاحقة في الابيض او في الخرطوم بل يفوقها جميعا لانه وضع الثورة المهدية على مشارف الانتصار الاكبر .

تطور الجهاد وسقوط الابيض :

ومن ثم بدأ المهدي يفكر في توسيع دائرة جهاده ، فاتصل بمشائخ حمر وفوض مادبو علي شيخ الرزيقات أميرا على قبيلته ، ونصب المكي ود ابراهيم على قبائل الحمر وعبد الصمد ابو صفية على البديرية ونواي على الحوازمة ، فأشعلوا الثورة في كردفان ، فقد حدث الاحتكاك بالحكومة عندما كان البكباشي نظيم افندي يجمع الضرائب في منطقة (أم جقرو) بدار حمر ، فثار عليه الاهالي ومزقوا الدفاتر واستولوا على الاموال المجموعة وأعلنوا

---

(١) مكي شبيكة ، **السودان في قرن** ، ص ١٥١ .

العصيان ، كما ثار الاهالي في أبي حراز على الناظر محمد اغا رحمه حيث وصلت نجدة من الابيض لمساعدته ، وازاء ذلك تجمع عربان حمر بقيادة مكي ود ابراهيم وعربان البديرية بقيادة عبد الصمد ابو صفية ، وقاتلوا جنود الحكومة في منهل (المشنقة) وانتصروا عليهم ، ثم تجمعت مجموعات أخرى من الانصار بقيادة عبد الله ود النور وعبد الصمد أبو صفية في منطقة البركة[1] ، حيث واجهتهم قوة من قبل محمد سعيد مدير كردفان بقيادة نظيم افندي هزمت الانصار في ٢٩ جماد آخر ١٢٩٩ ، ١٨ مايو ١٨٨٢ م ، وقد ظهر التشفي والانتقام في أسلوب قوات الحكومة ، وهذا يوضح مدى احساس الحكومة بتطور الجهاد وعمقه في أوساط الاهالي .

ثم هاجم مكي ود ابراهيم مع مجموعة من عربان الجوامعة والبديرية نقطة اسحف العسكرية على بعد عشرة اميال غربي باره ، فهزم قوات الحكومة التي يقودها عثمان ولد حامد ناظر اسحف[2] ، وفي هذه الاثناء كان قد تجمع حوالي ثلاثين الفا من الانصار في نقطة اولاد مرج بقيادة الشيخ رحمه محمد منوفل من الجوامعة ، واستطاعت قوات الحكومة في بادىء الامر هزيمتهم . ولكن الانصار أعادوا تجمعهم حتى بلغوا ما بين ٥٠ ــ ٦٠ ألفا يقودهم عبدالله ولد النور ومحمد ولد ابو كندي ومكي ولد ابراهيم وآخرون من شيوخ قبائل كردفان ، وكان هدف هؤلاء الانصار الاستيلاء على نقطة باره باعتبارها مركز الثقل الذي تخرج منه الضربات والامدادات واليها تلجأ قوات الحكومة ، وكانت قوة بارة تقدر بحوالي خمسة آلاف ، وفي ٧ شعبان ١٢٩٩ ، ١٧ يونيو ١٨٨٣ ، هاجمت جيوش الانصار هذه النقطة من عدة جهات ، ولكن

---

(١) Cairint, 1/10/51/,/23
تاريخ ٢٨ جماد آخر ١٢٩٩ ، ١٦ مايو ١٨٨٢ م .

(٢) Cairint, 1/10/51/,/23
تاريخ ١ رجب ١٢٩٩ ، ١٩ مايو ١٨٨٢ م .

قوة الحامية تمكنت من صدهم[1] فتجمعوا مرة أخرى في منهل شتورة تحت قيادة عبد الله ولد النور ، فهاجمتهم قوة حكومية ، استطاعوا صدها وعزلها عن الابيض ، غير ان مددا من الابيض هزم الانصار[2] فالتجأوا الى فرشاحه قرب أبي سنون • وفي هذه الاثناء كتب عبد الله ولد النور الى المهدي في قدير يشرح له تطور الجهاد ويستحثه للقدوم الى كردفان[3] • وتبع ذلك ان تمكن المنا اسماعيل شيخ قبيلة الجوامعة ان يجمع قوة يبلغ عددها ٢٠ ألفا ويزحف بهم نحو حامية الطيارة فتمكن من الاستيلاء عليها عنوة في ٢١ رمضان ١٢٩٩ ، ٦ اغسطس ١٨٨٢ م ، واخبر المهدي بانتصاراته ، وقطع خط التلغراف وطريق البوستة الحكومية بين الابيض والخرطوم وانتظر تعليمات المهدي[4] ، ويعتبر هذا من الانجازات الكبيرة في جهاد الانصار في كردفان •

والصورة كما هو واضح من هذا العرض تشير الى شمول فكرة المهدية في المنطقة ، وازدياد قوة المهدي على الحكومة ، فأصبح على الحكومة ان تفكر في اسلوب جديد •

ومن ثم سحب محمد سعيد حامية خرسي الى بارة ، وبقي للحكومة بذلك ، ثلاثة معسكرات فقط في كردفان حامية الابيض وباره ، وقليل من

---

(١) Cairint, 1/10/51/,/23
تاريخ أوائل شعبان ١٢٩٩ — منتصف يونيو ١٨٨٢ • تقرير من حسن محمد وعلي آغا •

(٢) Cairint, 1/10/51/,/23
٢٣ شعبان ١٢٩٩ ، ١١ يونيو ١٨٨٢ م •

(٣) Cairint, 1/10/51/23
تاريخ ٨ رمضان ١٢٩٩ ، ٢٤ يوليو ١٨٨٢ م •

(٤) Cairint, 1/10/51/23
تاريخ ٢٦ رمضان ١٢٩٩ ، ١١ اغسطس ١٨٨٢ م •

الجنود في الدلنج حيث يبلغ مجموعها ٨٧٥٠ من باشبوزق وجنود نظاميين[١]. واتجه محمد سعيد الى تحصين الابيض وبناء استحكامات للدفاع والمقاومة.

وبلغ المهدي ان عبد القادر باشا حكمدار السودان يعمل على تحصين الخرطوم ذاتها ، وحينذاك أيضا حاول الحكمدار ان يتبع اسلوبا جديدا مع المهدي فحاول الدخول معه في حوار حول فكرة المهدية ، وبالفعل صدرت بعض الفتاوى في بطلان دعوة المهدية ، ولكن ذلك جاء متأخرا فقد تعمقت تلك الفكرة في نفوس الكثيرين ولم يعد من السهل نزع ما اعتقدوا بانه الصواب ، وبالتالي فشلت تلك المحاولات ، وقيل انه حاول اغتياله بتسميمه أو بارسال من يقوم بذلك الاغتيال ، ولكن تلك المحاولات فشلت أيضا .

وأمام هذه الظروف ، تحرك المهدي نحو الابيض في ١٢ رمضان ١٢٩٩ هـ[٢] ، ٢٨ اغسطس ١٨٨٢ م ، بعد ان عين محمود عبد القادر عاملا على قدير وبقية الجبال ووجه أمرا الى بعض أمرائه وعلى رأسهم عبد الله ود النور لمقابلته بالقرب من الابيض ، وأخذ معه كل معداته الحربية ماعدا الاسلحة النارية التي غنمها من الترك بقدير[٢] ، ولعله كان يعتقد ان النصر يمكنه بدونها ، أو ان حملها قد يسبب له بعض المعوقات خاصة ان الوقت الذي خرج فيه كان خريفا ، وليس له من وسائل النقل ما يكفي لحملها .

وصل المهدي بكامل قوته الى منهل (كابا) على مسيرة ثلاث ساعات من الابيض في ١٧ شوال ١٢٩٩ ، ١ سبتمبر ١٨٨٢ م . ومن هناك أوفد المهدي رسولين يحملان خطابا الى محمد سعيد يدعوه الى التسليم ، ولكن مدير كردفان أعدم رسولي المهدي وقد تأثر المهدي لتلك الحادثة ، وواصل دعوته لاهالي الابيض بالتسليم فهاجر اليه كثير من أعيانها وتجارها ومنهم

---

(١) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٦٨٧ .

(٢) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٦٩٠ .

الياس باشا أم برير ، ولم يبق داخل المدينة الا قلة نادرة منهم أحمد بك دفع الله الذي كان ندا لالياس باشا أم برير •

وكانت قوات الحكومة التي وقع عليها عبء الدفاع عن المدينة لا تتعدى ستة آلاف جندي ، ولذا أمر محمد سعيد بحفر خندق داخل السور الخارجي[١] ، وبالرغم من ذلك الاستعداد كانوا في حالة معنوية سيئة ، وأدركوا تفوق المهدي من حيث العدد والقوة العسكرية والمعنوية حتى علق بعضهم ، حين كانوا يحفرون الخندق (••• باتنا نحفر مقابرنا بايدينا •••)[٢] ، أما المهدي فقد ضرب حصارا شديدا حول المدينة ، بينما اشترك معه قادة القبائل الاخرى بقواتهم وجيوشهم[٣] ، وكان المهدي يرمي من وراء ذلك الحصار الى مزيد من الضغط على قوات الحكومة ولاعطاء الاهالي الفرصة لينضموا اليه ، في الوقت الذي كان فيه محمد سعيد يعمل جاهدا لتقوية عزيمة السكان وزيادة استحكامات المدينة واصدر المنشورات والفتاوى التي تدحض دعوى المهدي واظهاره بمظهر المتمرد الخارج على السلطة ، في حين واصل المهدي مساعيه السلمية في استقطاب سكان المدينة الى جانبه وقرن ذلك بانذارهم وتحذيرهم من التمادي في المقاومة فازداد عدد المتسللين اليه •

ثم أصدر المهدي أوامره ببدء الهجوم ، بعد أن جمع أصحابه ودعاهم للجهاد والاستشهاد ، وفي فجر الجمعة ٢٤ شوال ١٢٩٩ ، ٨ سبتمبر ١٨٨٢م هاجم المدينة من اربع جهات ، وقد قدرت قواته المهاجمة بنحو ٥٠ الف مقاتل[٤] ، وفوجئت هذه القوات بنيران الاتراك تحصدهم حتى قتل اكثر

---

(١) نفس المصدر ، ص ٦٩٢ •

(٢) Holt, **The Mahdist State**, P. 53.

(٣) Cairint, 1/10/51/22 dated 17.2.1890

(٤) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٦٩٣ •

من ثلاثة آلاف من أصحاب المهدي ، وتحت صدمة المفاجأة اضطر المهدي الى الانسحاب الى مركزه في كابا ، وترجع هذه الهزيمة الى عدم انتظام قوات المهدي والتزامها بالضبط والربط ، كما يرجع الى استراتيجية القتال المؤقتة، ففي الوقت الذي يهاجم المهدي من أرض مكشوفة كانت قوات الحكومة قد تحصنت واخذت مواقع استراتيجية ساعدتها في توجيه ضربات قاتلة لجيش المهدي •

وتعتبر هذه المعركة أول امتحان حقيقي في مسيرة المهدي التاريخية ، وكان لها وقع نفسي عليه وعلى قادته ، ثم جرت مداولات بين المهدي واصحابه حول الموقف واتفق الرأي على فرض حصار شديد على المدينة بغرض استنزاف قدراتها القتالية والغذائية ، ومن ثم انتقل المهدي من كابا الى الجنزارة على مقربة من الابيض ودعا الاهالي الى الخروج والتسليم • ثم توجه الى اعادة بناء قواته من حيث الاستراتيجية والامكانيات الحربية ، خاصة وهو الآن يقف في منطقة مكشوفة وليس بها حصون طبيعية كما كان عليه الحال في قدير ، ولن تسعفه المعجزات وخوارق العادات كثيرا هذه المرة ، ولذا رأى انه من الضروري استخدام الاسلحة النارية وانشاء فرقة مدربة على استخدامها، وأوكل تلك المهمة الى حمدان ابي عنجة ومن حيث واصل هو حصار المدينة[1]، وفي هذه الاثناء تمكنت قواته من السيطرة على حامية الدلنج وأسر رهبان كنيستها واحضارهم اليه بالجنزارة[2] • وكان عليه أيضا أن يعمل على الاستيلاء على باره لانها مازالت طليقة ، فقد كان من الواجب السيطرة عليها قبل العمليات العسكرية في الابيض حتى يقضي على أي أمل لمحمد سعيد للاتصال بالخرطوم ، ولكن ذلك الوضع ساعد في ان الخرطوم تمكنت من ارسال حملة لانقاذ الابيض ، كادت أن تجد طريقها الى بارة لولا ان استطاعت قوات المنا اسماعيل ورحمة محمد منوفل المكلفة بحصار بارة هزيمة هذه

---

(1) Holt, The Mahdist State, P. 55.

(٢) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٦٩٥ •

القوة ،كما عملت على قطع الصلة بالخرطوم[1] ، واصبح بذلك على الحاميتين في الابيض وبارة أن تعتمدا على ما تملكانه من معدات ومقومات وبالرغم من المقاومة التي أبدتها حامية بارة لم تتمكن من الصمود فكتب النور عنقرة عارضا رغبته في التسليم على أن يوفد المهدي أميرا يقوم باستلام المدينة ، فارسل عبد الرحمن النجومي في قوة كبيرة استلمت المدينة في ٢٥ صفر ١٣٠٠ ، ٥ يناير ١٨٨٣ م ، وأملم المهدي تعهد النور عنقرة ومن معه بتأييد الدعوة ومساندتها[2] ، وواصل المهدي حصار الابيض ، حتى ضاق أهلها ذرعا ونفد المخزون من المؤن وتدهورت الاحوال فازداد تسرب أهلها سرا الى المهدي ، أما الحامية فقد انحطت روحها المعنوية وبدأ جنودها يأكلون ممتلكاتهم من الجمال والخيول ودفعتهم شدة الحاجة الى أكل الحميروالكلاب والقطط وغيرها فتدهورت أحوالهم الصحية •

وكان مفعول هذه السياسة قويا فقد كانت خسارة الحامية اليومية عشرة أشخاص ، في حين كان يموت من الاهالي يوميا بفعل الجوع ما بين ثلاثين الى أربعين شخصا[3] • ولم يعد الموقف يحتمل أكثر من ذلك فمن لم يمت بالسيف مات بالجوع ، ولذا بدأوا يضغطون على محمد سعيد ومعاونيه للتسليم ، ومن ثم تقدمت الحامية في ١٨ يناير ١٨٨٣ بكتاب الى المهدي تعلن فيه التسليم ، فرد عليهم المهدي يطمئنهم ويدعوهم الى التسليم • وانفتح الطريق بعد ذلك أمام المهدي لدخول المدينة منتصرا[4] •

وقد أشاعت الحكومة في الخرطوم عقب ذلك الى وجود خلافات بين المهدي وأتباعه ، لعلها قصدت أن تقلل من حجم الانتصار الذي حققه المهدي

---

(١) Holt, **The Mahdist State**, P. 55.

(٢) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٦٩٧ •

(٣) تاريخ ١٨٩٠/٢/١٧ • Cairint, 1/10/51/22

(٤) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٧٠٣ •

بفتح الابيض ، والحكومة هنا كانت ترمي الى ما نشب بين المهدي وبين المنا اسماعيل ، الذي كان يعمل للحصول على منصب كبير نظير ما قدمه من تضحيات ، ودخل في منافسة شديدة مع الخليفة عبد الله ، الذي أسند اليه المهدي بعد سقوط الابيض القيادة العامة للجيش مع الاحتفاظ برايته الخاصة وجعله مستشاره الذي لا يقطع أمرا بدونه ، مما جعل الناس يقللون من مكانته وخاصة أتباع المنا اسماعيل ، فأصدر المهدي في شأنه منشورا ، (... ان الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه وقد أشار اليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا معه كتأدبكم معي وسلموا له ظاهرا وباطنا ...)[١] ومن ثم أشاعت الحكومة التركية بان اتباع المهدي قد انفضوا من حوله ولم يبق له سوى الجعليين والدناقلة[٢] .

وكيفما كان الأمر فانه قد كان لهذا الانتصار صدى عميق في انحاء البلاد ، فهرع الناس الى المهدي من كل صوب يبايعونه ، وارتفعت روح أنصاره المعنوية ، وزاد الاعتقاد في المهدي كشخصية قيادية تتمتع بصفات نادرة وكرامات خارقة ، كما أصبح المهدي بهذا الانتصار سيد كردفان دون منازع ، فضلا عن انه أظهر مكانة الخليفة عبد الله القيادية ، رفعه مكانا عليا في دولته حيث وضعه في مرتبة أبي بكر الصديق بالنسبة للرسول الكريم .

شيكان وتحرك المهدي لحصار الخرطوم :

وكان على الحكومة التركية بعد سقوط الابيض أن تواجه تطورات الموقف ، ولذا عينت علاء الدين باشا حكمدارا مدنيا وسليمان نيازي قائدا للقوات ، وهكس باشا رئيسا لاركان الجيش ، وصدرت التعليمات الى سليمان نيازي بان يعمل برأي هكس في المسائل الفنية ولكن بدت الخلافات

---

(١) محمد ابراهيم ابو سليم ، **منشورات المهدية** ، ص ٦٦ .

(٢) محفظة ١٠٢ ملف ٨/١/١ (القلعة) ص ٢ .

بينهم وخاصة بين سليمان نيازي وهكس بصورة جعلت سليمـان نيـازي لا يستطيع التصرف بدون استشارة هكس[1] ، ثم نقل نيازي وانفرد هكس بالسلطة العسكرية ، وبدأ في ترتيب واعداد حملة كردفان ، وعملت الحكومة في تحصين العاصمة ، فقد كانت تشك حتى في ولاء موظفيها من السودانيين، اذ اعتقدت بأنهم ينقلون أسرارها وخططها للمهدي[2] .

ثم أعدت حملة كردفان من ٧ آلاف من المشاة وتسعماية من الفرسان ، وجهز لها ٥٥٠٠ جمل للترحيل ، ومنذ البداية بدأت الخلافات ، فقد كان الرأي أن تسلك الحملة طريقين ، وذلك بتشكيل الايين بيادة وبطارية جبلي واوردى باشبوزق ، وترسل الى منطقة الدبة تحت قيادة قائـد عسكري وسياسي ، وتلتقي مع القوات التي سبق ارسالها وان تسلك هذه القوة طريق الاستكشافات أو الطريق الذي سلكه الدفتردار ، وفي نفس الوقت تخـرج قوة أخرى من الترعة الخضرة وتسير الى خورسي ثم الابيض[3] ، ولكن هذا الرأي لم يتحقق كذلك اختلف علاء الدين وهكس في الطريق الـذي ستسلكه الحملة من الدويم ، وأخيرا اتفقا على أن تسلك الحملة الطريق الجنوبي الذي يمر بشركيلة والرهد ويخترق أرض الجوامعة والغديات وطول هذا الطريق ٢٥٠ ميلا . وعندما اقترح هكس اقامة محطات لتحمي ظهر الحملة رفض علاء الدين بحجة ان هذه المحطات ستكون فريسة لانصـار المهـدي .

ثم تحركت الحملة من الدويم في ٢٧ سبتمبر ١٨٨٣ ، وكان مظهرها العام يوحي بالفوضى والاضطراب ، وقد وصف عباس بك[4] هذه الفوضى فـي

---

(١) محفظة ١٠٢ (خديوية) ملف ٩/١/١ (القلعة) ص ٧ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) محفظة ١٠٢ خديوية ٩/١/١ (القلعة) .

(٤) كاتب هكس ، كان يسجل ملاحظاته عن سير الحملة ومشاكلها يوميا ، وقد توقفت هذه الملاحظات قبل حدوث معركة شيكان بيومين تقريبا .

يومياته فذكر ان الفوضى كانت طابع الحملة والخلاف بين قادتها كان مستمرا وساد التذمر والاستياء في أوساط الجيش[1] مما أوجد الفرصة لانصار المهدي لان يتجسسوا ويحصلوا على كثير من المعلومات •

وخلاصة الامر ان استمرار الخلاف والاضطراب الذي ساد الحملة واخلاء السكان لقراهم بالرغم من نشرات الحكومة وفتاويها لهم بتكذيب دعوة المهدي[2] ، الا أن اليأس قد دب في نفوس أفراد الحملة وانقطعت الصلة بينهم وبين الخرطوم ، ولم يتمكنوا من معرفة قوة المهدي واستعداداته •

ولكن لم يكن هناك مجال من التراجع وخاصة وان الحكومة التركية ترى ضرورة الاحتفاظ بكردفان لان أغلب تجارة الحكومة كانت بكردفان خصوصا الصمغ الذي كانت وارداته بجمرك سواكن عام ١٨٨٢ حوالي ١٤٠ الف قنطار وذلك بخلاف ما يرسل عن طريق الصحراء ، فضلا عن وجود محصولات أخرى كالسمسم وريش النعام وغيره[3] •

وقد فشلت كل محاولات الحملة في احداث خلل داخل معسكر المهدي أو اغتياله ، أما المهدي فقد أوفد طلائعه بقيادة محمد عثمان ابي قرجة وعبدالحليم المساعد وعمر الياس أم برير لمراقبة الحملة وقطع خطوط الرجعة وردم الآبار والمناوشة العسكرية دون الدخول في معركة ، وقد تمكنت هذه الطلائع من توزيع منشورات بين جنود الحملة تدعوهم الى التسليم وعدم محاربة المسلمين •

وفي ٢٤ اكتوبر ١٨٨٣ وصلت الحملة الى الرهد حيث بقيت ستة ايام في انتظار جماعة الملك آدم أم دبالو ، ثم قرر هكس المسير الى الابيض فتحرك في ٣ نوفمبر ١٨٨٣ عن طريق علوبة •

---

(١) يوميات عباس بك ص ١١٦ •

(٢) محفظة ١٠٢ خديوية (القلعة) ١/١/٣ بتاريخ ٦ مايو ١٨٨٣ •

(٣) يوميات عباس بك ص ١١١ •

وكان المهدي قد علم بخط سير الحملة فخرج من الابيض في أول نوفمبر ١٨٨٣ وأمر جهادية ابي عنجة بمناوشة الحملة ، وأرسل عبد الرحمن النجومي لملاقاتها من ناحية المقدمة • وعندما وصلت الحملة الى شيكان أمر المهدي بالهجوم العام في ٥ نوفمبر ١٨٨٣ م • فحاصرها الانصار واستأصلوا جنودها، ولم ينج الا القليل ، وقتل هكس وعلاء الدين وعدد من الضباط وبعض المراسلين الصحفيين •

وقد ترتب على هذا الانتصار الكبير ان خسرت الحكومة جيوشها النظامية ولم يبق لها الا بعض الحاميات في وادي حلفا وخط الاستواء والخرطوم وكسلا وسواكن وسنار ، ورأت الحكومة سحب حامياتها من الكوة والدويم وفاشودة ، واضطر رودلف سلاطين مدير دارفور للتسليم واتسع المجال أمام المهدي للتوجه الى الخرطوم ، كما رفعت روح أتباع المهدي المعنوية بل جعلت الكثيرين يؤمنون بدعوته ، وجاءته الوفود مهنئة • وقد راودت المهدي فكرة الزحف نحو الخرطوم بعد شيكان وهو ما يزال بالبركة قبل عودته الى الابيض ، فأصدر خطاباته الى بعض الزعماء وسكان الخرطوم يدعوهم الى التحرك لحصار الخرطوم[1] ، وسد الطريق اليه من كل جانب • كما بدأ يعظ الناس عن فوائد الهجرة • فتجمع حوله اكثر من ثمانماية مقاتل • وبعد شهر من معركة شيكان أوفد حملة الى جبال النوبا بقيادة أحمد جفون ، وكلفه بمحاصرة جبال تقلي واجبار أهلها على التسليم وعلى رأسهم الملك آدم أم دبالو[2] ويبدو ان الملك آدم اقتنع وأتى الى المهدي

---

(١) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد الى وثائق المهدي** ، (١٩٦٩) ص٨٧ وثيقة ١٧٤ ، ١٠ محرم ١٣٠١ ، (١١ نوفمبر ١٨٨٣) من المهدي الى احبابه اهالي الخرطوم .

راجع ايضا نفس المصدر الوثائق ٢٠٦ ، ٢٣٥ ... الخ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٩٢ ، وثيقة ١٨٣ ، ٤ صفر ١٣٠١ (٥ ديسمبر ١٨٨٣) من المهدي الى احمد جفون .

بالابيض ، ولكن الوشاة أوغروا صدر المهدي نحوه فقتله فترك ذلك أثرا عميقا لدى أتباعه •

وكان المهدي قد وجد استجابة من كثير من زعماء الجبال الآخرين فيما عدا سكان جبل الداير الذين ناصبوه العداء ورفضوا الرضوخ للمهدية ، ولعل ذلك يرجع الى شعورهم بان المهدية امتداد لما سبقها من نظام ، فضلا عن انهم كانوا قد عانوا كثيرا من الهجمات المتكررة من الحكام السابقين في الابيض • ولذا لم يرضخوا للمهدية بل قطعوا طريق الابيض ونهبوا الاموال فأرسل اليهم المهدي حملة بقيادة حمدان أبي عنجة وعبد الرحمن النجومي وعبد الله النور في أوائل جماد أول ١٣٠١ ، مارس ١٨٨٤[1] غير ان هذه الحملة لم تستطع الانتصار عليهم فأرسل اليهم المهدي نجدة بقيادة موسى ود حلو ولكنها أيضا لم تحقق النصر ، فاضطر المهدي الى سحب جيوشه من جبل الداير حتى لا يؤثر ذلك في روحهم المعنوية ، ومرد هذا الفشل يرجع الى طبيعة الظروف التي يحاربون فيها ، فسكان الجبل استفادوا من طبيعة منطقتهم واستحكموا في الدفاع عنها في حين تركت جيوش المهدي مكشوفة ، ولم تجد الملجأ الكافي الذي يعصمها من النوبا ، فضلا عن ان المهدي نفسه كان يستعجل انهاء الحرب لانه يستعد للزحف نحو الخرطوم ، وطول هذه الحرب قد يؤثر في نفسيات جنوده المعنوية ، مما يجعلهم يتشاءمون من النصر في الخرطوم في الوقت الذي فشلوا في تحقيقه في جبل الداير •

ولم يلبث المهدي بعد ذلك أن تحرك بقواته نحو الخرطوم في ٧ جماد آخر ١٣٠١ ، ٤ ابريل ١٨٨٤ م وعين محمود عبد القادر عاملا على كردفان[2] •

---

(١) نفسه ص ١٢٤ ، وثيقة ٢٤٢ ، ٤ جماد أول ١٣٠١ (٣ مارس ١٨٨٤) من المهدي الى محمد خالد زقل .

(٢) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٨١٥ .

الفصل الأول

عمالة محمود عبد القادر

جماد آخر ١٣٠١/ابريل ١٨٨٤ ــ صفر ١٣٠٣/ديسمبر ١٨٨٥

في قدير :

عندما تحرك المهدي بكل أنصاره القادرين نحو الابيض في ١٢ رمضان ١٢٩٩ هـ ، ٢٨ اغسطس ١٨٨٢ ، عين محمود عبد القادر[١] عاملا على منطقة قدير وجبال النوبا ، وكانت مهمته كما حددها المهدي الاشراف على عائلات الانصار في قدير ، وكان المهدي في هذا الاجراء يتشبه بالرسول عندما أبقى علي بن أبي طالب بمكة ليحمي عائلات المسلمين الذين هاجروا معه للمدينة ، وكانت مهمته أيضا الاشراف على الاسلحة النارية التي كان المهدي قد غنمها من معاركه السابقة ولم يحملها معه للابيض . ويتضح من مضمون الخطابات التي كان يوجهها المهدي الى محمود عبد القادر ان مهمته قد اتسعت أكثر مما هو محدد فشملت منطقة جبال النوبا ، اذ كان عليه ان يعمل على نشر دعوة المهدية بين سكان تلك المناطق وان يعمل على ارساء تعاليمها ، فقد دعا المهدي سكان الجبال الذين أيدوه أن ينضموا الى محمود ويحاربوا أهل فنقر بغرض اخضاعهم للمهدية ثم ينصرف سكان

---

(١) محمود عبد القادر ــ عم المهدي ــ ومن اوائل أنصاره في المهدية ، اشترك في معركة ابا ، وهاجر مع المهدي الى قدير ، وهناك عينه المهدي أميرا في جيشه ، اشتهر بالزهد والغيرة على المهدية خاصة فأحبه المهدي ووثق به .

الجبال ويتوجه الباقون الى حرب فاشودة[1] ، وكان المهدي يرمي من وراء ذلك الى توسيع قاعدة دعوته والى فتح مجالات الحصول على الغلال .
كما كان من واجبات محمود الادارية أن يعمل على حفظ الامن وان يمنع أتباعه من التعدي على الآخرين ، فقد بلغ المهدي ان بعض أهالي الجبال نهبوا بعض أموال المسلمين ، وقد اتضح ان هؤلاء الاهالي من أتباع محمود . كما يطلب منه العمل على تطبيق تعاليم المهدية في المجالات الاجتماعية كتيسير الزواج وتحديد المهور[2] ، وان يقوم بتخميس الغنائم واعطاء جانب منها لعائلات الانصار ، وعليه أن يتبع ارشادات أمين بيت المال في الشؤون المالية[3] .

غير ان محمود عبد القادر لم يبق طويلا في قدير اذ انه بعد واقعة الابيض الشهيرة في ٢٤ شوال ١٢٩٩ ، ٨ سبتمبر ١٨٨٢ ــ وفي أثناء الحصار الذي فرضه المهدي على المدينة حضر محمود الى الابيض ، ودليل حضوره في هذا الوقت يمكن تفسيره بما يلي :

١ ــ بعد هزيمة المهدي في واقعة الابيض استجلب كافة معداته الحربية وخاصة الاسلحة النارية التي كان يحفظها في قدير .

٢ ــ صار الوقت ملائما للانصار الذين أقاموا في دبم الجنزارة لاحضار عائلاتهم لمشاركتهم الاقامة ، وكان المهدي نفسه يرى ذلك ولذا أرسل الى محمود بقدير عددا وافرا من الجمال لترحيل هذه العائلات[4] .

---

(١) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ٣٩ ، وثيقة ٧٢ ، ٥ صفر ١٣٠٠ (١٦ ديسمبر ١٨٨٢ م) ــ من المهدي الى محمود عبد القادر .

(٢) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ٣٩ ، وثيقة ٧٢ ، ٥ صفر ١٣٠٠ (١٦ ديسمبر ١٨٨٢ م) ــ من المهدي الى محمود عبد القادر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٤ ، وثيقة ١٠٥ من المهدي الى محمود عبد القادر .

٣ — أصيبت راية الاشراف في معركة الابيض بشلل كبير عندما قتل كثير من أنصارها وعلى رأسهم محمد بن عبد الله أخ المهدي ، ولذا كان لا بد أن يدعو المهدي كبار أنصاره من الاشراف[١] القادرين المعتمد عليهم ليدعموا هذه الراية ويكونوا سندا له ، ومن هؤلاء محمود عبد القادر •

محمود عبد القادر عاملا على كردفان :

بدأ المهدي يخطط لحصار الخرطوم عقب انتصاره في شيكان مباشرة ومهد لذلك بارسال المنشورات لسكان المناطق الواقعة في طريق الخرطوم وطلب منهم التحرك لحصار الخرطوم وسد المنافذ المؤدية اليه ، وفي كردفان عمل لارساء دولته واخضاع الخارجين في بعض الجبال كالداير مثلا ، وعندما نضجت فكرة حصار الخرطوم واكتملت استعداداتها اتجه لتنفيذها ، وعين محمود عبد القادر عاملا للمهدية في كردفان في ٧ جماد آخر ١٣٠١ ، ٤ ابريل ١٨٨٤ ، وكانت مسؤولياته تشمل كردفان بما فيها جبال النوبا ، وظلت كذلك حتى جعل المهدي الجبال عمالة منفصلة وعين عليها حمدان أبي عنجة بعد فتح الخرطوم[٢] •

وقد ترك المهدي مع محمود عبد القادر من القوات ما يقرب من ثلاثة آلاف من الانصار وحوالي مائتين من الجهادية السود القدامى ، وقد باشر محمود مسؤولياته منذ خروج المهدي من الابيض وأثناء اقامته بالرهد ريثما

---

(١) الاشراف : هم عشيرة المهدي وأبناء عمومته وأقربائه وسموا بالاشراف لانتسابهم الى قبيلة عرفت بهذا الاسم في دنقلا ، وهم يدعون نسبتهم الى الرسول عن طريق جدهم نجم الدين . وقد اكتسبوا أهميتهم بقرابتهم الى المهدي الذي أوضح نسبه الى الرسول . وقد نازع الاشراف الخليفة عبد الله على السلطة وحاولوا أن يجعلوا الخلافة بينهم . وقد أيدهم الدناقلة واغلبية اولاد البلد .

(٢) محمد ابراهيم ابو سليم ، المرشد ، ٣ ، ص ١٧٢ ، وثيقة ٣٢١ ، بعد شعبان ١٣٠١ ، بعد (٢٤ يونيو ١٨٨٤) من المهدي الى الخليفة عبدالله .

تنضم اليه الفرقة التي تحارب في جبل الداير ، وفي هذا الاثناء أراد محمود عبد القادر غزو بعض الجبال مثل جبال الكدرو والنما وغيرها ، لوفرة الغنائم بها ، ولكن المهدي طلب منه أن يتريث حتى تفرغ قواته من الداير . ويشير هذا الى رغبة المهدي حينذاك بضرورة تكريس المجهود لحصار الخرطوم ، وهو لا يريد أن ينشغل باحداث جبهة أخرى في كردفان ، ويعني هذا ان لمحمود الحق في أن يقوم بأي أعمال يراها مناسبة بعد توجه المهدي الى الخرطوم ، وكل ما قاله له في هذا الوقت ان يهتم باتباعه ويحسن قيادتهم وخاطب أتباعه يوجههم ويرشدهم لكي يساعدوا محمود ويؤازروه ، لانه ولي أمر المهدية هناك[1] . ولكن لم تمض أكثر من ٥ شهور على محمود في الابيض حتى قرر المهدي نقله الى دنقلا ليخلف محمود الحاج أحد أنصاره المخلصين والذي عينه المهدي عاملا على دنقلا لينشر المهدية ولكنه قتل في كورتي في ٤ سبتمبر ١٨٨٤[2] ، كما قرر ان يخلف عبد الصمد شرف عامله في داره محمود عبد القادر ، ولانه طلب تنفيذ هذه الاوامر بسرعة طلب من عبد الحليم مساعد ، الذي يبدو انه كان بالابيض ، ان يدير شؤون كردفان لحين حضور عبد الصمد[3] ، ولكن هذا النقل لم ينفذ وربما كان ذلك مربوطا بتحركات الانجليز في ذلك الوقت وسير حملة الانقاذ .

ثم عين المهدي حمدان أبي عنجة ليكون عاملا على جبال النوبا ، وحدد علاقته مع محمود عبد القادر حتى لا يحدث تداخل بينهما في الاختصاصات ، ولان محمود يدير منطقة هادئة في حين ان حمدان أبي عنجة سيواجه حربا

---

(١) مهدية ١/٢/٣ رقم ٣٢ ص ١٣ ، غرة رمضان ١٣٠٢ ، (١٣ يونيو ١٨٨٥) من المهدي الى احبابه وأعوانه أصحاب المندرجين ببوارق الحبيب محمود عبد القادر .

(٢) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩٤ .

(٣) محمد ابرهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ٢٠١ ، وثيقة ٣٩٣ ، ٢١ الحجة ١٣١٠هـ (اكتوبر ١٨٨٤ م) من المهدي الى محمود عبد القادر .

متصلة فقد أشار المهدي الى محمود عبد القادر بامداد حمدان بما يلزمه من قوات ومعدات وأسلحة والا يأوي أي فرد يصله من سكان الجبال بل يرده فورا الى حمدان[1] ، وقد استجاب محمود لذلك الامر فأمد حمدان بخمسين صندوقا رمنتون واثني عشر صندوقا جلل مدافع وعشرة صناديق بارود ابو روحين وخمس حجبات كبسولة[2] .

وقد لاحظت في المكاتبات الاخيرة الموجهة من المهدي الى محمود عبدالقادر غلظة وتأنيب على غير ما اعتاد في الكتابة اليه ، من ذلك مثلا عندما أرسل الخليفة عبد الله رسلا لجمع العيوش من كردفان وخاصة التي كانت متجمعة لدى رحمة محمد منوفل لان أم درمان كانت حينذاك في ضائقة معيشية ، ولكن محمود لم يسارع لتلبية رغبة الخليفة ، وربما تعمد اغفال رسل الخليفة ولم يقدم لهم التسهيلات اللازمة ، وقد كتب هذا الخطاب باسم المهدي ليؤنب محمود على تجاهله لطلب الخليفة ويوضح مكانته ويأمره بالاهتمام بمثل هذه الامور ، وأن يرشد أصحابه لتنفيذ مثل هذه الاوامر على الفور[3] ، وهذا الخطاب في الواقع كتبه الخليفة عبد الله والدليل على ذلك ، الاسلوب الذي يخاطب به محمود عبد القادر ــ اذ بدأه من المهدي الى العامل على كردفان وثانيا كتب تقريبا قبل شهرين من وفاة المهدي في الوقت الذي كان فيه الخليفة يهيمن على كثير من الامور .

وعند وفاة المهدي في ٩ رمضان ١٣٠٢ ، ٢٢ يونيو ١٨٨٥[4] ، أبلغ

---

(١) مهدية ٤/٨/١ ص ١ ، ٥ جماد آخر ١٣٠٢ ، (٢١ مارس ١٨٨٥) ، من المهدي الى حمدان أبي عنجة .

(٢) مهدية ١٢٥/١ ص ٢١ ، ٢٤ شعبان ١٣٠٢ (٧ يونيو ١٨٨٥) ، من الخليفة الى حمدان أبي عنجة .

(٣) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ٣٠٦ ، وثيقة ٦٢٣ ، ٦ جماد آخر ١٣٠٢ ، (٢٤ مارس ١٨٨٥ م) من المهدي الى العامل على كردفان .

(٤) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣٥ .

الخليفة محمود عبد القادر النبأ وطلب منه أن يبايعه وأن يحضر لتأكيد ذلك[1] ، وبالرغم من ان محمود أرسل اليه يبايعه الا انه تلكأ في لحضور اليه ، فلم يغادر الابيض الا في شوال ١٣٠٢ ، اغسطس ١٨٨٥ م بعد ان طلب من حمدان ابي عنجة أن يقوم بادارة كردفان في أثناء غيابه[2] .

وكان محمود حينذاك قد واجه مشاكل اقليمية ، من ذلك ان بعضا من قبائل حمر الذين هاجروا الى أم درمان قد طلبوا الاذن من الخليفة باحضار أموالهم التي تركوها بدارهم ، وقد صادف في هذا الوقت أن ارسل محمد خالد زقل عامل المهدية في دارفور من يدعى عمر كرومة وحسن ابو قسي الى مركزي أم شنقة وأم بل للقيام بمهام جمع الغلال وانشاء مركز للجهادية والرسائل المحضرة من دارفور ، ولكن احد عربان حمر الدقاقيم ويدعى دقوشين اعتقل جميع الانصار الذين التقى بهم وضبط اكثر من مائة رحل كانت معهم ، فتجمهر هؤلاء العربان وقطعوا الطريق ، وانتهزها بعضهم فرصة فخرجوا على المهدية وتعاليمها ، فتعاطوا الخمر و « التنباك » ، وعندما أبلغ الأمر للخليفة طلب من محمد خالد زقل التحقيق في هذه الحوادث واذا صح وقوعها يقبض على دقوشين ويرسل اليه مكبلا بالحديد[3] ، ولذا ارسل محمد خالد ابراهيم المليح شيخ حمر ليتأكد من تفاصيل هذه الحوادث ويتأكد من حقيقتها وان المدعو السيد الخليفة الغرة قد شرب الخمر وتعاطى «التنباك»[4] وقد بذل محمود جهدا طيبا للتأكد من أصل هذه الحوادث ولكن الخليفة

---

(1) Wingate, F. R., **Mahdiism and Egyptian - Sudan, (1968), P. 256.**

(٢) مهدية ١/٢/٣ رقم ١٩٧ ص ٥٧ ، ٢٤ شوال ١٣٠٢ (٥ اغسطس ١٨٨٥) .

(٣) مهدية ١/٢/٣ رقم ٢٦٦ ص ٧٧ ، ٦ القعدة ١٣٠٢ (١٦ اغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى محمد خالد زقل .

(٤) مهدية ١/٢/٣ رقم ٢٣٩ ص ٦٩ ، ٢٨ شوال ١٣٠٢ (٩ اغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى محمود عبد القادر .

طالبه بألا تكون سببا في تأخره عن الحضور لتقديم البيعة وولاء الطاعة ، واذا لم يجد الوقت الكافي لحسمها يمكنه أن يكلف من يقوم بعلاجها لحين عودته[1] .

وحدثت تحركات أخرى بين القبائل فقد ثار الجوامعة وحاولوا التنصل عن المهدية ورفضوا دفع الاموال المطلوبة منهم ولم يعترفوا بعامل المهدية عليهم ، فأرسل اليهم الخليفة يعظهم وينذرهم من التمادي في مثل هذه التصرفات[2] ، ولكن بعض الافراد لم يرعووا لهذه النصائح فتمادوا في معارضتهم مثل آدم ازيرق احد مقاديم موسى الاحمر ومحمد ولد عبدالرحيم (بحلة الحلقان) ، ولكن قبض عليهما وارسلا مخفورين الى الخليفة لمعاقبتهما[3] .

وقد استمرت هذه الحركات فامتدت الى دار رحمة فهاجم القنافيد الانصار وارتكبوا بعض الموبقات مما يتعارض ودعوة المهدية ، فضلا عن ان بعض « الحلال » أو القرى تعرضت لهجمات متكررة من بعض الافراد مثل « حلة » أم سديرة التي تعرضت لهجوم من المدعو علي ولد دلدوم .

تلك بعض الاحداث التي وقعت في هذه الفترة وكان من واجب محمود عبد القادر أن يجد نها الحلول السريعة وأن يعمل على استتباب الامن واستقرار نظام المهدية وتعميقه ، غير انه في حقيقة الامر كان اقتناع القبائل بمبادىء المهدية وتعاليمها ضعيفا وربما ينطبق ذلك على بقية أجزاء السودان ،

---

(١) مهدية ١/٢/٣ رقم ٣٨٣ ص ١٢٣ ، ٢٦ القعدة ١٣٠٢ (٥ سبتمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى محمود عبد القادر .

(٢) مهدية ١/٢/٣ رقم ٣ ، ٢٥ رمضان ١٣٠٢ (٨ يوليو ١٨٨٥) من الخليفة الى كافة الجوامعة .

(٣) مهدية ١/٢/٣ رقم ٢٢٥ ص ٦٣ ، ٢٧ شوال ١٣٠٢ ، (٨ أغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى علي ابو عاقلة .

فقد تزايدت اضطرابات القبائل في كردفان وابتعدت عن تعاليم المهدي الروحية ، فليس في الامكان أن يتخلص أهالي الدار في هذه الفترة الوجيزة من عاداتهم وتقاليدهم التي رسخت في مجتمعاتهم منذ حقب طويلة ، وانه مما زاد هذه القبائل نفورا من المهدية وعدم التزامهم بدعوتها ، ظهور الانصار بمظهر التسلط لجمع الغلال واتباع أساليب العنف للحصول عليها حتى شعر هؤلاء السكان وكأنهم في امتداد لعهد التركية من حيث الارهاب وجمع الضرائب بالقوة مما يتنافى ودعوة المهدية ، هذه المظاهر التي انتهجها بعض الانصار أغضبت العربان وأثارتهم حتى تذمروا وتحركوا ضد نظام المهدية نفسه ، مما جعل الخليفة يعمل لعلاج هذه المسائل بالطرق السلمية ، فطلب من محمود عبد القادر أن يرسل هؤلاء الخارجين الى أم درمان حيث يشاهدون قوة المهدية واستعراضات جيوشها . ويشاهدون سيطرة الخليفة ومقدرته[1] ويجلسون في مجالس تعليم آداب المهدية ، حتى يتعلموا نهج الثورة المهدية ويتشربوا فلسفتها ، ومن ثم لن يعودوا الى التعدي والخروج على المهدية وسيحسن ولاؤهم وانتماؤهم .

وفي نفس الوقت أصدر توجيهات الى قادة المهدية في كردفان بمراقبة « العربان » في المناطق المختلفة حتى لا يهربوا ويلتجئوا الى مناطق الجزيرة وغيرها وخاصة أولئك الذين أظهروا معارضتهم للمهدية ، وأمر باتباع الاساليب السلمية التي تضمن تنفيذ تلك الاوامر اذ أن ذلك سيعمل على ابقاء كل العناصر التي يمكنه الاستفادة منها في منطقة واحدة ولا يجعلها تتأثر بتلك الفصائل التي يمكن أن تقاومه وتقف ضده ، كما أصدر توجيهاته الى سكان كردفان بألا يأووا الهاربين أو الخارجين على حكمه سواء كانوا

---

(١) مهدية ١/٢/٣ رقم ٢٢٨ ، ص ٦٥ ، ٢٨ شوال ١٣٠٢ (٩ اغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى علي ابو عاقلة .

من سكان كردفان أو غيرهم ، وحذرهم بأن مـن يفعل ذلـك سيتعرض للعقوبـة[1] .

وركز في هذا الاجراء على بعض القبائل وسعى لجذبها لموالاته وذلك لاحساسه بأن ولاءها للمهدية ضعيف ولا بد من تطويعها واخضاعها ، ومن هذه القبائل قبيلة الجمع مناطح ، ولكنهم اعرضوا عنه وحاربوا قائده يونس الدكيم ، كما عصوا حمدان أبي عنجة ، وقد استمال بعض رجال دار محارب وسلطهم على أهلهم وخول لهم قتالهم وأسرهم وضبط أموالهم ، كما اعتبر أموال وسلاح عساكر أبي كلام شيخ الجمع غنيمة يمكن مصادرتها وضمها للمهدية وكلف يونس الدكيم باستلامها لانه في حالة حرب وجهاد[2] ، وتوحي هذه الاجراءات باقتناع الخليفة بأن هؤلاء لا يمكن الاعتماد عليهم ولا ضمان ولائهم .

غـير انه في نفس الوقت لجأ الى تعيين أشخاص من الموالين له داخل اقليم كردفان ، وفي أغلب الاحيان يكون هذا الشخص من سكان المنطقـة نفسها ، فقد عين حسيب احمد جمال الدين على شات وفوضه بان يقـوم بتنظيم مسؤولياته واختيار من يقوم بمساعدته في أعماله ووضح له حدود ادارته ، حتى لا يحدث التعدي على مناطق غيره ، وقد استطاع حسيب أن يجمع أموالا من منطقته ، بلغت الفين ريال مجيدي والفين قرش ، واخبر بها الخليفة فطلبه أن يحضرها الى البقعة[3] .

والمعروف ان عمال المناطق كانوا يقومون بايراد هذه المتحصلات الـى

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ رقم ١٩٩ ص ٦٣ ، ٣ صفر ١٣٠٣ (١١ نوفمبر١٨٨٥) من الخليفة الى يونس الدكيم .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٢٢٣ ص ٧٣ ، ٩ صفر ١٣٠٣ (١٧ نوفمبر١٨٨٥) من الخليفة الى يونس الدكيم .

(٣) مهدية ١/٢/٣ رقم ٢١١ ص ٦٠ ، ٢٧ شوال ١٣٠٢ (٩ اغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى حسيب احمد جمال الدين .

الخليفة فقد وصلته حينذاك أموال من مناطق مختلفة ، ألف ريال من الكواهلة ، ٥٠٠ ريال من الكبابيش ، كما وصلته من علي منير عامله على الكواهلة بضائع ورقيق[١] .

وتشير هذه المعلومات الى ان الخليفة سعى لتوطيد علاقاته بالمسؤولين عن المناطق مباشرة ، والاستفادة من هؤلاء القادة الموالين له على خلق ثقل جماهيري من فصائل متجانسة من أبناء الغرب تدعم جانبه وتزيد قوته ، ليجدها على استعداد عندما يلجأ اليها .

حادث الجهادية في الابيض وتطوره :

الجهادية هم الجنود السوادنيون السود في الجيش المصري ، وكانوا يشكلون فرقة نظامية ، وقد استطاع المهدي أثناء معاركه ضد الحكومة التركية في كردفان أن يأسر اعدادا كبيرةمنهم في حين ان بعضهم كان ينتهز فرصة تلك المعارك ويفر الى اهله في منطقة جبال النوبا . وعندما احتاج المهدي الى استخدام الاسلحة النارية ، كون منهم فرقة عقب معركة الابيض الشهيرة يقودهم حمدان ابي عنجة ، وقد لعبوا دورا كبيرا في معركة شيكان نوفمبر ١٨٨٣ وغيرها فيما بعد .

وعندما غادر المهدي الابيض ترك جانبا منهم مع محمود عبد القادر في كردفان ، ومن ثم عمل محمود على تقويتهم واستمالة من هرب الى أهله من قبل للعودة والانضمام لجيش المهدية كما انضم اليه عدد من جهادية دارة ، فارتفع عددهم في جيش محمود الى حوالي ثلاثمائة جهادي ، وكان كثير منهم يقطنون جبل الداير وكانوا في عداء مع المهدي حيث أسرتهم قوات المهدية واستخدموا بعضهم في بناء منازلهم[٢] على نحو ما كان يفعل الاتراك ،

---

(١) مهدية ٣/٢/١ رقم ٢١٢ ص ٦١ ، ٢٧ شوال ١٣٠٢ (٩ اغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى علي منير .

(٢) Slatin, R. **Fire and Sword in the Sudan,** (Translated by Wingate) 1879 - 1895, P. 393.

فحقدوا عليهم وأحسوا وكأن هؤلاء يسترقونهم، فعادت الى أذهانهم الصورة القديمة التي كانوا يعيشونها ، بل ان بعضهم رأى انهم كانوا في وضع أحسن على عهد الحكومة التركية ، وانهم كانوا يتقاضون مرتبات ثابتة ، وفي مستوى معيشي أرفع حينما كانوا يعملون في الجيش التركي واشتهر بعضهم بالفروسية وعاش في مصر فتفتحت بصائرهم على نمط من الحياة الاجتماعية اكثر تقدما ، وقد فطن محمود عبد القادر الى ذلك فعاملهم برفق واعطاهم القمح لغذائهم ، ورغم ذلك ما فتئوا يقارنون حياتهم بحياة الانصار الآخرين ،الذين كانوا في نظرهم فئة من الجلابة انتهزوا فرصة الوضع الجديد فتولوا الامور وتعالوا عليهم وتولوا قيادتهم ، ولذلك ضاقوا ذرعا بهم[1] . وعندما واتتهم الفرصة تمردوا على الحكم وخرجوا على نظام المهدية وقاوموا جيشها في الابيض .

ويرى الخليفة ان أسباب تمرد الجهادية في الابيض يرجع الى مجموعة الجهادية الذين قدموا من دارفور ، لان هؤلاء لم يعيشوا في مجتمع المهدية حتى تصقلهم بتعاليمها وتقاليدها ، ولم يجتمعوا بجيوش المهدية ولم يتعلموا نظامها ، وعندما حضروا للابيض اتحدوا مع بعض المصريين المقيمين بها وأغروا الجهادية القدامى في جيش المهدية واتفقوا على الخروج وعصيان النظام[2] .

والحقيقة ان ذلك ليس السبب الوجيه في هذا التمرد ، فان حوادث الجهادية في الابيض عبارة عن سلسلة متصلة من حوادث اخرى نشبت من الجهادية في السودان كتمرد الجهادية في كسلا ابان حكم التركية في مارس

---

(1) Ohrwalder, op. cit, P. 209.

(٢) (أ) مهدية ٣/٢/١ رقم ٢٥٦ ص ١٦٤ ، ٢٩ الحجة ١٣٠٢ (٨ اكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

(ب) مهدية ١/٢٥ ١ ص ٤٩ ، ٢٩ الحجة ١٣٠٢ ، (٨ اكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

١٨٦٥[١] ، وكذلك تمرد الجهادية في النهود على عهد محمود ود احمد في ١٣ ذي الحجة ١٣٠٨ ، ٢٠ يوليو ١٨٩١ • ومثل هذه الحوادث ترجع الـى الشعور السائد بين هؤلاء السود بأن العرب ينظرون اليهم نظرة احتقـار ، وان لونهم الاسود يسبب لهم عقدة نفسية تولد كثيرا من الانفعالات الـذاتية والجماعية ، وتأخذ شكلا حضاريا معينا سرعان ما تتولد عنه انفجـارات كالتمرد أو العصيان أو الاضطرابات ذات الاشكال المختلفة ، بغرض البحث عن حريتهم الاجتماعية والتخلص من هذه النظرة ذات الصبغة العنصريـة واللونية التي يعاني منها المجتمع ، اذ ان النظرة اليهـم كعبيد مازالت سـائدة •

وقد انتهز هؤلاء الجهادية فرصة سفر محمود عبد القادر الى أم درمان لتنفيذ خطتهم بالتمرد ، وقد حددوا ساعة الصفر في عيد الاضحى ١٣٠٢/ ١٨٨٥ عندما ينشغل الانصار بالصلاة والعرضة ، فينقضوا عليهم بالسلاح ولكنهم سرعان ما استدركوا ان هذا الاجراء قد يروح ضحيته الابرياء ولذا قرروا تأجيل الأمر الى اليوم الثاني • وفي الموعد المحدد تمكنوا من الاستيلاء على الترسانة وأعلنوا عصيانهم[٢] ، بعد أن قتلوا الحراس وأقاموا المزاغل واستعدوا لهجوم الانصار ، ولكن الانصار عندما حاولوا استعادة الترسانة اشتبكوا معهم في قتال راح ضحيته الكثير •

ويشرح اهرولدر حالة الجهادية داخل الترسانة بأنهم كانوا في مرح وحبور يغنون ويرقصون ويشربون ويسخرون من الانصار حتى انهم ردوا أحد أئمة الانصار عندما ذهب اليهم يدعوهم الى التسليم وانهاء العصيان كما طالبوا باعدامه مقابل أحد زعمائهم الذي أسره الانصار[٣] والذي يبدو انهم قـد

---

(١) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٥٤٦ .

(٢) Ohrwalder, op. cit, P. 210.

(٣) Ibid, P. 214.

أعدموه عندما قبضوا عليه ، وقد أغرى ذلك الانتصار الجهادية فحاولوا التقدم نحو المديرية والاستيلاء على المدافع المثبتة أمام مدخلها ، وقد تصدى لهم الانصار في هذا الموقف فتقهقروا ، ثم قرروا بعد ذلك أن يخرجوا من الابيض ، لان الانصار ضيقوا عليهم جدا وقاوموهم ، ولانهم أرادوا أن يجدوا مجالا ينظمون فيه أنفسهم ، فخرجوا بنسائهم واولادهم وساروا حتى وصلوا جبل النما[1] ، بعد ان خربوا بعض المنازل وأسروا النساء اللاتي وجدوهن في الطريق ، وقتلوا كثيرا من الانصار .

وهناك أعلنوا انفصالهم عن المهدية وانضمامهم الى الخديوي وعملوا على انهاء أي مظهر من مظاهر المهدية وحافظوا على الاسلحة والذخيرة وعينوا المدعو علي يوسف أميرا عليهم[2] .

وعندما بلغت تلك الحوادث الخليفة في أم درمان خشي أن تتطور في كردفان ، وهي المنطقة التي يعتمد عليها بشريا ، ولذا كتب الى حمدان أبي عنجة عامله في جبال النوبا حينذاك يخطره بتفاصيل هذا الحادث والتجاء الجهادية الى الجبال ويطلب منه أن يتعقبهم ويقبض عليهم ويرسلهم اليه في أم درمان[3] .

ثم بدأ الخليفة يعيد النظر في عمالة كردفان وكيف يستقيم له الامر فيها واهتدى الى ضرورة نقل محمود عبد القادر منها ، لأنه يريد أن يوليها شخصا من خاصته يثق في ولائه ، ويطمئن الى اهتمامه بقمع أي تمرد أو خروج على سلطة المهدية ، ولن يتم ذلك الا اذا كان عليها واحد من أهله ، ولذا قرر نقل محمود عبد القادر الى دنقلا لمعاونة عبد الرحمن النجومي مدعيا بان مصلحة الدين اقتضت ذلك .

---

(١) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٤٢ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مهدية ٣/٢/١ رقم ٥٢٦ ص ١٦٢ ، ٢٩ الحجة ١٣٠٢ (٨ اكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان أبي عنجة .

أما محمود عبد القادر فقد كان بام درمان عند نشوب ذلك الحادث ليقدم ولاء البيعة للخليفة ، فبلغته اخبار تمرد الجهادية وهربهم الى الجبال فطلب الاذن من الخليفة بالرجوع الى الابيض ، وهو ينوي مواصلة الجهاد لاخضاع هؤلاء الجهادية فسمح له الخليفة بالعودة .

وفي الابيض اتهم محمود أمراءه بالجبن والضعف أمام هذا الحادث وأنبهم على تقصيرهم في كبح جماحهم ، وقرر على الفور مطاردة الجهادية في الجبال فأعلن الجهاد ، وأبدى الانصار اعتذارهم عن تهاونهم في الامر وطلبوا عفو الخليفة ، وأظهروا الطاعة والولاء لمحمود وأسفوا لما حدث[1] ، وأرسل محمود يستنفر قبائل حمر والمسيرية للجهاد وطلب من الخليفة أن يوجه رسله لهذه القبائل لتكون في مناطقها على أهبة الاستعداد اذ أن بعض مجموعات من هذه القبائل تعيش وسط سكان الجبال وسيساعد وجودها هناك على اخضاع الجهادية .

ثم غادر الابيض الى جبل النما[2] ، وهو في غاية التفاؤل بانهاء هذه الازمة وذلك لاحساسه بان هذا التمرد يرجع الى سوء المعاملة التي لقيها الجهادية من الانصار في أثناء غيابه ، ولان هؤلاء الجهادية حصروا في منطقة انجبال من عدة جهات ، فمن جهة الجبال يستعد لهم حمدان ابو عنجة بقواته وتستعد لهم هذه القبائل التي استنفرها ، ومن الابيض خرج لهم شخصيا بقواته واستعداداته ، وكان يعتقد أيضا ان علاقته بهم طيبة وانه في الابيض استطاع أن يهدىء خواطرهم ويطمئنهم الى المهدية ، ولذلك فانهم سيبادلونه ذلك الاحساس عندما يخاطبهم في جبال النما .

وهناك وجه لهم الامان وطالبهم بالتسليم كما أعلن لهم أمان الخليفة

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ ص ٨٨ ، ٢١ صفر ١٣٠٣ (٢٩ نوفمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى انصار الدين جماعة الحبيب محمود عبد القادر .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٢٧٨ ص ٩٠ ، ٢١ صفر ١٣٠٣ (٢٩ نوفمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى محمود عبد القادر .

وعفوه عنهم اذا سلموا وأذعنوا ، ولكن الجهادية رفضوا ذلك واحتموا باحد جبال النما وصعدوا الى قمته واستعدوا لمواجهة محمود عبد القادر ، ومن ثم التحم مع الجهادية في معركة ، انتصروا فيها ، فقد كانت استحكاماتهم أقوى ، فهم في قمة الجبل في حين ان قوات محمود تقف مكشوفة أمامهم ، فقتل محمود عبد القادر في هذه المعركة في ٢٠ ديسمبر ١٨٨٥ ، وقتل من الانصار ستون شخصا وتقهقرت البقية الى الابيض ، بينما قتل من الجهادية حوالي مائة جهادي ، وهذا يدل على ضراوة القتال • وقد تشتت بعض الجهادية في الجبال كما جرح آخرون[1] ، وكان لهذه النتيجة وقع سيء في نفس الخليفة لما سيترتب عليها من خطورة في الموقف وعدم استقرار ، ولان انتصار الجهادية سيجعلهم يتمادون في عصيانهم وينتشر هذا التمرد مما يضر بسياسة الخليفة في كردفان الرامية الى ضرورة استتباب الامن وخضوع كل سكانه لحكمه ، ولذلك اتخذ من التدابير ما يعمل على درء هذا الخطر ويمنع من استفحاله فجدد توجيهاته الى حمدان أبي عنجة بتعقب هؤلاء الجهادية والترصد لهم في كل مكان بتلك الجهات ، وارسل يخاطب الجهادية أنفسهم بأن ما حدث كان نتيجة للمعاملة والمضايقة التي لقوها أثناء غياب محمود عبد القادر ، ويعدهم بمعاملة طيبة وحسنة تليق بهم ان هم أطاعوا وخضعوا ، ثم ينذرهم في نفس الوقت بأنه سيقبض عليهم بالقوة اذا لم يسلموا لحمدان[2] •

ولكن الجهادية واصلوا تمردهم وحاولوا اغراء بعض مكوك الجبال وبعض العربان هناك بأن يناصروهم ويمدوهم بالمؤن ، وفرضوا سيطرتهم عليهم مما أدى الى حدوث خلافات بينهم ، ومن ثم عمل حمدان ابي عنجة

---

(١) مهدية ٣/١٣/٢ ص ٤ ، ٢٥ صفر ١٣٠٣ (١٣ نوفمبر ١٨٨٥) من محمد ولد عبد الماجد الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/٣/٣ رقم ٣٦ ص ١٢٥ ، ٣ ربيع آخر ١٣٠٣ (٩ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى كافة الجهادية الذين كانوا ببقعة كردفان .

ـ بناء على أوامر الخليفة ـ على انهاء هذه الازمة،فجردعليهم حملات عسكرية استطاعت في النهاية من حصارهم عندما أرادوا التحصن في جبل تلك . وهناك ضيقت عليهم الخناق فأسرت بعضهم وفر آخرون فتعقبتهم جيوشه حتى قضت عليهم قضاء مبرما ، وأرسل حمدان رؤوس زعمائهم القتلى للخليفة تبيانا لحقيقة أمرهم ، وبذلك تمكن حمدان من انهاء أمر الجهادية وتفرغ للمشاكل الاخرى في الجبال[1] .

تهجير أولاد البلد من كردفان :

كانت سياسة الخليفة الرامية الى اسناد كل مناصب الدولة الهامة كعمال الاقاليم وأمراء الجيوش الى أهله التعايشة ذات أثر فعال في ان يفقد كل عون من قبائل البحر[2] التي كانت تحس انها من ناحية حضارية على الاقل أكثر دراية بشؤون الادارة واكثر معرفة بامور الدين والتجارة[3] .

وقد ظهرت كثير من الحساسيات بين أولاد البلد واهل الغرب منذ أيام المهدي ، فقد خاطب المهدي الخليفة عبد الله ـ عندما تعدى بعض أقارب الخليفة على بعض اقارب المهدي ـ بانه لا ينبغي أن توضع الاحكام في يد العامة وان تقتصر على النواب والامراء وان يعاقب كل من يخالف هذه القاعدة[4] .

وقد كثر اولاد البلد في كردفان ، اذ كان بعضهم يعمل في التجارة وهاجر فريق منهم صحبة المهدي وآخرون لحقوا بالمهدي هناك واشتركوا معه في

---

(١) راجع تفاصيل هذا في الفصل الثاني ص ٩٣ .

(٢) Holt, P. M. **The Archives of the Mahdia**, P. 10

(٣) مكي شبيكة ، **السودان في قرن** ، ص ٢٤٨ .

(٤) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ٨٢ ، وثيقة ١٦٢ ، ١٣٠٠ ، ١٢ نوفمبر ـ ٣١ اكتوبر ١٨٨٣ من المهدي الى الخليفة عبد الله .

المعارك الكثيرة التي خاضها ، وكونوا فرقة خاصة بهم ، وكان منهم أمراء الجيوش • وتركزوا بصورة قوية عندما عين المهدي محمود عبد القادر عاملا على كردفان ، وكانت قواته أغلبها من أولاد البلد •

وعندما تولى الخليفة عبد الله رأى ان يفرض سيطرة قوية على كردفان باعتبارها موئل أنصاره ونفوذه ، وان ذلك لن يتم الا باخضاع قبائل كردفان وابعاد العناصر التي يخشى أن تؤثر على ضمان خضوع تلك القبائل اليه ـ كأولاد البلد ـ لما لهم من نفوذ وتداخل بين كثير من قبائل كردفان •

ولهذا مثلا اتخذ اجراءات حاسمة ضد قبائل المسيرية الذين اكثروا من التعدي على المهاجرين الى امدرمان واثارة الخوف في نفوسهم[1] لسلب اموالهم وممتلكاتهم ولعرقلة مواصلة هجرتهم الى ام درمان• كذلك بدأ يتخذ الاجراءات الكفيلة بتصفية اولاد البلد عن كردفان سواء من مناصبهم الرسمية او ترحيلهم الى الشمال ، وفي نظره ان كثرة أولاد البلد ستؤثر على قوته ، ولذا كان قراره في البداية بنقل محمود عبد القادر الى دنقلا ، والاصرار على ذلك النقل حتى تذرع محمود بدعوى احضار عائلته فرجع الى كردفان وبقي هناك يحارب الجهادية حتى قتل •

وبعد موت محمود امر الخليفة محمد عبد الماجد وابراهيم رمضان وهما من قادة محمود ذوي المسؤولية في كردفان بان يحضرا اليه في أم درمان تنفيذا للامر الصادر الى محمود عبد القادر بالتوجه الى دنقلا[2] ، وان يتولى علي أحمد الهاشمي مؤقتا مسؤولية الاشراف على كردفان[3] •

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ رقم ١٧٢ ص ٥٤٠ ، ٢٩ محرم ١٣٠٣ (٧ نوفمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى ابي جلوق محمد فتين .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٥٣٦ ص ١٨٠ تاريخ ٣ ربيع آخر ١٣٠٣ (٩ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى علي أحمد الهاشمي .

(٣) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٤١٥ ص ١٣٥ ، ١٧ ربيع أول ١٣٠٣ (٢٤ديسمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى محمد عبد الماجد وابراهيم رمضان .

ثم أصدر أمرا الى كل أتباع محمود عبد القادر في كردفان بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للسفر الى أم درمان • وقد اهتم بتنفيذ هذه السياسة وخاصة عندما أحس بتكتل هؤلاء ورغبتهم في البقاء في كردفان بدليل اختيارهم علي بخيت أحد قادة محمود عبد القادر ليتولى المنصب الشاغر بموت محمود عبد القادر ، وهذا يوضح الميول القبلية السائدة بين الجانبين ، فعندما يتجه الخليفة الى التحكم في أمور كردفان وضرورة اسناد مهامها الى شخص من خاصته يعتمد عليه كلية ، يفكر أتباع محمود وهم من أولاد البلد في ضرورة تعيين شخص منهم ليكون خلفا لمحمود •

وقد وسع الخليفة من حملته في تهجير أولاد البلد ولم يحصرها في اتباع محمود فقط كما خطط لتهجير عشائر الغرب التي شعر بميولها لأولاد البلد أو محمود عبد القادر • وفي اشارة منه ليونس الدكيم أمره بألا يصحب أولاد البلد ولا يخالطهم ولا يقبلهم ضمن رايته ، وعليه أن يقبض على أي فرد منهم يحضر اليه ويرسله الى أم درمان بغرض تصفيتهم عن كردفان نهائيا ، كما أكد عليه عدم اعطائهم أي مسؤوليات وخاصة الاشراف على بيت المال ويمكنه الاستعانة — ان أراد في هذه المسائل — بأولادالعرب ، كأولاد حميدوالهبانية والجوامعة لأن هؤلاء في اعتبار الخليفة من المؤمنين الاخيار المنقادين المتضح صفاؤهم وزهدهم وصدقهم وحسن نيتهم[1] ، وهذا تأثير نفسي أراد الخليفة اتخاذه لجذب هؤلاء من الناحية الروحية ، وتنفيره من الآخرين وهم أولاد البلد باعتبار أن هذه الصفات الحميدة لاتنطبق عليهم • وقد أراد الخليفة بذلك أن يفصل بين أولاد البلد وأولاد العرب ، ويمنع حدوث أي اختلاط بينهم وذلك حتى لا يتأثروا بهم ، ولهذا أثر آخر هام وهو أن بعض أولاد البلد يعملون كتجار في كردفان وهذه الدعوة ستؤثر على علاقاتهم الاجتماعية والتجارية بعد أن أثرت بوضوح في علاقاتهم السياسية •

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ رقم ١٩٠ ص ٦٠ ، ٣ صفر ١٣٠٣ (١١ نوفمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى يونس الدكيم •

ووسع الخليفة من نشاطه ضد أولاد البلد في كردفان فأكد على الجوامعة ضرورة تهجير جميع أولاد البلد من دناقلة وجعليين وغيرهم الى البقعة بكل ممتلكاتهم وعوائلهم وحذر من أن يتخلف واحد منهم بالدار وخاصة فيمناطق أم ضفيرة والجريساب والدومة وغيرها ، وأن يتم ذلك بأي أسلوب سواء عنوة أو طواعية بل ان من يرفض يجب أن يكبل بالحديد[1] والخليفة بذكره لهذه البلاد أراد أن يعمم جميع المناطق التي يمكن أن يوجد بها أولاد بلد وعلى الجوامعة تعقبهم في كل تلك المناطق .

ثم اتجه الخليفة بعد ذلك الى الاهتمام بمسألة إختيار من يخلف محمود عبد القادر في كردفان ، ورأى أن ظروف كردفان والحوادث التي نشبت فيها وأهميتها بالنسبة لسياسته تحتم عليه أن يختار شخصا كفؤا ، ولذا أشرك مستشاريه في أم درمان وقادته في بعض العمالات في هذا الموضوع ، فأشار عليه حمدان أبو عنجة بأن يختار رجلا من أتباعه القادرين الموالين للراية الزرقاء[2] ، ورشح له مستشاروه في أم درمان يونس الدكيم باعتباره قائدا يمكن الاعتماد عليه ، ولكن الخليفة لم يعترض على هذا الاختيار في البداية بل رأى التريث حتى يهيء له الجو المناسب لسفره ، لأنه في ذلك الحين كانقد استدعى محمد خالد زقل من دارفور ، كما علم بأن الاشراف قد عقدوا مجلسا فيما بينهم وتدارسوا فيه منصب عامل كردفان الشاغر وأصروا على ضرورة الاحتفاظ به وملئه منأتباعهم[3] ، وخشي الخليفة أن يحدثتواطؤ بين هؤلاء ومحمد خالد زقل ولذا رأى أن ينتظر حتى يعبر زقل كردفان في طريقه الى

---

(1) مهدية ١/٢/٣ رقم ٢٣٢ ص ٦٦ ، ٢٨ شوال ١٣٠٢ ، (١٠ اغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى حامد نوفل .

(2) مهدية ١/٢/٣ رقم ٥٤٢ ص ١٦٨ ، ٣ محرم ١٣٠٣ (١٢ أكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

(3) مكي شبيكة ، **السودان في قرن** ، ص ٢٥١ .

أم درمان[1] . لتفادي أي اشكال قد يحدث بينهما في كردفان .

ثم أعاد الخليفة النظر في من يملأ هذا المنصب ، ويرجع ذلك لاعتبارات سياسية منها أنه رأى ضرورة جعل منطقة غرب السودان (كردفان ودارفور) عمالة واحدة تسمى عمالة الغروب ، وأنه قرر أن يسند تلك المهمة الى شخص يثق فيه ثقة تامة ويعتمد عليه ، ولذلك اختار عثمان آدم بدلا عن يونس الدكيم الذي كان مرشحا لذلك ــ وكان هذا الوضع يتطلب أن يكون لعامل الغروب وكيلا في الابيض يدير أمور كردفان فاختار الخليفة علي ولد الهاشمي وكيلا لعامله في الابيض ، كلفه بأن يبذل جهده في جمع الكميات الكافية من العيوش كما أوصاه بحسن الرعاية وعدم السماح (لجماعته) بالتعدي على الاهالي[2]، ثم أخطر شيوخ القبائل بالمساهمة مع علي الهاشمي في تحصيل هذه العيوش لمواجهة احتياجات الاعداد الكبيرة القادمة ضمن جيش عثمان آدم[3] ، ومن ثم أصبح علي الهاشمي مسؤولا عن جميع النواحي الادارية وتوفير المؤن الغذائية .

الادارة في كردفان[4] :

قسم الخليفة السودان الى عدد من العمالات ، وبحكم الظروف الجغرافية كان بعض هذه العمالات على الحدود فغلب عليها الطابع العسكري وكان عمالها

---

(١) مهدية ٣/٢/١ رقم ٥٤٦ ص ١٦٩ ، ٣ محرم ١٣٠٣ ، (١٢ اكتوبر ١٨٨٥) ، من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٤٥٧ ص ١٥١ ، ٢٣ ربيع أول ١٣٠٣ ، (٣٠ ديسمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى علي الهاشمي .

(٣) نفس المصدر .

(٤) يشمل هذا الموضوع الادارة في كردفان حتى نهاية حكم المهدية ، وقد رايت وضعه هنا لان الخليفة بدأ اعادة النظر في موضوع ادارة هذه المنطقة عندما كان يفكر في نقل محمود عبد القادر وابعاده عن كردفان ، ثم بعد موت محمود عبد القادر خطط للنظام الاداري الذي بدأ بهذه الصورة .

قادة عسكريين وولاة معا ، اذ كانت بمثابة الدرع الواقي لصدر الدولة كعمالة القلابات ودارفور ودنقلا ، أما العمالات الداخلية فغلب عليها الطابع المدني ، وكانت مهمة عاملها جمع العشور والزكاة وحفظ النظام والامن ، وقد عمل الخليفة أن يصبح كل عماله من اهله التعائشة وخاصة في العمالات العسكرية اذا استثنينا عثمان دقنة[1] . ويلاحظ أن تقسيم السودان الى عمالات يتفق الى حد ما مع النظام الاداري الذي كان سائدا في عهد الادارة التركية حين قسمت السودان الى مديريات كانت حدودها تتغير مع تغير الظروف الادارية ، وقد اعتبر الخليفة نفسه الرئيس الاعلى للهيكل الاداري في دولته ، وسلك نوعا من المركزية الشديدة التي ترجع كل الامور — مهما صغر شأنها — اليه .

أما كردفان فكانت عمالة داخلية ذات طابع مدني ، ورغم ذلك كانت تشكل أهمية ادارية لدى الخليفة ، ولذلك كان يعين عليها دائما من يثق فيه ثقة كاملة من العمال ، وترجع أهميتها الى أنه يعتبرها سنده وموئل أنصاره فضلا عن انها كانت توفر لجيوشه العيوش والغلال في أوقات كثيرة ، وخاصة لدارفور باعتبار أنها احدى عمالات الحدود ينبغي أن ينصرف جيشها للدفاع عن المهدية .

ثم جعل الخليفة عمالة كردفان ودارفور عمالة واحدة سميت بعمالة الغروب وسمي العامل عليها بعامل عموم وذلك عقب تجريد حمدان أبي عنجة لمحمد خالد زقل في بارة ابريل ١٨٨٦ ، وعين عليها عثمان آدم في ١٢ ربيع أول ١٣٠٥ الموافق ٢٨ نوفمبر ١٨٨٧[2] . ثم أسندت فيما بعد الى محمود ود أحمد واستقرت كذلك حتى عام ١٣١٤/١٨٩٧ . وفي هذا الاثناء كان يحكم كردفان وكيل لعامل الخليفة[3] له صلاحيات العامل الكاملة داخل كردفان وكان مقر

---

(١) Holt, The Mahdist State, P. 227.

(٢) مهدية ١/١١/٣ ص ١٩٥ ، ١٢ ربيع أول ١٣٠٥ (٢٨ نوفمبر ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٣) Holt, The Mahdist State, P. 225.

عامل كردفان أو وكيله هو مدينة الابيض التي كان يطلق عليها في كثير من مكاتبات الخليفة مركز كردفان أو مركز الابيض وهي بمثابة عاصمة العمالة . أما عامل عموم الغروب فكان يتنقل في اقامته بين الفاشر والابيض وان كان أكثر بقائه في الفاشر . ولم يكن لعامل كردفان أو وكيله مرتب خاص[1] يتقاضاه كل شهر أو كل سنة وترك ذلك لظروف العامل ولكنهم كانوا يتقاضون مايحتاجون اليه مما يجمع من أموال أو عشور فكان له نصيب منها ، وقد جعل هذا الوضع بعض العمال يلجؤون للحصول على الاموال عن طريق ادخال بعض أموال الدولة لمنفعتهم الشخصية ، وقد بالغ بعضهم حتى اضطر محمود ود أحمد لتبليغ الامر للخليفة في أم درمان[2] . وقد أقام بعض العمال أو وكلاؤهم في الابيض وكلاء آخرين لهم يعملون كسكرتيرين ، يقابلهم أصحاب المشاكل والحاجات قبل مقابلتهم لعامل الخليفة أو وكيله[3] .

ثم تقسمت كردفان في الداخل الى أقسام ادارية لكي يسهل حكمها ، وكان على كل قسم عامل يتبع لعامل الخليفة في الابيض مهمته جمع (حقوق الله والزكاة) ، وكان الخليفة يشترك في اختيار عمال الاقسام الادارية وأحيانا كان يخاطبهم رأسا من أم درمان اذا تطلب الامر ذلك الا أنه في هذه الحالة كان يخطر عامله في الابيض بما يتخذه من اجراء ، ويساعد عامل القسم في هذه المهمة شيوخ القبائل ومساعديهم وأتباعهم[4] .

وقد وضعت هذه التقسيمات في الغالب على ضوء التقسيمات القبلية

---

(١) Reid, J. A. , « Story of a Mahdist Amir », S. N. R. Vol IX Part II (1926) P. 81.

(٢) مهدية ١/١٥/١ ص ٤٠ ، ٢٠ جماد أول ١٣١١ (١١ نوفمبر ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

(٣) Reid, « op. cit, » S. N. R. Vol IX P. 81.

(٤) Reid, « op. cit, » S. N. R. Vol IX, P. 80

القائمة ، وجعل كل منطقة مخصصة لأهلها فقط ، ولم يسمح منذ عهد المهدي لأي مجموعة أن تقيم في منطقة غير منطقتها أو تنضم الى مجموعة أخرى وحتى اذا تم شيء من ذلك يكون باذن خاص من الخليفة ، والغرض من ذلك مساعدة السلطات على الاستفادة الكاملة من الاقاليم المنتجة للمحصولات ، وفي هذا ضمان أيضا للتأكد من تنفيذ قبائل الغرب لأمر الخليفة بتهجيرها بكامل أعدادها الى أم درمان ، فضلا عن أنه في تسرب هذه المجموعات الى المناطق المختلفة وخاصة المناطق المناوئة للحكم فيه تهديد لنظام المهدية .

وكان الخليفة يلجأ دائما الى تأكيد حدود هذه الاقسام الادارية ويمنع التداخل بينها ويشتط مع عمالها الذين يحاولون تعدي حدودهم وهناك أمثلة كثيرة لمواقف الخليفة في هذا الصدد ، فعندما أراد بعض أتباع علي أحمد الهاشمي ــ وكيل عثمان آدم في الابيض ــ فرض نفوذهم على بعض القرى التابعة لعلي منير عامل الجوامعة ، تظلم لدى الخليفة رأسا لأنه لا يستطيع الشكوى لوكيل العامل في الابيض اذ أنه المسؤول عن ذلك ، مما جعل الخليفة يصدر أمره لعلي الهاشمي بمنع أتباعه من التدخل في مناطق علي منير ما عدا القرى التي بين الابيض وبارة فهذه من اختصاص عامل الخليفة أو وكيله في الابيض ، أما بقية قرى الجوامعة فهي تابعة لعلي منير[1] .

ومن التقسيمات الادارية الاخرى في كردفان قسم دار حامد وعامله سيماوي تمساح وقسم الكبابيش وصار عامله عوض السيد قريش بعد هزيمة صالح فضل الله شيخ الكبابيش ، وفي ٢٥ ربيع أول ١٣٠٧ ، ١٩ نوفمبر ١٨٨٩ أمر الخليفة بتعيين محمد عثمان خالد عاملا على قسمي خورسي والطيارة ، وبالتالي جعلهما قسما واحدا بعد أن كانتا فيما سبق قسمين منفصلين بدليل أن وكيل عامل الخليفة في الابيض أخطر عاملي هذين القسمين في الطيارة وأم دم

---

(١) مهدية ٣/١٠/٤ ص ٣٢ ، ٥ ذي القعدة ١٣٠٣ (٥ اغسطس ١٨٨٦) من الخليفة الى علي منير .

بتسليم ادارتيهما الى محمد عثمان خالد ، وقد وافق عامل العموم الذي كان بدارفور على هذا التعديل وباركه[1] .

ومن أمثلة اجراء التعديلات في أقسام كردفان الادارية أن محمود ود أحمد ضم قسم النهود وهو منطقة ادارية واسعة الى الاضية وأقام عليها عيسى الزين، والدافع الى هذه يرجع الى أن تلك المنطقة هي من مراكز المسيرية الذين كانوا في هذا البيت يسببون كثيرا من القلاقل لمحمود بسبب رفضهم الهجرة الى أم درمان . وكذلك ضم جبل الحلة الى أم شنقة وأم بل وجعلها قسما اداريا واحدا وعين عليها هدى عطيت الله[2] .

ومن الاجراءات الادارية التي أدخلت في تنظيم كردفان موافقة الخليفة على اقتراح محمود ود أحمد بضم عمالة شات ــ التي كانت عمالة قائمة بذاتها تمتد حدودها من شبشة حتى حدود الجمع[3] الى عمالة كردفان بعد أن ألحق الخليفة منطقة الجمع بعمالة شات لتسهيل عملية تهجير الجمع الى أم درمان[4] .

وفي عام ١٣١٣/١٨٩٥ أعاد الخليفة النظر في وضع عمالة كردفان برمتها وقرر ضمها بأقاليمها وادارتها الى أم درمان لتكون تحت اشرافه المباشر ، على أن يقوم هو بتعيين وكيل عنه في الابيض ، وقد رحب محمود ود أحمد عامل

---

(١) مهدية ٢/٩/٤ ص ١٢١ ، ٢٨ ربيع آخر ١٣٠٧ (٢ ديسمبر ١٨٨٩)من أمبدي عز الدين الى الخليفة ، راجع أيضا ، مهدية ١/١٣/١ ص ٥٢ ، ١٧ ربيع آخر ١٣٠٧ (١١ ديسمبر ١٨٨٩) من عثمان ادم الى الخليفة ، ومهدية ١/١٣/١ ص ٥٨ تاريخ ١٩ ربيع آخر ١٣٠٧ (١٣ ديسمبر ١٨٨٩) من عثمان ادم الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/٣ ص ٣/٣٠٠ ، ٦ جماد أول ١٣١٠ (٢٧ نوفمبر ١٨٩٢) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٣/٤ ص ٧٥ ، ١٨ ربيع أول ١٣٠٩ (٢٢ اكتوبر ١٨٩١) من الخليفة الى محمود .

(٤) نفس المصدر .

العموم بهذا الاقتراح ووافق عليه[1] . وقد برر الخليفة رأيه بأن مسؤوليات محمود ود أحمد قد اتسعت في الغرب وتحتاج الى تفرغ ذهني وعسكري ، وان وكيله والمسؤولين بكردفان لم يكونوا في المستوى المطلوب لاداء المهام الادارية ، مما جعل هذه العمالة وهي منطقة آهلة بالسكان وذات أهمية قصوى بالنسبة للخليفة لا تصله أخبارها بانتظام وتكثر بها الفوضى والمفسدين والمعادين للمهدية .

ولكن ذلك قد يكون نتيجة لأن محمود ود أحمد وهو يباشر مسؤوليات كاملة لم يستطع أن يدير منطقة كردفان حتى انتشرت بها الفوضى ، ولأن الخليفة يهتم بهذه المنطقة من حيث امداده بالعيوش والغلال والقوى البشرية ــ أراد ضمها الى أم درمان . وقد ساعده على ذلك انها عمالة داخلية يستطيع أن يقرر ذلك الاجراء بشأنها ، ومن ناحية أخرى فان الخليفة في هذه الظروف كان يواجه ضغوطا خارجية ، وكان يحتاج الى كل دعم ومسند ، وقد اجتمعت لديه في العاصمة أعداد كبيرة من الجيوش والمهاجرين تحتاج الى الغذاء الكافي ، ولابد من ضمان مصادر الغلال ، كما أنه في هذا الاثناء كان يعمل لدعوة محمود ود أحمد بقواته الى أم درمان والدليل على ذلك استدعائه الى أم درمان للتشاور في بعض المهام والمرجح أنها كانت المسائل المتعلقة (بالاخطار الخارجية)[2] ، ولكن الخليفة أرجأ تنفيذ مشروع ضم كردفان الى أم درمان وظلت على وضعها القائم .

وعندما غادر محمود ود أحمد غرب السودان بكل جيوشه وامكانياته عادت كردفان عمالة قائمة بذاتها وتولاها الختيم موسى .

القضاء : أما من الناحية القضائية فقد كان يتولى القضاء في كردفان قاض

---

(١) مهدية ٨/١٣/١ ص ٣٠٠ ، ١٢ ربيع أول ١٣١٣ (٢ سبتمبر ١٨٩٥) من الخليفة الى محمود ود أحمد .

(٢) نفس المصدر .

يسمى نائب الشرع يعاونه مجلس قضائي برئاسته[1] وكان مكلفا بالنظر في القضايا والاحوال طبقا للشريعة الاسلامية من حيث القرآن والسنة وحسب ما مارسه المهدي في حياته وما أورده في منشوراته الى جانب بعض الاحكام التقليدية العرفية الممارسة .

وكانت مهمة نائب الشرع النظر في بعض القضايا التي يحولها له عامل الخليفة على ضوء ما يفعل الخليفة نفسه في أم درمان[2] ، كالمنازعات وأمر الزواج والطلاق وحجاب المرأة وهي قضايا لها وزنها الديني والاجتماعي وقضايا الملكية ، الا أن هذه القضايا كانت ترسل للخليفة للتصديق أو ابداء الرأي حولها قبل أن يقوم عامل الخليفة في الابيض بالتنفيذ . وهناك بعض القضايا الهامة كانت من اختصاص قاضي الاسلام في أم درمان ولا يجوز لنائب الشرع النظر فيها كقضايا الدم والاطيان[3] ، وكانت هذه ترسل للخليفة رأسا لعرضها لقاضي الاسلام . ومن أبرز نواب الشرع في كردفان المكي أبو حراز ، وسليمان الحجاز الذي عينه الخليفة وكيلا لمحكمة الاسلام في أم درمان عام ١٣٠٤/١٨٨٦[4] ، وفي كردفان أبرز كفاءة ادارية وقضائية جعلت الخليفة يبقيه مع علي ولد الهاشمي للنظر في المواد القضائية[5] . وقد كان لهؤلاء القضاة مكافآت تتراوح بين عشرين وأربعين ريالا شهريا[6] .

---

(١) Reid, « op. cit,» **S. N. R.** Vol IX, P. 80.

(٢) Holt, **The Mahdist State,** P. 242.

(٣) محمد سيد محمد ، **السودان في عهد الخليفة التعايشي** ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، جامعة القاهرة (١٩٦٣) ص ٣٠٠ .

(٤) Holt, **The Mahdist State,** P. 242.

(٥) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٥٢٧ ص ١٧٧ ، ٢ ربيع آخر ١٣٠٣ (٨ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى سليمان الحجاز .

(٦) محمد سيد محمد ، **المصدر السابق** ، ص ٣٠٠ .

وفي كثير من الاحوال كان الاهالي يرسلون شكاواهم وظلاماتهم رأسا الى الخليفة دون الرجوع لنائب الشرع ، اذ كانوا يتوقون الى العدل المطلق بحسب ما بشرت به المهدية ، وقد تكون تلك الشكاوى أحيانا ضد عامل الخليفة في المنطقة ، وفي هذه الحالة كان الخليفة يكلف نائب الشرع بدراسة الامر وتحديد وجهة نظره ثم ترسل للخليفة للبت فيها . وكانت تحدث الخلافات والمنازعات بين قبائل كردفان فيرفع الامر الى الخليفة مباشرة ، وكان الخليفة في مثل هذه الاحوال يوجه النصح لعماله لكي يمنعوا مثل هذه الحوادث ويوقفوا التعدي والنهب ، وأن يراعوا استقلال كل قبيلة وحدودها ، مع مراعاة الشرع في أحوال الخلافات[1] ، وأحيانا كان نواب الشرع يلجأون الى الخليفة حول بعض القضايا التي تستجد عليهم ولا يجدون سوابق لها ولا يستطيعون الفتوى فيها ، وكان الغالب أن يستشير الخليفة قاضي الاسلام في مثل هذه القضايا ، وهو أعلى سلطة قضائية في الدولة حينذاك بعد الخليفة ، والواضح أن القضاء لم يكن مستقلا ، وانما يقع تحت سيطرة الخليفة مباشرة ، ويستطيع الخليفة أن يبدي رأيا قضائيا لا يجد القاضي بدا من تنفيذه ، ومن هنا كانت مهمة القضاء صعبة للغاية ، فعليهم أن يوفقوا بين رغبة الخليفة والنواحي الشرعية .

النظام المالي : لقد كان لكردفان بيت للمال تأسس منذ سقوط الابيض على يد المهدي ، وعندما صارت كردفان ودارفور عمالة واحدة ظل لكردفان أيضا بيت مال مستقل[2] ، وقد استمر بمقره الذي أقامه فيه المهدي الى أن أمر الخليفة عامله عثمان آدم بنقله الى الديم الذي يقيم فيه عثمان آدم وسماه الخليفة (الديم البراني) حيث شيد من زريبة متينة ومخازن لحفظ النقود وما يرد لبيت المال من مواد عينية[3] .

(١) مهدية ٢/٧/٣ رقم ٨٩ ، ١٠ جماد اول ١٣٠٣ (١٥ فبراير ١٨٨٦) من الخليفة الى علي منير .

(٢) Holt, **The Mahdist State**, P. 225.

(٣) مهدية ٤/١٠/٣ ص ١٠٠ تاريخ ١٦ ربيع اول ١٣٠٤ ، من الخليفة الى عثمان ادم .

وكان دخل بيت المال من العشور التي تؤخذ على الزراعة والدواب ومن الغنائم ، وكان الخليفة يقدر قيمة العشور من وقت لآخر ويرسلها الى عامله في الابيض ، حيث يقوم العامل بتوجيه عماله في الاقسام باحصاء الدواب الموجودة في أقسامهم وتقدير ما يمكن أن تنتجه الزراعة من غلال ، ثم يقوم عامل القسم بارسال وكلاء عنه الى كل القرى التابعة له بمساعدة مشائخها لجمع ما قدر على الاهالي من عشور[١] بموجب سندات ، ويقوم عامل القسم بعد التحصيل بارسال ما تجمع لديه الى عامل الخليفة في الابيض ، الذي يقوم بدوره باخطار الخليفة بمقدار الكميات التي وصلته من أموال وغنائم وعيوش في تقارير دورية ، موضحا احتياجات عمالته وأوجه الصرف ـ التي كانت عادة ماتصرف على الجيوش من « أموال نقدية وعيوش وأبقار وجمال وجيب دمور »[٢] وما كان يصرف على عائلات الانصار والمجاهدين وذلك ليأخذ موافقة الخليفة عليها أو يقترح له الخليفة ما يراه من بنود غير ما رأى العامل[٣] .

فعندما قرر عثمان آدم التحرك نحو دارفور كتب يوضح للخليفة موقف بيت المال في كردفان حتى شهر شعبان ١٣٠٥/ ابريل ١٨٨٨ ، اذ بلغ المتحصل ١٣٥٢٠ ريالا ، وأنه يرى الصرف منها لتجهيز حملته واستعداده للسفر . وعند مغادرته كان في بيت المال مبلغ ٨٨٠٥ ريالا صرف بعضها وتبقى ٦٥٨٧ ريالا[٤] .

وكان عامل الخليفة يقوم بعد ذلك بتسليم ما تبقى لديه الى بيت المال في

---

(١) Reid, « op. cit,» S. N. R. Vol IX, P. 80.

(٢) مهدية ٢/٣٠/٥ ص ١٧٠ تقرير من محمد عثمان خالد عامل خورسي والطيارة .

(٣) مهدية ١/١١/١ ص ١/١٦ ، ٢٧ شعبان ١٣٠٣ (٣١ مايو ١٨٨٦) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٤) مهدية ١/١٢/٢ ص ١٥٢ ، ٢٨ شوال ١٣٠٥ (٨ يوليو ١٨٨٨) من عثمان ادم الى الخليفة .

أم درمان بموجب ايصال يثبت توريد المبلغ الى بيت المال[1] • ولكن في ظروف معينة كان الخليفة يطلب من عامله أن يحفظ عنده كل ما تبقى لديه من أموال ، من ذلك ما حدث عندما طلب الخليفة من حمدان أبي عنجة أن يحفظ بطرفه كل الاموال التي تجمعت عنده لأن أهل الراية الزرقاء في حاجة اليها هناك[2] •

وقد أظهر الخليفة حرصه الشديد على بيت المال وبالتالي كان ينصح عماله بأن تكون حساباتهم دقيقة ومراقبتهم شديدة لما يتجمع لديهم في بيت المال ، وكان يحثهم على عدم الانصراف الى المغانم الذاتية لأن ذلك « عرض دنيوي زائل » • وقد عمد من جانبه الى ارسال مراجعين لعمال الاقسام لمراجعة حساباتهم والوقوف على حقيقة المواد العينية والنقدية الموجودة عندهم ، وكان يطلب من هؤلاء تسهيل مهمة المراجعين بتسليمهم كل الدفاتر وامدادهم بأي معلومات تتطلبها دقة المراجعة[3] •

وفي واقع الامر فانه لم تكن مهمة عامل الخليفة أو عمال الاقسام سهلة في تحصيل الضرائب ، فقد وجدوا صعوبات كثيرة منها أن الاهالي لا يعطون احصائيات دقيقة لما يملكون من أبقار أو جمال ، ومنها أسلوب الجهادية الذين كانوا يساعدون عمال الاقسام في جمع الضرائب ، فقد لجأوا الى البطش في جمع الضرائب مما جعل البعض يشبههم بالباشبوزق في العهد التركي •

أما هذا التنظيم فانه يوضح جهد الخليفة في وضع تنظيم اداري يضمن فعالية الاداء وحفظ النظام وتحصيل الضرائب المقررة في سهولة مهما كانت الصعاب • فقد استطاع أن يشعر سكان كردفان بوجود المهدية وكينونتها ،

---

(١) Reid, « op. cit, » S. N. R. Vol IX, P. 80.

(٢) مهدية ١/٢٥/١ ص ٣٩ ، ٣ ذي الحجة ١٣٠٢ (١٢ سبتمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

(٣) مهدية ٣/١٠/٤ ص ٢ ، ٢٨ رجب ١٣٠٣ (١ يونيو ١٨٨٦) من الخليفة الي حسيب احمد جمال الدين .

وجعل عماله في كل أنحاء كردفان يرتبطون به في حلقة دائرية ، فعمال الاقسام في صلة مستمرة مع عامل الخليفة في الابيض الذي يبلغ الخليفة أولا بأول ما يجري في عمالته ، فشعر عمال الاقسام ووكلاءهم من المشائخ وأتباعهم من الجهادية بارتباطهم الوثيق بالادارة المركزية في أم درمان .

وهذا ما جعل الخليفة يهتم بخدمات البريد ، لدرجة أن المكاتبات التي كانت ترسل الى كردفان يصل ردها الى أم درمان في خلال أسبوعين فقط ، كما كان لعمال البريد مكانة هامة عند الخليفة وعماله في الاقاليم ، فلم تكن مهمتهم قاصرة على توصيل البريد وحسب وانما كانوا أيضا يراقبون أحوال العمال وتصرفاتهم ، ولذلك كانوا يجدون تقديرا كبيرا من عمال الخليفة في الاقاليم[1].

---

(١) محمد محجوب مالك « النظام البيروقراطي في دولة المهدية » ، الخرطوم (العدد الثالث ديسمبر ١٩٦٦) ص ٤٤ .

الفصل الثاني

عمالة حمدان أبي عنجة في جبال النوبا

جماد أول ١٣٠٢/ مارس ١٨٨٥ ــ جماد الثاني ١٣٠٤/ مارس ١٨٨٧

أراد المهدي منذ خروجه من قدير أن يوثق صلته بجبال النوبا ، ولذلك جعلها عمالة وعين عليها محمود عبد القادر على نحو ما هو واضح في الفصل الاول ، وكان كثير الاهتمام بأحوال الجبال ، فقد أوفد حملة بعد شهر من معركة شيكان بقيادة أحمد جفون لمحاصرة جبال تقلى وإجبار أهلها على التسليم وعلى رأسهم الملك آدم ام دبالو مك جبال تقلى[١] ، وذلك لأن الملك آدم ركن الى حب الدنيا والجاه ، وكان عليه أن يؤكد صفاء سريرته ، ويحضر الى المهدي بأهله وكبار رجال دولته[٢] ، وقد اقتنع الملك آدم وأتى الى المهدي مستسلما ليقدم فروض الولاء والطاعة من جديد ، ولكن الوشاة أوغروا صدر المهدي نحوه فقتله ، واستمر المهدي يدعو النوبا الى النزول عن جبالهم واقامة شعائر الاسلام وترك معتقداتهم الوثنية كالكجور[٣] .

---

(١) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ٩٢ وثيقة ١٨٣ ، ٤ صفر ١٣٠١ (٥ ديسمبر ١٨٨٣) من المهدي الى أحمد جفون .

(٢) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ١٢٥ ، وثيقة ٢٤٣ بعد ٤ جماد أول ١٣٠١ (بعد ٣ مارس ١٨٨٤) من المهدي الى ادم عمر .

(٣) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ١١٣ ، وثيقة ٢٢٤ ، ٢٠ ربيع آخر ١٣٠١ (١٨ فبراير ١٨٨٤) من المهدي الى أهالي جبال النما .

ثم تحرك المهدي نحو الخرطوم وجبل الداير مازال خارجا عن طاعته ، وارتد بعض أهالي النوبا الآخرين وتقلى بالذات وتخلفوا عن الجهاد ورجعوا الى أوطانهم بأسلحتهم ، ومعداتهم ، بل أظهروا ارتدادهم فقطعوا الطرق واعتدوا على الاهالي في كردفان ، فكان ذلك من الامور التي أقلقت بال المهدي وجعلته يهتم بمسألة كردفان وجبال النوبا باعتبارها المنطقة التي ولدت فيها المهدية وترعرعت وأصبحت موئل الانصار ومصدر قوته ودعمه ، ولذا أصدر أمره عقب سقوط الخرطوم مباشرة بتعيين حمدان أبي عنجة[١] عاملا على جبال النوبا وذلك حوالى ٢٩ جماد أول ١٣٠٢/١٧ مارس ١٨٨٥ [٢] .

ومن ثم هيأ له المهدي حملة قوية من حيث العدد والعتاد يربو تعدادها عن خمسة عشر ألفا من الجنود وحوالي مائة وخمسين أميرا ووفرة من سلاح الرمنتون وأبو لفتة ومدفع جبلي وصواريخ[٣] ، ومهمته أن يعمل على ادخال النوبا في دولة المهدية وينشر بينهم مبادئها وتعاليمها واشاعة شعائر الاسلام اذ لا يتم نشر مبادىء المهدية الا بعد دخول النوبا في الاسلام ، وعليه أن يجند هؤلاء السكان جنودا في صفوف جيش المهدية دون اراقة دماء وألا يلجأ الى

---

(١) **حمدان ابي عنجة** من قبيلة المنضلة ولد في حوالي عام ١٨٣٥ ، كان قبل المهدية يعمل في قوات الزبير باشا ، وعند ظهور المهدي انضم اليه ، اشترك في حصار الابيض ، وفي معركة شيكان ، وأثناء حصار الخرطوم ، استولى على حامية ام درمان ، ثم استدعاه الخليفة ووجهه بجيوشه الى القلابات حيث حارب الاحباش رغم ان يوحنا ملك الحبشة أراد الدخول في حلف مع الخليفة بدعوى مقاومة التدخل الاجنبي في افريقيا . اشترط حمدان دخول يوحنا في الاسلام . ثم تمكن من هزيمة الاحباش واحتل غندار ١٨٨٧ ، وفي أثناء ذلك توفي حمدان في يناير ١٨٨٩ م ودفن في القلابات .

(٢) محمد ابراهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ٢٩٧ ، ٢٩/٢٨ جماد أول ١٣٠٢ ، (١٧/١٦ مارس ١٨٨٥) من المهدي الى حمدان ابي عنجه .

(٣) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ٩١٩ .

ذلك الا لدى الضرورة القصوى[1] ، فقد نصحه بانذار السكان أولا ومنحهم الوقت الكافي للتفكير واستشارة قادته فيما يريد اتخاذه قبل تنفيذ أي عمل ضد السكان[2] ، وأن يمنع الانصار من التعدي على السكان ، ويكون عفيفا في تقسيم الغنائم وتوزيع الغلال •

وقد أدى حمدان وهو في طريقه للجبال بعض الخدمات المالية والادارية ، فعند مشرع السعدة مثلا على النيل الابيض ، لاحظ اضطراب السكان وقلقهم من المهدية فطمأنهم وأشاع بينهم الامن والهدوء ، وأوفد بعضهم الى المهدي في أم درمان ليتغذوا من تعاليم المهدية ويتربوا على نهجها وسلوكها[3] ، وهناك أيضا استلم الغلال التي جمعها عامل المهدية في منطقة أبي جمعة ، فحول بعضها لمصلحة حملته وبعضها لمنفعته الذاتية ووزع منها للاهالي ثم أخطر المهدي بذلك الاجراء ، مما جعل المهدي يشكره على ذلك العمل باعتبار أن جمع الغلال وتفريقها لمستحقيها بهذه الصورة اجراء صحيح[4] ، ثم عين الخليفة أحمد حمد ليكون عاملا على قبيلة العبيسات والقحاقحة وسبيق والقضا تحت اشرافه[5] وذلك حفظا للنظام وتأمينا لخط سيره •

اخضاع النوبا للمهدية :

وعند دخول حمدان الى جبال النوبا ، اتجه الى منطقة تقلى ليبدأ أعماله

---

(1) مهدية ٨/١/٤ ص ١ ــ ٥ ، ٢٩ جماد آخر ١٣٠٢ (١٤ ابريل ١٨٨٥) من المهدي الى حمدان .

(2) محمد ابرهيم ابو سليم ، **المرشد** ، ص ٢٩٧ ، ٢٩/٢٨ جماد آخر ١٣٠٢ (١٧/١٦ مارس ١٨٨٥) من المهدي الى حمدان ابي عنجة .

(3) مهدية ٨/١/٤ ص أ ــ ٣ ، ٢٣ جماد آخر ١٣٠٢ (٨ ابريل ١٨٨٥) من المهدي الى حمدان ابي عنجة .

(4) نفس المصدر .

(5) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٣ ، ٩ رجب ١٣٠٢ (٢٣ ابريل ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

منها ، فوصل الى جبل (دوري) ، وهو أول جبل يلتقي بأهله فأنذرهم بناء على وصية المهدي وطلب منهم اطاعة المهدي وموالاته ، ولكنهم لم يستجيبوا لندائه فأغار عليهم وشتتهم وغنم غلالهم وماشيتهم • ثم تقدم الى جبل (كرابة) وهو مقر مملكة تقلى على عهد الملك آدم ام دبالو ، واستطاع اقناع سكانه بسهولة ، اذ أنه عندما قرر اتخاذ منطقة جبال الكجاكجة مقرا لقيادته ، ونزل بها ، جاءه وفد من ذرية الملك آدم وأتباعه برئاسة عمر المكي ليؤكد ولاء المنطقة للمهدية • ولكي يحقق حمدان الاهداف التي من أجلها حضر ، شيد مسجدا في بلدة الورالكة ، واختار محمد المكي أبو حراز إماما له ، واتخذه مكانا لاقامة شعائر الدين الاسلامي وقراءة راتب المهدي ، وهذا يؤكد أنه أراد غرس مبادئ المهدية من خلال التعاليم الاسلامية بحيث يصبح كل من يعتنق الاسلام بالضرورة مهدويا ، كما اهتم ببعض الشخصيات ذات الاثر السياسي[١] بغرض استقطابها لجانبه • ولعلم حمدان باهتمام سكان الجبال باستخدام الأسلحة وحبهم وهوايتهم لها ، عمل للاستفادة من ذلك ، اذ وعدهم بأنه سيرد لهم أي بندقية لم تكن ملكا للحكومة أو للملك آدم لاستخدامها في الصيد وفي الرماية[٢] ، وفي هذا ترغيب لهم وكسب لتأييدهم •

وحتى تتهيأ لحمدان القيادة القادرة لاداء المسؤوليات ، استفاد من بعض القادة المشاهير ، وعزز جيشه بهم أمثال النور عنقرة ، وكان على رأس فرقة من الجيش وتحته امراء رايات بقواتهم ، ويونس الدكيم الذي كان مكلفا بالقيام الى فاشودة ولكن طلب اليه أن يبقى بجانب حمدان لمؤازرته[٣] • ثم عمل

---

(١) مهدية ٣/١/١ رقم ٧٢ ص ١٦ ، ٢ شعبان ١٣٠٢ (١٣ مايو ١٨٨٥) من المهدي الى حمدان ابي عنجة •

(٢) مهدية ٣/٢/ ص ٩ ، ٢٢ شعبان ١٣٠٢ (٢ يونيو ١٨٨٥) من المهدي الى حمدان •

(٣) مهدية ٣/٢/١ رقم ٤٠٨ ، ص ١٢٦ ، ٣ ذي الحجة ١٣٠٢ (١٢ سبتمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى يونس الدكيم •

حمدان للاستفادة من الاشخاص الذين سبق وأن عينهم المهدي في الجبال لنشر شعائر الاسلام مثل الملك حمد بن بشير الذي عينه المهدي عاملا على جبال نزيلة وسودي وفانز قد وبل ميلي وقندير ، وبل خيري وبلاموس .

ثم بدأ حمدان في تنظيم حملاته في جبال النوبا لتحقيق أغراضه التي من أجلها حضر ، وعلى ضوء وصية الخليفة عبد الله بأن يبدأ نشاطه السياسي في الجبال البعيدة ثم يعود الى الجبال القريبة لأن ذلك سيساعده في تثبيت دعائم انتصاراته ، ويمنع سكان هذه الجبال من الهرب والتشتت واخفاء السلاح[1]، كما منحه تفويضا في اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتركيز دعوة المهدية .

وأعلن حمدان سياسته الجديدة بابقاء المكوك رؤساء في جبالهم وأعطاهم الامان وأرشدهم الى قبول المهدية ، وكأنه أراد بهذه الخطوة أن يؤمن هؤلاء كل في منطقته وأنه لم يحضر لاغتصاب ملكهم طالما أنهم يؤيدونه ويؤمنون بفكرته ، واهتم أساسا بعد ذلك بالذين عارضوه وعصوا أوامره التي أعلنها لهم بواسطة الدعاة والجنود الذين أوفدهم لهذه المهمة . ومن هؤلاء مك تكم الذي أراد قتل الانصار الموفدين اليه ولكنهم تمكنوا من النجاة ، وطالب الملك أبو شاطر ومكوك الكجاكجة بتسليم أسلحتهم والا استخدم القوة ضدهم[2]، ثم طلب من النور عنقرة أن يرسل اثنين من أمراء الرايات بجنودهما الى حمد بن رزق الله أحد قادته حيث كان يحاصر جبال بلولة ، وبوصول هذا المدد تمكن الانصار من هزيمة سكان ذلك الجبل[3] . وفي منطقة الكواليب تمكن حمدان

---

(١) مهدية ١/٢٥/١ ص ٥ ، ٤ جماد آخر ١٣٠٢ (٢٠ مارس ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ١/٢٥/١ ص ٢٢ ، ٢٤ شعبان ١٣٠٢ (٧ يونيو ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

(٣) مهدية ٣/٢٩/١ ص ١ ، ٢٠ القعدة ١٣٠٢ (٣٠ اغسطس ١٨٨٥) من النور عنقرة الى الخليفة .

من فرض حصار على جبل دري لمدة عشرين يوما حتى هزمهم وغنم غلالهم وماشيتهم وثلاثمائة رأس من الرقيق ، وقتل من جنوده في هذا القتال ما يربو عن العشرين بمن فيهم الملك عمر آدم زعيم تقلى ، وكان انتصاره هذا عاملا على تسليم بقية جبال الكواليب فجاءه أهلها مذعنين طالبين الامان وسلموا أسلحتهم التي بلغت مائة وعشرون بندقية[1] .

وفي هذا الاثناء كان يونس الدكيم ــ الذي يقود فرقة من جيش المهدية في الجبال ــ قد توجه الى جهات الملقة حيث تمكن من أسر أعداد كبيرة من أهلها كما غنم كل أبقارهم ، ثم استشار حمدان في أمرها فكلفه بأن يحفظ نصفها لدى وكيله أبي القاسم صالح بديم الكجاكجة (المقر الرسمي) وأن يرسل النصف الآخر الى الخليفة في أم درمان[2] .

وبعد هذه الاجراءات المختلفة عاد حمدان الى مقره بجبل الكجاكجة للتحضير لخطوات أخرى ، وهناك قام بتهدأة خواطر أهالي تقلى لموت زعيمهم عمر الملك وأعلن موافقته على ترشيحهم المؤمن بن الملك ليحل مكان أخيه عمر[3] ، ثم قرر بعد ذلك أن يوجه حملة الى جبال قدير وعددها تسعة عشر جبلا ، لأن سكانها في ذلك الوقت كانوا قد تواطئوا مع العربان الذين يعارضون المهدية ، وان هؤلاء السكان بقيادة الملك (بوش) مك قدير ، أسروا الانصار الذين سبق

---

(١) مهدية ٣/٢٨/١ ص ٧ ، ٩ شوال ١٣٠٢ (٢١ يوليو ١٨٨٥) من حمدان الى الخليفة ، للتأكد من هذا التاريخ راجع أيضا مهدية ٣/٢/١ رقم ٣٢٢ ص ١٠٤ ، ٥ القعدة ١٣٠٢ (١٥ أغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٥، ص ٤ ، ٩ محرم ١٣٠٣ (١٨ اكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى يونس الدكيم .

(٣) مهدية ٣/٢٨/١ ص ٧ ، شوال ١٣٠٢ (يوليو ١٨٨٥) من حمدان الى الخليفة .

وأن ارسلهم حمدان الى تلك المنطقة لجمع الغنائم وكادوا يقتلونهم[1] ، فقاد اليهم حملة في محرم ١٣٠٣ ، اكتوبر ١٨٨٥ تمكنت من هزيمتهم واغتنم أموالهم وأسر نساءهم وأولادهم[2] ، ودخل الى مقر المهدي بقدير متبركا بموطىءاقامة المهدي وشرب من مائه وصلى ركعتين[3] ، وكأنه أراد بذلك أن يعطي مرافقيه من الجنود درسا في عمق أثر المهدي وبركاته ، وضرورة الولاء الشديدللمهدية وخاصة لحديثي العهد بها ، وفي ذلك ايضا تجديد لذكريات جهاد المهدي في قدير ، وما واجهه من صعاب ومشاكل في سبيل الدعوة ، واشارة للانصار بضرورة الاقتداء بنهج المهدي في الجهاد .

ثم تمكن في قدير من الافراج عن تسعة من الانصار كان الملك بوش قد أسرهم توطئة لاعدامهم وهم من طلائع حمدان المذكورين آنفا كما أفرج عن أحد الاشخاص ـ وقد وجده في أسر الملك ـ وهو من الذين أصيبوا في وقعة الابيض ابان حصار المهدي للمدينة وأعاده الى أهله ، فقد كان للذين اشتركوا في حصار الابيض اعتبار خاص في المهدية ، وفي درجة مماثلة من الذيناشتركوا في وقعة أبا . وهو بهذا يركز في أذهان انصاره نهج المهدي ويغرس تعاليمه ، مما يساعد في رفع روح الانصار المعنوية ، ويعمق في نفوسهم أصالة المهدية وأهمية التضحية في سبيلها .

ثم قرر حمدان بعد ذلك أن يخضع جبل الداير ، لأنه لم ينصاع للمهدية حتى الآن ، ولأن حمدان قد فرغ من كثير من اجراءاته العسكرية في منطقة

---

(١) وهذا يختلف عما ذكره نعوم شقير من ان اهالي قدير قاموا بقيادة الملك بوش وقتلوا جماعة حمدان ابي عنجة الذين اوفدهم لجمع غنايم قدير عن آخرهم .

نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٤١ .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٤ ص ٣ ، ٩ محرم ١٣٠٣ (١٨ اكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى النور عنقرة .

(٣) مهدية ١/٢٥/١ ص ٦٤ ، ١٠ محرم ١٣٠٣ (١٩ اكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

الجبال ، ويمكنه الآن أن يركز جهوده في اخضاع هذا الجبل ، ولذا أرسل حملة رئيسية تحت قيادة عبد الله ابراهيم[1] الذي استطاع الدخول في معارك مضنية ضد سكان الجبل ، ولكنه لم يكتف بذلك ، فجدد اغارته على حلتي ابقر والعين ، من أماكن الداير ، وكلف كتيبة أخرى بقيادة أحمد كنون فأغارت على جهة كملة وسدرة حيث غنمت ثلاثمائة من البقر ، وتسعة من الرقيق ، وقتل في حرب الداير هذه الملك الباجي زعيم الجبل وتسعة من أعيانه • ولكن حملة عبد الله ابراهيم لم تتمكن من الحصول على نصر حاسم يمكنه اخضاع الجبل نهائيا بعده ، واكتفى حمدان بهذه الغارة الاولية[2] ، مما يوحي بأن مواجهة سكان الداير لحملة عبد الله ابراهيم كانت عنيفة ومقاومتهم كانت قوية أجبرت حمدان لاجلاء جيوشه عن منطقة الداير • وفي أثناء عودته هاجم عبد الله ابراهيم جبلي كدورو والكافير وذلك حينما شعر بتجمع أهالي هذين الجبلين وتألبهم على المهدية فانتصرعليهما وغنمأربعمائة رأس من الرقيق ومائتين من البقر ، وتحصل على خمسة وخمسين بندقية من سلاحهم ، وقتل من جيشه في هذا القتال خمسة وعشرون وجرح خمسة عشر • وتقهقر الضباب سكان الكدورو والتجأوابالاودية والمناطق الوعرة هربا من وجه قوات عبدالله ابراهيم• ثم تمكن عبد الله ابراهيم من الاستيلاء على بعض الاسلحة والجبخانة كان قد أرسلها سكان حلال العفينات وأم الشيخ والعيلفون وأم دباكر ، لدعم مقاومة أهالي الداير[3] •

---

(١) عبد الله ابراهيم ، عينه المهدي أميرا في جيشه ، والحقه بجيش حمدان في الجبال ، وانتقل معه الى الشرق وحارب ضد الاحباش ثم قتل في حرب ضد الطليان قرب اغوردات عام ١٨٩٣ ــ راجع :
Richard Hill, **A Biographical Dictionary of the Sudan,** (1967), P. 45.

(٢) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٤٧ ، ١٣ شوال ١٣٠٣ (١٥ يوليو ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٣) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٣١ ، ١١ رمضان ١٣٠٣ (١٣ يونيو ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

وكان حمدان يضع في اعتباره أن تكون ضرباته ضد هؤلاء السكان عنيفة وصارمة وذلك لارغام هؤلاء على موالاة المهدية والخضوع لها ثم تشديد قبضته عليهم ، كما أنه أراد أن يعطي المعارضين الآخرين من غير النوبا درسا ليعرفوا مدى قوة المهدي ، وعلى رأس هؤلاء الجهادية الذين تمردوا بالابيض والتجأوا بالجبال ، وهم في نظره ذوو بأس ومراس شديد ولهم كفاءة عسكرية عالية ، ومنهم أيضا المجموعات العربية المتغلغلة في أوساط النوبا بالجبال . هذا بجانب مفهومه عن سكان الجبال بأنهم ذوي مفاسد ونفاق ينبغي مراقبتهم بدقة وخاصة عند اختلاط العربان بهم ، ولذا عند وصول قواته لجبل وطا — أثناء تقديمه لقوات عبد الله ابراهيم المكلفة بملاحقة الجهادية ، تأكد له مخالفة سكان جبل النما للمهدية وميلهم لبعض العربان كبني جواد وبني بتى وأولاد غبوش وغيرهم ، وهم بذلك سيعوقون الخطوات المرسومة لاخضاع سكان الجبال . ولذلك شن عليهم غارة في ١١ صفر ١٣٠٤/ ٩ نوفمبر ١٨٨٦ حيث تمكن من فرض حصار على الجبل ، ثم صعد على رأس قوة من حاملي الاسلحة النارية الى أعلى الجبل حيث كان السكان يتحصنون ، فتمكن من هزيمتهم وقتل وأسر أعدادا منهم بما فيهم أبناء مك الجبل ، ثم أطلق سراح بعض العربان الذين وجدهم في الاسر بهذا الجبل وكان بعضهم قد جاء بغرض التجارة ، وبعضهم جاء ضمن جيوش محمود عبد القادر لمطاردة الجهادية[1] . ثم وجه حمدان قائده عبد الله ابراهيم في نطاق عملياته العسكرية بأن يخضع جبال تلودي والليري وود برتي حتى لا يجد سكانها الفرصة لمقاومة المهدية أو التحالف مع العربان الخارجين على المهدية والمتغلغلين بالجبال ، لأن خروج هؤلاء سيؤثر على الامن بالجبال وقد يؤثر أيضا على سيادة المهدية في مناطق كردفان المجاورة[2] .

---

(١) مهدية ١/٤٢/٢ ص ١٢ ، ١١ صفر ١٣٠٤ (٩ نوفمبر ١٨٨٦) من حمدان الى عثمان ادم .

(٢) مهدية ٢/٢٥/١ ص ٢٦٠ ، ١٥ صفر ١٣٠٤ (١٣ نوفمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

وكان من الاساليب التي اتخذها لارغام النوبا على التسليم والخضوع تحريض جنوده على احراق مزارعهم عند نضوج المحصول واحراق غلالهم ، وكانت هذه التدابير تؤدي بعض الاغراض حين ينشغل النوبا في البحث عن الغلال والعيوش ولا يستطيعون التفرغ للحرب ، فقد وصلت بعض التقارير الى حمدان تشير الى نجاح مثل تلك الاجراءات وغيرها من وسائل الحرب النفسية التي كان يمارسها قادة حمدان أبي عنجة ، من ذلك ما وصله من قائده عبد الله ابراهيم بطاعة أهالي الجبال وخاصة جبل تلودي وغيره[1] ، كما استطاع حمد بن حبيب الله ، وهو مساعد أبي القاسم صالح وكيل حمدان بديم الكجاكجة ـ من اخماد حركة أهل جبل الكجاكجة حينما حاولوا القيام بعمليات النهب والسلب واظهار عصيانهم بالمهدية، ولم ينصاعوا للنداءات المتكررة بايقاف التعدي والتزام الطاعة والسكينة ، فاضطر الى مهاجمتهم وقتل منهم أعدادا كبيرة[2] .

وقد اتخذ حمدان ـ بجانب تجريد الحملات المختلفة لاخضاع النوبا ـ وسائل التوعية والارشاد وترغيب السكان ، فقد كان ينقل منشورات الخليفة التي تشيد بهم وتدعوهم الى الهداية وسلوك طريق المهدية ، وفيها كثير من الثناء عليهم وذلك لاستدراجهم وتحبيب المهدية اليهم ، كما كان الخليفة في هذه الخطابات يكثر من الثناء على جنود حمدان ورفع روحهم المعنوية ، ويدعو حمدان بمواصلة حلقات الذكر وقراءة الراتب كوسيلة لربطهم اجتماعيا . كما كان حمدان ينقل لسكان الجبال الاخبار التي تصله من الخليفة عن تطورات الاحداث في الشمال وفي الشرق وما تحتويه من صور البذل الذي يقدمه الانصار في تلك الجهات من أجل نصرة المهدية ، وكانت هذه احدى أساليبه في اقناع هؤلاء واطمئنانهم الى مدى قوة المهدية .

---

(١) مهدية ٢/٢٥/١ ص ٢٢١ ، ١٢ محرم ١٣٠٣ (٢١ اكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٢٢١ ص ٧١ ، ٩ صفر ١٣٠٣ (٩ اغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى حمد بن حبيب الله .

وقد ساعدت مثل هذه الاساليب في جذب بعض سكان الجبال الى المهدية، من ذلك مثلا أن الحاج مرزوق الذي أوفده حمدان الى جبال الايري استطاع أن يقنع سكان هذه المنطقة الى قبول المهدية بعد أن وعظهم وأرشدهم(١) حيث كان يشير الى منشورات الخليفة التي تحمل عفوه الشامل عن كل من جاء نادما تائبا الى حمدان(٢) .

وبعد أن اطمأن حمدان الى هدوء الاحوال في الجبال رأى أن ينقل مقر الادارة من الكجاكجة الى أم طلحة ، وقد علل ذلك بجدب تلك المنطقة وان سكانها كثيري الشغب والقلاقل ، وان أم طلحة ذات موقع استراتيجي ، يسهل منها الاتصال بالابيض وجهات كردفان ومناطق قدير ، وأن نقل الادارة الى هناك أيضا يساعد في أمن الجيش ويسهل الاتصال بالخليفة في أم درمان(٣) . وكان يرمي من وراء ذلك أيضا الى تقوية سيطرته على منطقة كردفان بالاضافة الى جبال النوبا .

ولتسهيل الادارة في الجبال فقد عين حمدان النور عنقرة ليقوم بشؤون منطقة قدير الادارية ، كجمع غنائمها وتسهيل مهمة سفر الراغبين الى الهجرة الى أم درمان(٤) بناء على نداءات الخليفة المتكررة في هذا الصدد . ثم استدعى عبد الله ابراهيم ليقابله بجبل (السما) للنظر في موقف عربان الحمر الذين أثاروا بعض الاضطرابات ، والتشاور معه في الاسلوب المناسب لترحيل عائلات الانصار المنتشرة في مناطق تجمع الانصار بالجبال وتجميعها في الابيض أو

---

(١) مهدية ١/٢٥/١ ص ٧٣ ، أول ربيع آخر ١٣٠٣ (٧ مارس ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ٣/٨/٢ ص ١٩ ، ٢ ربيع آخر ١٣٠٣ (٨ مارس ١٨٨٦) من الخليفة الى اهالي قدير .

(٣) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٥١٦ ص ١٧٢ أول ربيع آخر ١٣٠٣ (٧ مارس ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٤) مهدية ١/٢٥/٢ ص ٢٦٠ ، ١٥ صفر ١٣٠٤ (١٣ نوفمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

بارة[1] . ثم اتخذ اجراءات عسكرية صارمة للحد من نشاط المجموعات العربية المتحصنة بالجبال[2] .

ويبدو أن العلاقة لم تكن على مايرام بين حمدان ويونس الدكيم ، ويرجع ذلك الى طموح كل منهما للقيادة ، فقد حدثت وشايات لحمدان من سلوك يونس الدكيم ، فرأى الخليفة ابعاده من منطقة الجبال وأعاده عاملا على منطقة الجمع ودار الاحامدة ، على أن يخضع في ادارته لهذه الاقاليم لحمدان أبي عنجة فينفذ أوامره وتوصياته وأن يستشيره ويخطره بكل الحوادث التي تطرأ في منطقته بنفس المستوى الذي يعرضه بها على الخليفة[3] ، وقد فوضه الخليفة أن يختار المكان المناسب الذي يمكنه من ادارة هذه الاقاليم واقترح عليه مبدئيا شركيلة ، ولكنه أمره فيما بعد أن يتخذ من دار الجمع مقرا للادارة لكي يكون قريبا من أم درمان ، مدعيا أن البلاد تواجه خطر تحركات الاعداء من جهة حدود السودان الشمالية ثم نصحه بأن ينفذ مسؤولياته (.. اخراج حقوق الله من زكوات الحبوب والمواشي والغنائم على الوجه المطلوب...)[4] ويتضح من هذا أن مناطق الجمع ودار الاحامدة خارجة عن عمالة كردفان ، وقد أصبحت هنا تابعة لحمدان أبي عنجة عامل جبال النوبا . ولكن بالرغم من أن عثمان آدم قد تعين عاملا على الغروب على نحو ما ذكرت في الفصل الاول الا أن حمدان أبي عنجة ظل صاحب الرأي النهائي والفاصل في أمور كردفان نفسها وهذا يرجع الى مكانة حمدان أبي عنجة لدى الخليفة ، وليس هذا تدخلا في اختصاصات العامل الرسمي ، فقد كان على عثمان آدم أن يستشيره ويستنير

---

(1) نفس المصدر .

(2) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٣٣٨ ص ٢١٠٨ ربيع أول ١٣٠٣ (٩ ديسمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى يونس الدكيم .

(3) مهدية ١/٢٥/١ ص ٧٢ ، ٢ ربيع أول ١٣٠٣ (ديسمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

(4) مهدية ٣/٩/٣ ص ٤٣ ، ٢٣ محرم ١٣٠٣ (٣١ اكتوبر ١٨٨٥) من الخليفة الى يونس الدكيم .

برأيه في كثير من المسائل ولذلك كان دائما ينقل اليه تطورات الاحداث فـي شمال السودان وفي شرق السودان ، ويجعله ملما بكل الظروف السياسية ، وهذا يؤكد أهمية حمدان في جهاز الدولة حينذاك ، ولهذه الاهمية أضاف الى عمالته بجبال النوبا الاقاليم التي عين عليها يونس الدكيم ، وطالبه بأن يشرف عليها اشرافا تاما ولا يصغي للشائعات التي تنقل اليه عن يونس الدكيم ، وفي نفس الوقت أوضح الخليفة ليونس الدكيم وهو يدرك طموحه ورغبته في أن يعامل على مستوى حمدان أبي عنجة أوضح له ضرورة الانصياع وأن يرتفع الى مستوى مسؤولية العمل وأن يؤدي واجبه دون تكبر أو علو اذ أن ذلك في نظر الخليفة عرض دنيوي زائل •

وتشير هذه المعلومات الى أن الخليفة يسعى الى ضرورة تضامن عماله في الاقاليم وخضوعهم الى رأي موحد حتى لايؤدي اختلافهم الى تفككفيالقيادة مما يفتح المنافذ أمام الخارجين والغاضبين على حكمه ، وفي نفس الوقت يضع عماله في درجات مختلفة حسب مكانتهم في الدولة ومدى مسؤولياتهم •

هزيمة الجهادية :

وعلى ضوء ما ذكرت في الفصل الاول[1] فان الخليفة قد كلف حمدان ابي عنجة بمطاردة هؤلاء الجهادية باعتباره عامل الجبال والمسؤول عن حفظ النظام وارساء دعائم المهدية هناك ، وطالبه بان يكرس مجهوداته العسكريةوامكانياته المادية في القضاء على هؤلاء حتى لا يستفحل أمرهم ، وأوعز اليه بالقبض عليهم وارسال أي عدد منهم تحت الحراسة المشددة اليه في أم درمان ، أو معالجة أمرهم محليا ان اقتضى الحال ، وهذا يشير الى قلق الخليفة من هذا الاشكال ورغبته في انهائه بأسرع وقت ممكن ، وخاصة بعد أن قتلوا محمود عبد القادر وتعاضدوا مع بعض مكوك الجبال ، ومن رأي الخليفة بأن الجهادية سيتمادون أكثر بعد ذلك في غيهم لانهم حديثو عهـد بالمهدية

(١) راجع الفصل الاول ، ص ٥٥ .

ويحملون نعرات الترك وهم أقرب الى التمسك بتلك الصفات من الخضوع للمهدية والانصياع لمبادئها ، ولذا لا بد من بذل أقصى ما يمكن أن يقدمه حمدان في سبيل هزيمتهم واعادتهم الى حظيرة المهدية •

ولذلك أحس حمدان بمدى مسؤوليته تجاه هؤلاء الجهادية ، فأفرد كثيرا من امكانياته ضدهم تأكيدا لحسن ظن الخليفة في سياسته واعتماده عليه • أما الجهادية فعندما أحسوا بهذه المراقبة أرادوا دعم قوتهم وتوسيع دائرة تحركهم فتضامنوا مع الملك جراد مك جبل السما[1] ، وأقاموا في منطقته يعملون في تقوية جانبهم وكسب مزيد من المؤيدين في الجبال •

غير انه كان قد نشب خلاف بينهم عقب مقتل محمود وتقهقر جنوده وذلك بسبب السلطة والسيطرة على الغنائم والمكاسب التي يتحصلون عليها ، فانقسموا الى فريقين أحدهما بقيادة سرور النور وبشير علي وهو الفريق الغالب • وقد أدى هذا الانقسام الى تخبطهم في السياسة والى سوء معاملتهم لسكان الجبال وغيرهم من العربان القاطنين بين سكان الجبال ، اد كانوا يستغلون قوتهم أحيانا في مضايقة الاهالي واجبارهم على دفع الاموال الباهظة ، وقد فعلوا ذلك مع سكان جبل السما حتى تضايقوا منهم ، وتأذوا من سلوكهم ، فأدى ذلك الى نفورهم وخلافهم معهم ، وأدى ذلك أيضا الى خلاف جديد بين الجهادية أنفسهم اذ ادعوا بأن ذلك يرجع الى سوء سياسة قائدهم سرور النور فخلعوه من القيادة وانفرد بها بشير علي فأثار ذلك جماعة سرور النور •

وفي خلال هذه الخلافات الناشبة بينهم وغضب النوبا عليهم أراد حمدان أن يتخذ اجراءاً حازما لفل شوكتهم وانهاء أمرهم ، فاستدعى عبد الله ابراهيم أحد قادته ومن معه من الجنود ، وأرسل أمامه بعض المعدات الحربية

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ ص ١٧٢ ، أول ربيع آخر ١٣٠٣ (٧ مارس ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

على ان تكون منطقة البركة مكانا لتجمع الجيوش المكلفة بحرب الجهادية[1]، وقد أراد حمدان من هذا الاسلوب أن يكون تكتيكا عسكريا يخيف هؤلاء ويرهبهم ، ثم يشعر غيرهم من السكان الذين مازالوا يعارضونه بمدى قوته وسطوته ، وفعلا استطاع حمدان وهو في طريقه الى البركة من اخضاع جبل كرتاله ، وجاءته وفود أخرى تقدم ولاء الطاعة[2] .

وبالرغم من ان موقف العربان المناوىء للمهدية كان يشكل خطورة أيضا في الجبال الا ان حمدان رأى تجميد صراعه في ذلك الجانب الى أن يفرغ من أمر الجهادية باعتبار ان أمرهم أكثر خطورة وان سياسة الخليفة عبد الله ترمي الى ذلك أولا ، وخاصة وان فريقا من الجهادية أراد السيطرة على بعض الجبال ، اذ ذهب هذا الفريق الى (الداجو) وفرضوا أموالا باهظة على سكانه مستخدمين في ذلك أساليب الارهاب والعنف فاستاء السكان من أسلوبهم وتذمروا ، فزاد ذلك حدة الخلاف بينهم[3] وبعد وصول حمدان الى البركة رأى ان حنكة الجهادية ومقدرتهم العسكرية تتطلب أن يقود هذه الحملة بنفسه ولذا أخطر الخليفة بهذا الرأي وطلب موافقته[4] ، غير ان الخليفة رأى أن يتخلف حمدان عن هذه الحملة ، وأن يترك هذه المهمة الى قائد آخر مقتدر ، فكتم حمدان أوامر الخليفة عن جنوده لانهم سبق أن علموا بأنه قائد هذه السرية ، اذ خشي أن يؤثر ذلك في حالة الجنود المعنوية ويضع استفسارات كثيرة يريدون الاجابة عنها لاسباب تخلفه، ثم أطلع عماله على الامر واستشارهم فيه واتفقوا على أن يتخلف عن

---

(١) مهدية ١/٢٥/١ ، ص ١٥٥ ، ٢٢ شوال ١٣٠٣ (٢٤ يوليو ١٨٨٦).

(٢) مهدية ١/٢٥/١ ، ص ١١٣ ، ١٧ رجب ١٣٠٣ (٢١ ابريل ١٨٨٦) .

(٣) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٥٥ ، ٢٢ شوال ١٣٠٣ (٢٤ يوليو ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

(٤) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٦٨ ، ١٧ القعدة ١٣٠٣ (أغسطس ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

الجيش حسب رغبة الخليفة ، ثم صرح بذلك للمقاديم ورؤساء المئات في الجيش فوجد منهم الاستحسان والقبول بل أقسموا على اداء مسؤولياتهم بدقة وأمانة . ومن ثم تحركت الجيوش وسار حمدان مع جيوشه حتى جبل السنا حيث تخلف ونزل في المنطقة التي قتل فيها محمود عبد القادر ليتتبع أخبار حملته[1] .

وعقد لواء تلك الحملة الى عبد الله ابراهيم وجهزها بالعدة والعتاد ، يساعده عمر الياس ومحمد سليمان وأم بدي حمدون وغيرهم من القادة ، وكان تحركها في شهر ذي القعدة ١٣٠٣/ أوائل أغسطس ١٨٨٦[2] .

وترجع الظروف التي جعلت الخليفة يطلب من حمدان ان يتخلف عن هذه الحملة الى نواحي سياسية في كردفان وفي أم درمان ، من ذلك ان الخليفة علم بأن أعدادا من العربان المعارضين من جوامعة وبديرية وحوازمة وغيرهم قد بدأوا يفرون من كردفان ويلجأون الى أماكن أخرى خارج كردفان كمنطقة الجزيرة ، وذلك فرارا من معاملة عمال المهدية لهم واتجاه الخليفة الى ارغامهم باتباعه وفرض سيطرته عليهم وعمله على تهجيرهم من كردفان الى أم درمان ، مما جعلهم يرفضون ويعارضون تلك السياسة ، وكان على حمدان أن يراقب تحركات هؤلاء وأن يعمل على تتبع آثارهم . كما ان الخليفة وضع في اعتباره تطور الاحداث السياسية في الشمال واحتمال تأزم الموقف يتطلب ضرورة استدعاء حمدان فجأة[3] ، ازاء كل ذلك كان على حمدان ألا يقود تلك الحملة وأن يتفرغ لمواجهة تحركات عربان كردفان

---

(١) مهدية ٣/١٠/٤ ص ٣٧ ، ١٨ القعدة ١٣٠٣ (١٧ أغسطس ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٢) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ١٠٤٥ .

(٣) مهدية ٣/١٠/٤ ص ٣٧ ، ١٨ القعدة ١٣٠٣ (١٧ أغسطس ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

وأن يكون مهيئا عسكريا ونفسيا حتى اذا استدعاه الخليفة فجأة أجاب طلبه دون تأخير •

سارت الحملة التي يقودها عبدالله ابراهيم وعسكرت خارج جبل السما ، ومن هناك كاتب الجهادية وخيرهم بين أمرين اما السلم أو الحرب ، فاختاروا جانب السلم ، ووقعوا اتفاقا بذلك بعد أن أدوا اليمين على المصحف ، وشمل هذا الاتفاق امداد حملة عبد الله بالغلال واللحوم تكريما وضيافة ، كما شمل الاتفاق تسليم أسلحتهم وخروجهم من استحكاماتهم • غير انهم لم يلتزموا بذلك الاتفاق ، اذ انهم عندما جن عليهم الليل أخذوا أسلحتهم وماخف من أمتعتهم وغذائهم وفروا هاربين الى جبل ميري ثم تحصنوا باستحكامات في جبل تلك •

وفي الموعد المحدد لتنفيذ الاتفاق تحرك الانصار نحو استحكامات الجهادية ، ففوجئوا بهرب هؤلاء الجهادية جميعا ولم يتخلف منهم سوى اثنين وأربعين شخصا بعائلاتهم ، لم يوافقوا على الهرب والتزموا بالاتفاق ،فانضموا الى جيش الانصار بكامل معداتهم وأسلحتهم • ثم دخل الانصار داخل الاستحكامات فلم يجدوا غير الغلال والحمير والخيل والجمال والعجزة من النساء والرجال ، مما يدل على ان الجهادية أرادوا خداع الانصار فوقعوا ذلك الاتفاق حتى يتمكنوا من الفرار واللجوء الى مكان حصين •

وفي نفس اليوم تعقب الانصار الجهادية واقتفوا أثرهم حتى لحقوا بهم في جبل تلك ، وهناك دارت معركة بين الفريقين ، حيث قتل عدد كبير من الجهادية واجتزت رؤوس زعمائهم بشير علي وسرور النور وعلي يوسف المشهور (بملة) وكان بمثابة القائد العام[1] ولقاء هؤلاء الرؤساء الثلاثة وتحالفهم حتى آخر معركة يدل على انهم استطاعوا تذليل خلافاتهم والتي كانت قد نشبت في وقت سابق بينهم •

---

(١) مهدية ١/٢٨/٣ ص ٨/١ ، ٨ القعدة ١٣٠٣ (٨ أغسطس ١٨٨٦) من حمدان الى الخليفة .

ثم أرسلت رؤوسهم الى حمدان أبي عنجة فأرسلها حمدان بدوره الى الخليفة الذي قام بتعليقها أمام المسجد لمدة ثلاثة أيام عظة وعبرة •

وكان الجهادية قد تقهقروا عندما احتد عليهم القتال وعندما فقدوا زعماءهم وكثر القتلى في صفوفهم ،ليجدوامتسعا من الوقت يعيدون فيه تنظيم صفوفهم، حتى وصلوا الى واد مجاور للجبل مليء بالمياه العميقة فتعقبهم الانصار ودار القتال مرة أخرى ، فقتل منهم مجموعة كبيرة ويذكر حمدان للخليفة بأن الآخرين اقتحموا هذا الوادي فماتوا في داخله[1] • وقد تمكن الانصار من هزيمتهم وأسر اربعين رجلا من الجهادية وكثيرا من نسائهم وأبنائهم ودوابهم[2] ، أما الانصار فلم يصبهم في هذا القتال سوى ستة من القتلى وتسعة من الجرحى ومنهم أحد مساعدي عبد الله ابراهيم ويدعى محمد سليمان[3] •

ثم اتخذ عبدالله ابراهيم من الاجراءات ما يكفل صيانة الامن في الجبال عقب هزيمة الجهادية وذلك بضربه مكوك الجبال الذين لم ينصاعوا للمهدية حتى الآن ، أو الذين كانت تغريهم حركات الجهادية فيعارضون المهدية ، ومن هؤلاء عبدالله كنو (أحد مكوك الجبال) والملك ابراهيم جراد مك جبل السما الذي فر هاربا ، لانهما نقضا عهودهما السابقة مع حمدان بتأييد المهدية وساعدا الجهادية وكذلك أخطر عبد الله ابراهيم حمدان أبي عنجة بموقف العربان الذين تشتتوا بالجبال وسعيه للقبض عليهم ، وان بعض

---

(١) مهدية ١/٢٨/٣ ص ٨ ، ١٨ القعدة ١٣٠٣ (١٧ أغسطس ١٨٨٦) من حمدان الى الخليفة ، راجع مهدية ٣/١٠/٤ ص ٤٠ ، ١٨ القعدة ١٣٠٣ الموافق (١٧ أغسطس ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان أبي‌عنجة .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٨٨ ، ٣ الحجة ١٣٠٣ (١٢ ديسمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان ، راجع مهدية ٣/١٠/٤ ، ص ٥٩ ، ٣ الحجة ١٣٠٣ (١٢ ديسمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

مشائخ الجبال قد حضروا لتقديم ولاء الطاعة • ثم طلب منه حمدان ابي عنجة أن يعمل على جمع كل الغنائم التي حصل عليها وأن يرسلها اليه مباشرة حتى لا ينشغل الجنود بأمرها وتصرفهم عن اداء واجباتهم العسكرية[1]
وخلاصة الامر ان معركة تلك بين الانصار والجهادية تعتبر معركة فاصلة في أمر الجهادية حيث أنهت أزمتهم في الجبال ويمكن اعتبارها عملا عسكريا مجيدا قدمه حمدان في الجبال ، اذ ان هؤلاء الجهادية بالفعل كانوا واجهة خطرة من حيث الحنكة العسكرية والقدرة الحربية ، ويمكن أن يعوقوا مسيرة الثورة المهدية في الجبال وقد يمتد أثرهم الى جهات أخرى من كردفان مما يقلق الخليفة كثيرا ، كما يمكنهم كسب ود مكوك الجبال والحصول على مؤازرتهم ، ويمكنهم أيضا كسب جانب المجموعات العربية المعارضة المهدية وتكوين جبهة معارضة قوية ، ولذا فالقضاء عليهم كان من الامور التي يسرت اعباء حمدان في الجبال وفرغته لاداء مسؤوليات أخرى داخل كردفان ، كما أعطت المهدية أرضية واسعة للعمل والحركة •

حمدان والمجموعات العربية في الجبال :

اعتادت بعض المجموعات العربية في كردفان مثل قبائل الحوازمة والمسيرية والحمر والهبانية وغيرهم أن تلجأ الى مناطق جبال النوبا المجاورة لها تحصنا بها أو تهربا من دفع الضرائب والاتاوات المفروضة ، أو بغرض التجارة والحصول على الرقيق والابقار والذرة وبيع الاسلحة التي يكثر سكان الجبال من اقتنائها ، أو بغرض الرعي والري • ومن ثم حدث تداخل بينهم وبين النوبا حيث ترتب على ذلك آثار اجتماعية وسياسية •

وقد وضح لحمدان أبي عنجة ان وجود هذه المجموعات واختلاطها وتعاونها الوثيق مع النوبا يشكل حجر عثرة أمام أهدافه في نشر نفوذ المهدية

---

(١) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٨٨ ، ٣ الحجة ١٣٠٣ (١٢ ديسمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان أبي عنجة .
راجع مهدية ٣/١٠/٤ ص ٥٩ ، ٣ الحجة ١٣٠٣، (١٢ ديسمبر ١٨٨٦)

وتطبيق تعاليمها الدينية والاجتماعية ، فقد كان هؤلاء العربان يمدون بعض سكان الجبال بالاموال ، وساندوهم في بعض حركاتهم ضد المهدية ،وتعاملوا معهم فيما ينتجونه من غلال « وتنباك » في الوقت الذي كانت فيه سلطات المهدية تطاردهم لاخذ الزكاة والحصول على الغنائم ، ولذا وجد النوبا من هؤلاء العربان عونا لهم .

وكانت هذه المجموعات العربية قد اشتدت معارضتها عقب وفاة المهدي مباشرة مما يشير الى اعتقادهم في شخصية المهدي دون الالتزام الشديد بمبادئه واتجاهات ثورته . من ذلك ما أعلنه بعض العلماء والشخصيات القيادية ، مثل العوض أو دون والعالم طه ، ودفع الله ود بقوي ، ويوسف أحمد ، واللخمي أبو القاسم ، الذين كانوا يروجون الاقوال حول موت المهدي في السنة الخامسة من العام الهجري[1] وكان لمثل هذه الشائعات بين النوبا ووسط هذه المجموعات العربية أثر كبير في مدى ولائهم للمهدية بعد موت المهدي .

ولذلك فقد طلب الخليفة من حمدان أن يعالج أمر هؤلاء الاشخاص الذين يخشى بأسهم بين العربان ، فاذا ثبت انكارهم للمهدية بعد وفاة المهدي ـ ينبغي أن يقبض عليهم ويرسلهم الى الخليفة مقيدين لينظر في أمرهم ، على أن ينظر حمدان في معاقبة الآخرين والذين انجرفوا خلف هؤلاء على ضوء الشرعية الاسلامية[2] .

ولما كان حمدان يواجه حينذاك في جبال النوبا كثيرا من المعارضين سواء من هؤلاء العربان الذين التجأوا للجبال ووجدوا فيها حماية وحصنا واقيا ، فأظهروا معارضتهم للمهدية ـ أو من الجهادية الذين خرجوا من الابيض

---

(١) مهدية ١/٢٨/١ ص ٧ ، ٩ شوال ١٣٠٢ (٢١ يوليو ١٨٨٥) من حمدان الى الخليفة .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ ص ١٠٥ ، ١٥ القعدة ١٣٠٣ (٢٥ أغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

ومحتمين بتلك الجبال ، أو سكان الجبال أنفسهم والذين نعتهم حمدان بأنهم ذوي مكر وخداع ، واتفق معه الخليفة في ذلك الوصف .

ولذا عليه أن يتخذ من الاجراءات العسكرية ما يحفظ امن المنطقة ويساعد في نشر مبادىء المهدية ونفوذها ويعيد هؤلاء العربان الى حظيرة المهدية ، وخاصة وان تماديهم في العصيان ومقاومتهم سيؤثر على ولاء ذويهم الآخرين والذين ما زالوا بمناطقهم في كردفان ، مما قد يوسع شقة المشاكل . ومن ثم فقد انتهز فترة الهدوء النسبي الذي شمل قبائل النوبا ـ فأجل حملاته نحو النوبا بعض الوقت لانهم في نظره من السهل السيطرة عليهم وانجاز أمرهم في أي وقت آخر[1] ورأى أن يستشير الخليفة في أمرهم .

وبالرغم من ذلك فان معارضة هؤلاء لم تكن نابعة من تفكير سياسي منظم ، ولم يكن الغرض منها اسقاط النظام السياسي لدولة المهدية ، أو ان هناك تفكير موحد بين هذه الاطراف لايجاد تكوين حكومي معين ، ولكن قد يرجع هذا كله الى ان تكوين هـذه القبائل وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ووسائل معيشتها وطرق حياتها قد جعلهم لا يحتملون الضغط المباشر من فرض سيادة معينة أو الحصول على ضرائب مباشرة (كأخذ حقوق الله أو الزكاة) التي كان يطالب بها دعاة المهدية فضلا عن الغنائم التي كانوا يأخذونها منهم ، مما لم تتعود عليه هذه المجموعات ولذا انتهز بعضهم فرصة وفاة المهدي ، واعتقد ان نظام المهدية قد انتهى وانهم غير ملزمين بعد ذلك بالتبعية لمن يخلفه .

ومن ثم كتب حمدان ابي عنجة الى الخليفة يخطره بضرورة مواجهة هؤلاء العربان والتصدي لهم عسكريا ، وقد وافقه الخليفة على ذلك وفوضه باتباع الوسيلة المناسبة التي تمكنه من اخضاعهم ، سواء أكان ذلك بترضيتهم

---

(١) مهدية ١/٢٥/١ ، ص ٢٦ ، ٩ القعدة ١٣٠٢ (١٩ أغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

واقناعهم أو ردعهم بالقوة وأوصاه بأن يعمل لانجاز ذلك بطريقة سلمية ، لان موقفهم هذا أساسا ينبع من دافع اقتصادي وخاصة سعيهم للحصول على البقر لانهم يعشقون تربيتها ورعايتها [1] وتكون عندهم مصدر رزق هام . ويعتبر الخليفة هؤلاء العربان من الذين يمكن اقناعهم بسهولة واذا اقتنعوا ورجعوا للمهدية فانهم سيبذلون في سبيلها كثيرا ، ويرجع موقف الخليفة هذا الى رغبته في ضرورة كسب ولاء هؤلاء لاعتقاده بأنهم من الذين يعتمد عليهم في كردفان ويعمل للحصول على تأييدهم ، ومنهم تتكون المجموعات التي يعمل على أن يستفيد منها ويرجع اليها في كل حين . ومن هنا كانت وصيته لحمدان بانتهاج الوسائل السلمية لاخضاعهم . والحقيقة فان الخليفة في أغلب مكاتباته ومنشوراته لحمدان كان يؤيده في خطواته واتجاهاته السياسية على ضوء الواقع الذي يعيشه ، لاعتقاده بأنه يؤمن بفكرة المهدية ايمانا بعيدا ويساند الخليفة مساندة تامة ، اذن لا بد أن تكون خطواته العسكرية والسياسية مؤيدة طالما انها كانت في اطار المهدية العام وتحت لواء حكمه وسيادته .

ومن هذا يتضح ان هناك تفويضا لحمدان باتخاذ التدابير التي تضمن ولاء المنطقة وتحفظ الامن والسلام للمناطق الاخرى المجاورة .

ثم بدأ حمدان تحركاته العسكرية في جبال النوبا ضد العربان في حوالي ذي الحجة ١٣٠٢ ، أغسطس/سبتمبر ١٨٨٥ . فاستطاع أن يأسر جماعة الطوقية ــ أحد فروع الحوازمة الذين كانوا بجبل (أبي عظام) بعد أن دعاهم للمهدية وحذرهم من مغبة خروجهم ، فاقتنعوا برأيه ووافقوا على الهجرة الى أم درمان ، ثم أدوا اليمين على ذلك ، وتسليم ما عندهم من الغنائم التي أخذوها عن الحمر وغيرهم ، ولكنهم خدعوا حمدان ونكسوا بهذا الاتفاق ، ثم حضر وفد من مشايخهم الى حمدان لتوضيح موقفهم ، وكان معهم بعض

---

(١) مهدية ١/٢٥/١ ، ص ٢٦ ، ٩ القعدة ١٣٠٢ (١٩ أغسطس ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

الخيول فسلموها كغنائم على حسب الاتفاق ، وأعلنوا له بأنهم قرروا العودة الى مقرهم بالبركة وعدم الهجرة الى أم درمان ، وعندما ذكر لهم ان ذلك يخالف اليمين الذي أدوه أوضحوا بأنهم أدوه تحت اكراه وتحفظ ، فاعتقلهم حمدان وطالبهم باحضار كل الغنائم التي حصلوا عليها ، وأرسلهم لاحضارها تحت حراسة قوة من الانصار بقيادة عبد الله ابراهيم[1] ، فعادت هذه القوة وقد تحصلت على ٢٧٠٠ رأس من البقر و ٢٠٠ رأس من الرقيق و ٥١ من الخيول .

غير ان عربان الحوازمة عادوا مرة أخرى لاثارة الاضطرابات بين سكان الجبال وزعزعة الاستقرار والامن بدليل ان وفودا من مشايخ جبال الكواليب أكثروا التردد الى حمدان يطلبون حمايته وردع تحرشات عربان الحوازمة[2]، واذا كان هؤلاء النوبا قد أوضحوا تحركات العربان وطلبوا الحماية من حمدان الا انهم أيضا أرادوا خلق مشاكل أخرى لحمدان يمكن أن تخفف بها مراقبته عليهم عندما ينصرف لعلاجها فيجدون مجالا رحبا بالجبال .

وقد أثمرت هذه الاجراءات التي اتخذها حمدان ضد الحوازمة ، فأدت الى اذعان بعض فروعهم للمهدية مثل الرواوقة ، وأولاد عبد العال ، وأولاد تاور ، وذلك عندما تأكد لهم انه سيظل يطاردهم حتى يرجعوا ، كما ان أحد قادتهم جاء لحمدان ببارة وأعلن ولاءه للمهدية ورغبته في الهجرة[3] .

ورأى حمدان خلال هذه العمليات العسكرية أن يعيد النظر في بعض تنظيماته لكي يواجه تحركات هؤلاء العربان وغيرهم من سكان الجبال ، فأمر أنصاره

---

(١) مهدية ١/٢/٣ رقم ٤٥٣ ، ص ١٤٤ ، ١٤ ذي الحجة ١٣٠٢ (٢٣ سبتمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ ص ٢٩٨ ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٣ (١٠ مارس ١٨٨٥) من الخليفة الى حمدان .

(٣) مهدية ١/٢٥/٢ ص ٢٤١ ، ٢٨ محرم ١٣٠٤ (٢٧ اكتوبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

بالانتقال بكامل المعدات والاسلحة الى منطقة الجبال القريبة من القيزان ليتمكن من امداد قواته بالجبخانة اللازمة ، وأن يبقى هو بجبل (وطا) حتى ينهي أمر الجهادية الخارجين ويتفرغ لمواصلة مطاردة العربان[1] .

واتجه حمدان في هذا الاثناء لاخضاع المسيرية الذين جاهروا بعدوانهم ، وذلك عندما أرادوا خدعته حتى لا يتتبعهم ويطاردهم باستمرار ، فقد حضروا اليه يتقدمهم بعض مشايخهم وأعلنوا اذعانهم للمهدية وانهم سيحضرون مع مجموعة أخرى من أهلهم الى أبي حراز ، وانهم يحتاجون الى من يقوم بارشادهم وتعليمهم مبادىء المهدية[2] ، فوافق حمدان وأرسل معهم من يقوم بمهمة التوجيه والارشاد .

أما مجموعات الحمر فقد أخذ عليهم حمدان تصرفاتهم المخالفة للمهدية وخاصة في شرب الخمر وتعاطي « التنباك » وحياة الرقص والغناء ولو ان مثل هذه الاشياء تتساوى فيها كثير من المجموعات القبلية الاخرى الا ان ظهورها هنا يوضح ان حمدان قد وصلته قضايا محددة في هذا الخصوص ، مما جعله يوجه لهم نداءات متكررة بالتخلي عن هذه الاشياء وأحس بعدم قبولهم لنداءاته تلك وانهم لم يستجيبوا لطلبه في امداده بالجمال الموزعة في منطقتهم ، وكل ما أرسلوه اليه عبارة عن أربعين جملا هزيلا[3] ذرا للرماد في العيون . وبالرغم من ذلك فان الخليفة طلب اليه اتخاذ الاساليب السليمة، والتي يمكن بها اصلاحهم وكسب جانبهم لان زعيمهم ابراهيم المليح — في رأي الخليفة — من الانصار المؤيدين والمعتمد عليهم . وهناك جانب آخر

---

(١) مهدية ١/٢٥/٢ ص ٢٢١ ، ١٢ محرم ١٣٠٣ (١١ اكتوبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ١/٢٥/١ ، ص ١٤٧ ، ١٣ شوال ١٣٠٣ (١٥ يوليو ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٣) مهدية ١/٢٥/١ ، ص ١٤٧ ، ١٣ شوال ١٣٠٣ (١٥ يوليو ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

اه تأثير لدى الخليفة فالحمر هم من الأبالة الذين أيدوا المهدية وناصروها، واستمرارهم في هذا الموقف يجعل المهدية تتمكن من الحصول علي حاجتها من الجمال متى أرادت ذلك ، ولانهم أيضا يجاورون الكبابيش الذين يعارضون المهدية ، مما يجعلهم في موضع حاجز بين الكبابيش والمناطق المؤيدة للمهدية فضلا عن انهم يستطيعون تقديم خدمات أخرى في مواجهة الكبابيش . كما ان بعضا من البديرية استغلوا تغلغلهم في مناطق جنوب كردفان فقطعوا الطرق على الرائحين والغادين ، وعاقوا الصلة بين الخليفة وعامله في بحر الغزال ، ولذا فقد طلب الخليفة من حمدان أن يعمل على اجبار هؤلاء البديرية للاقامة بمركز الابيض فقط . وألا يسمح لهم بالخروج وذلك ليأمن شرهم ويمكنه مراقبتهم[1] .

وكان حمدان قد كلف النور عنقرة والزاكي طمل بملاحقة أولاد حميد الذين حضروا لمقابلة حمدان في أم طلحة، وهناك أظهروا رضوخهم واستسلامهم ولكنهم نقضوا كل ذلك وحاولوا الالتجاء الى مناطق الجبال ، وهي ملاذهم كلما ألم بهم خطب أو داهمهم خطر ، وكان على هذين القائدين ان يجردوا أولاد حميد من أموالهم واضعافهم والقبض على رؤسائهم واحضارهم الى أم طلحة لارغامهم على الاستسلام ومراقبتهم[2] .

وبعد هذه الاجراءات المتعددة التي اتخذها حمدان في سبيل اخضاع المجموعات العربية المتغلغلة في أوساط جبال النوبا والمتداخلة مع سكانها ، رأى ان الاحوال قد هدأت بعض الشيء ، وان مجهوداته قد أثمرت الى حد ما في تقليل خطورتها .

ومن ثم اتجه الى التركيز على تنظيم المجتمع وارساء قواعد المهدية

---

(١) مهدية ٣/١٠/٤ ص ٩٥ ، ٢٦ صفر ١٣٠٤ (٢٤ نوفمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ١/٢٥/١ ص ٧٣ ، أول ربيع آخر ١٣٠٣ (٧ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

بالقضاء على المفاسد والمحرمات التي تحاربها المهدية وكل ما يتعارض والمجتمع الذي كان ينشده المهدي ، ولذا رأينا حمدان يوفد دعاته الى مناطق الجبال يعظون السكان ويرشدونهم ويقرأون عليهم منشورات الخليفة في الثناء عليهم والصفح عنهم وتهدئة خواطرهم ، وحثهم على الاندماج في هداية المهدية .

ومن هؤلاء الدعاة الحاج مرزوق الذي ذهب الى جبال قدير وبلل الناقور الى تلودي ، للتوجيه والقضاء على أي محرمات أو مفاسد ، وفي هذا الاثناء كان حمدان قد تمكن من رؤساء تقلي الذين يشكلون خطورة ، ولم يبق الا الذين لا خطورة من وجودهم[1] .

ثم تطلبت الظروف مرة أخرى أن ينقل حمدان مقر قيادته من أم طلحة الى شركيلة ، وذلك بغرض تسهيل مراقبة العربان ، ولكن الغالب انه أراد بذلك أن يكون في موضع سهل للرحيل لتلبية نداء الخليفة في أي وقت متى ما تطورت الاحداث في الشمال وتأزم الموقف للدرجة التي تجعل الخليفة يأمر حمدان بالسفر اليه . وكانت اجراءات ترحيل المعدات الحربية والعائلات من أم طلحة الى شركيلة قد تطلبت اعدادا من الجمال لم يتمكن حمدان من الحصول عليها فطلبها من عربان الحمر ولكنهم لم يلبوا طلبه ويقدموا له الجمال اللازمة ، لانهم خشوا أن ينتهز حمدان هذه الفرصة ويصر على تهجيرهم الى أم درمان ، ولكن حمدان تمكن من الحصول على حاجته لهذا الغرض عندما أمده سيماوي تمساح بما يحتاج اليه من قبيلة دار حامد . وكان تعداد الذين تجمعوا بشركيلة من جراء هذا الترحيل ١٢٩١٨ من النساء والرجال والاطفال ، وهو العدد الذي سيقوم حمدان بترحيله الى أم درمان متى ما استدعى الامر ذلك[2] .

---

(١) مهدية ٢/٢٥/١ ص ٤١ ، ٢ محرم ١٣٠٤ (٢٧ اكتوبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٤٧ ، ١٣ شوال ١٣٠٣ (١٥ يوليو ١٨٨٥) ، من الخليفة الى حمدان .

وكيفما كان الامر فان مجهودات حمدان ضد المجموعات العربية في جبال النوبا لم تأت بثمارها على الوجه المطلوب ، فما زالت هذه المجموعات تتوغل في أوساط قبائل النوبا وتمارس أعمالها التجارية وغيرها كما أنها تعمل لمساعدة النوبا وتحريضهم كلما سنحت لها الفرصة ، بل ان معارضتها لنظام المهدية انتقلت من جبال النوبا الى مناطقها في كردفان حيث دخلت مع سلطة المهدية في صراع مستمر •

حمدان أبو عنجة ومحمد خالد زقل :

لقد كلف الخليفة حمدان أبي عنجة في كردفان بتجريد محمد خالد زقل عامل دارفور من كل امكانياته العسكرية والمادية ، وتدخل تلك العملية في نطاق سياسة الخليفة الرامية الى تصفية قدرات الاشراف ، وغلف تلك السياسة بدعوته الى وحدة جيش المهدية تحت قيادة واحدة هي الراية الزرقاء •

وكان الخليفة قد طلب حضور زقل الى أم درمان ، وعندما ألح عليه وافق على الحضور فخرجت جيوشه الى أم درمان عبر كردفان • ثم طلب الخليفة من علي ولد الهاشمي توفير الغلال اللازمة لهذه الجيوش وعمل التسهيلات الكافية[1] •

ثم طلب من حمدان أن يبذل في سبيل كسب زقل كل وسائل الدهاء والسياسة فان قبل الانضمام بجيوشه اليه فعليه أن يحترمه ويوقره ، على أن ينفذ تلك الاوامر في سرية تامة حتى يصبح زقل في متناول يده ، وان يتحلى باليقظة ، في مواجهة زقل وذلك لحنكته ومقدرته ، اذ ربما يكون في قبول زقل الحضور بكل جيوشه تنسيقه مع الاشراف في أم درمان ، خاصة وان عددا من جهاديته كانوا قد تسربوا الى أم درمان ، بالرغم من ان الخليفة في هذا الاثناء كان قد جرد الاشراف وأضعف شوكتهم[2] •

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٧١٥ ، ص ٢٤٣ ، ٢٥ ربيع آخر ١٣٠٣ (٣١ يناير ١٨٨٧) من الخليفة الى علي ولد الهاشمي .

(٢) مهدية ١/٢٥/١ ، ص ١٠٤ ، ١٧ جماد آخر ١٣٠٣ (مارس ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

ثم وصل زقل الى باره في ١٢ ابريل ١٨٨٦ ، ولم يكن ثمة بشائر تدل على حسن استقباله اذ سرعان ما أحاطت به جيوش حمدان الذي كان قد وصل الى بارة أيضا ، وعرض عليه أوامر الخليفة الخاصة بتسليم كل جيوشه وتجريده من ممتلكاته ، فهاله الامر ولم يجد بدا من التسليم ، ولكنه لم يقبل التنازل عن ممتلكاته الخاصة فحاول التمسك بها واخفاها ، كما طالب بعدم مصادرة أموال بعض الافراد، وتحت اصرار حمدان على ضرورة المصادرة، تقدم زقل بدعوى الى نائب الشرع في كردفان وهاجم حمدان هجوما شنيعا[1] وقد أخطره حمدان بأن تلك الاجراءات تمت بتوجيه من الخليفة مباشرة ، ولعله أراد بذلك أن يحرجه حتى لا يعارض تلك الاجراءات ولكن زقل أصر على موقفه فاعتقله حمدان وأرسله تحت الحراسة الى الابيض وأخطر الخليفة بذلك ، ثم اضطر حمدان الى ارساله الى أم درمان ليكون قريبا من الخليفة في ١٢ ربيع اول ١٣٠٤/ ١٩ ديسمبر ١٨٨٦ ٠

---

(١) مهدية ١/٢٥/١ ص ١٤٢ ، ٢٥ رمضان ١٣٠٣ (٢٧ يونيو ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

الفصل الثالث

الصراع بين الخليفة والكبابيش

كانت السياسة العامة التي رسمها الخليفة لقبائل كردفان ومن بينها قبيلة الكبابيش هي العمل على تهجيرها الى أم درمان وخاصة القبائل التي يخشى بأسها ويعمل للاستفادة منها • ولكنه واجه عدم رغبة تلك القبائل في ترك ديارها ومغادرتها الى أم درمان ، وذلك للرابطة التقليدية التي تربطها بارضها ومكان اقامتها الدائم ، حتى ترتب على ذلك الرفض عصيان مسلح ، وقد اتخذ ذلك الصراع الشكل التقليدي المتمثل في الولاءات والتنظيمات المحلية والسلطات المركزية ، وخاصة أن المهدية كانت ضد التنظيمات القبلية والاقليمية[1] • وكان ولاء تلك القبائل لزعمائها أكثر من الولاء لسلطة الخليفة كما كان رؤساء ومشائخ تلك القبائل يتمسكون بسلطاتهم المحلية والقبلية، بل وجد من بينهم من اعتبر نفسه ندا للخليفة شخصيا ، واعتبروا أنفسهم أحق منه بتلك المكانة السامية لانهم يتزعمون قبائل كبيرة عددا وقوة[2] •

ومن هنا أخذ الكبابيش يقاومون المهدية مقاومة عنيفة ، وصمد زعيمهم صالح فضل الله صمودا متينا في رفضه نظام المهدية كله والرضوخ لسلطة

---

(١) محمد ابراهيم ابو سليم ، **الحركة الفكرية فى المهدية** ، ص ٣٤ .

(٢) محمد فؤاد شكري ، **مصر والسودان** ، الطبعة الثانية ، (١٩٥٨) ص٤١٩

الخليفة • وقد ارتبط ذلك الموقف بأسباب تاريخية وجغرافية[1] ، وأخرى سياسية واقتصادية ، وجاءت أوامر الخليفة بهجرة القبيلة الى أم درمان ، فزادت موقفهم حدة وعداء ومن هذه الاسباب ما يلي :

أولا : فهم بحكم وضعهم الجغرافي يعيشون في منطقة صحراوية واسعة ساعدتهم في اشباع هواية التنقل ، فحدود الكبابيش كما وضحت في المقدمة تقع بين خطي عرض ١٤° ــ ١٦° شمالا في منطقة صحراوية • وتعتبر قبيلة الكبابيش من أكبر قبائل السودان عددا فقد قدر تعدادهم قبيل الثــورة المهدية بحوالي ستين ألف نسمة[2] ، ولكن هذا العدد انخفض في عهد المهدية الى حوالي عشرين ألفا[3] بينما يقدر عددهم طبقا لتقارير الاحصائية الواردة عام ١٩٥٨ بحوالي ثمان وستين ألف نسمة ، مما جعل البعض يشير الى ان هذه القبيلة تتألف في الواقع من عدة قبائل ساعدت طبيعة اقليمها وحياتهـا الاجتماعية ووحدتها السياسية والاقتصادية على أن يطلق عليها اسم قبيلـة الكبابيش[4] •

ثانيا : وقد أدى وضعهم هذا الى التحكم في مصادر اقتصادية وتجارية هامة ، فهم حلقة الوصل التجارية بين دنقلا وكردفان ، وبين كردفان ومصر ، وقد جعلهم ذلك يوطدون صلاتهم بالسلطة في مصر بغرض الحماية العسكرية والسياسية ، فيظهر من خطاب موجه من صالح فضل الله زعيم الكبابيش الى قمندان عساكر نقطة ابو قسي ، يشرح له تحركات اتباع المهدي ، وانهـم الى دخول بعض الاسواق ، كسوق السرم ومناطق الجابرية والكردليبيعوا بضائعهم ويشتروا مايحتاجون اليه ، وطبقا للاوامر المعروفة عنده فانه ينبغي تجهيز قوة

---

(١) محمد ابراهيم ابو سليم ، **الحركة الفكرية في المهدية** ، ص ٣٥ •

(٢) Prout, **Op. cit**, P.7.

(٣) Talal Asad, **Op. cit**, P. 11.

(٤) محمد عوض محمد ، **السودان الشمالي** ، ص ٢٤٢ •

عسكرية لمطاردتهم والقبض عليهم[1] • ويتضح من ذلك ان صلة زعيم الكبابيش كانت وثيقة مع المسؤولين المصريين ، وقد أفادته تلك الصلة بالاضافة الى التحكم في الطرق التجارية من كردفان الى مصر في السيطرة على بعض البضائع التي تدر أموالا هائلة كالصمغ وريش النعام والجمال والرقيق والعاج وغيرها ، فهم من ناحية اقتصادية يستمتعون بهذا الوضع ، ثم انهم من ناحية سياسية لا بد أن يختلفوا اختلافا جذريا مع المهدية لانها حاولت أن تسلبهم تلك المكاسب بالسيطرة عليهم وتهجيرهم الى جهات غير وطنهم الاصلي ، ثم معاداة النظام القائم في مصر وهو الذي يتعاون معه زعيم الكبابيش • ذلك ان العلاقة بين هذه القبيلة ومصر علاقة قديمة ، ارتبطت بتكوين الاسرة المالكة في القبيلة ، فمع انهم كانوا ينقلون الصادرات السابقة لمصر ، كانوا أيضا يجلبون بضائع تحتاج اليها الاسواق السودانية كالمنسوجات القطنية الملونة والبيضاء والارياح والكحل والشاي والصابون والمحلب والقرنفل والصندل • وبعد نشوب الثورة المهدية أصبح الكبابيش المصدر الرئيسي في نقل تلك البضائع الى داخل البلاد • وبحكم هذه الرابطة التجارية زادت العلاقة وثوقا مع مصر ، حتى انهم في فترة من الفترات توصلوا مع الحكومة في مصر على شروط مقبولة لنقل البضائع المختلفة كالصمغ مثلا[2] • ولذلك يعتبرون معاداة الحكم في مصر هدرا لتلك المكتسبات وضربة لا مبرر لها لجانب من مقوماتهم الاقتصادية ، مما يجعلهم يحسبون مقاومة سياسة الخليفة لتهجيرهم عملا وطنيا خالصا ينبغي تأييده •

ثالثا :ومن الاسباب الهامة في معارضتهم ، ان المهدي قتل التوم ، أخا

---

(١) PRO/30/57/5. Misc. Corrospondance ,
٣٥/عمومي/٢٤ تاريخ ١٥ جماد آخر ١٣٠٢ (٣١ مارس ١٨٨٥) **امضاء** صالح بك فضل الله عمدة كبابيش كردفان وعربان المديرية . نقلت الوثيقة من السيد محمد محجوب مالك نائب مدير دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

(٢) راجع جغرافية كردفان وسكانها في المقدمة ، الكبابيش .

صالح وهما ابنا فضل الله ود سالم شيخ الكبابيش ، وقد جاء ذلك الحادث في الوقت الذي أظهر فيه الاخوان ولاءا للمهدية وحضرا للابيض لمقابلة المهدي نفسه وقدما له هدية مقدارها مائتا جمل ، فأظهر لهما المهدي حسن الوفادة وأكرمهما[1] ، وحسبما ذكرت المصادر فان الامور لم تسر على طبيعتها اذ أن المهدي أوفد اثنين من أمرائه وهما الحاج محمد أبو قرجة عامله على الكبابيش ، ومحمد ادريس للقبض على التوم فضل الله ، حيث تمكنا من أسره وأسر زوجاته وأبنائه وكميات هائلة من ممتلكاته وثروته[2] وأحضراه الى المهدي في الابيض حيث أعدمه في عام ١٣٠٠/١٨٨٣[3] ، ويرجح البعض أن سبب اعدامه جاء من أن عيون المهدي تمكنت من كشف صلات تمت بينه وبين غردون في الخرطوم بل ان الذين أسروه كشفوا عن خطاب وارد اليه من غردون ، ويرجحون أيضا انه ربما حدث ذلك لان الكبابيش كانوا يعادون القبائل التي خضعت للمهدية ، فقد اعترضوا ظعنا لقبيلة خضعت للمهدية ونهبوه ، فأصدر المهدي كتابا الى التوم وصالح يطالبهما برد ما أخذاه من تلك القبيلة من مال ورقيق ومواشي ويحثهما على اتباع القواعد الاسلامية الواردة في الكتاب والسنة وان ينبذوا العادت المخالفة لذلك ، فان فعلا ذلك فلهما الامان والا تعرضا للغضب والعقاب[4] .

رابعا : ويضاف الى ذلك شعور الكبابيش بان تعاليم المهدية تتعارض مع بعض عاداتهم وتقاليدهم التي ألفوها ومارسوها ، فقد كتب اليهم المهدي منشورا ، وأوفد اليهم دعاة يرشدونهم الى دعوة المهدية ، واقامة الشعائر

---

(١) Ohrwalder, **Op. cit**, P. 62

(٢) ابراهيم فوزي ، **كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنير** (١٣١٩ هـ) ج ١ ص ٢٣٧ .

(٣) Holt, **The Mahdist State**, P. 135.

(٤) ابراهيم فوزي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٧ .

الدينية وانشاء المساجد ، وأن يتركوا الموبقات وتعاطي الخمور وعرضها في الاسواق ، وترك البدع والسرقة والفسق وحذرهم من الزنا « والتنباك » وطالبهم باخراج زكاة أموالهم ، ومنع نسائهم وبناتهم من الخروج ومن البكاء على الموتى وحدد لهم مهور البنات ومنعهم من امتلاك الاراضي بحجة الوراثة عن الآباء والاجداد والمطالبة بخراجها وأجرها[1] • ولكنهم لم ينصاعوا لمحتوى هذا المنشور ، ولم يأخذوا بارشاداته واعتبروه دعوة لنبذ عاداتهم والتخلي عن جوانب من حياتهم التي ألفوها وورثوها ، فرفضوا ذلك في اباء ، وأرادوا المحافظة على قديمهم • وورد أن زعيمهم صالح فضل الله تجاهل أمر المهدية (وأخرج حقة التنباك) أمام رسل المهدي وأخذ منها (سفة) تهكما وسخرية في المهدية ودليلا على مخالفته لدعوتها[2] •

خامسا : وقد اقتنع الخليفة بأن صالح فضل الله شيخ الكبابيش عدو له وللمهدية وذلك لتواطئه مع حكام مصر ، ومحاولة اولئك لاتخاذه منفذا لمعرفة تفاصيل الاحوال في السودان وتطورات أحداثه ومدى قوة المهدية وسيطرتها على البلاد •

ولتحقيق هذا المطمع الذي يشكل مهمة رئيسية لقلم المخابرات المصرية حينذاك أظهر حكام مصر ودا لزعيم الكبابيش وعملوا على قضاء مأربه ، وتحقيق أطماعه وآماله في الحصول على السلاح والجبخانة • ولانه أيضا كان يمد حكومة مصر بكل أخبار الحوادث التي تنشب بينه وبين الخليفة وكل تطورات العلاقة بينه وبين المهدية ، فاذا هاجم منطقة معينة كان يخطر الحكومة المصرية بذلك ، واذا انتصر في هجوم معين كان أيضا يخطر الحكومة

---

(١) منشورات المهدي ، الاحكام والآداب ، جـ ٣ ، ص ٢٤١ وما بعدها من المهدي الى كافة من هو مقيم بحلال جبال زغاوة وجميع من بتلك الجهات من كبابيش ومرامرة وأولاد مراج وفراضة ونوبه وغيرهم •

(٢) عبد الله محمد أحمد حسن ، **جهاد في سبيل الله** (١٩٦٥) ص ١٢٤

المصرية به وغير ذلك من الاخبار التي كان ينقلها أولا بأول لمصر[1] ، كذلك من عوامل توطيد علاقته بمصر ، انه أمد حملة انقاذ غردون في عام ١٨٨٤ باعداد كبيرة من الجمال التي كانت ذات أهمية قصوى للنقل عبر صحراء بيوضة ومن جهات أخرى[2] ، وعلى ضوء كل ذلك فصالح فضل الله في نظر الخليفة « ... عدو الله ورسوله ومهديه وعدونا وعدو الاسلام ... فلا تلتفتوا الى أقواله ولا تؤثر فيكم تخيلاته ولا تقبلوا له امان ... »[3] ولا يعني هذا أن يكون قادة المهدية أعداءاً لجماهير الكبابيش بل عليهم استمالتهم وارخاء الجانب لهم وحسن معاملتهم ، مما يساعد في تسهيل مهمة المهدية في مناطقهم[4] .

الخليفة وصالح فضل الله :

لقد جعلت تلك الاسباب الكبابيش بقيادة زعيمهم صالح فضل الله يعلنون معارضتهم الصريحة للمهدية مما استهدف مواجهة مسلحة بين الجانبين . فقد أمر الخليفة حمدان أبي عنجة أن يجرد الحملات الكافية لاخضاع الكبابيش ، فأعد حملة من أهالي دار حامد بقيادة شيخهم سيماوي تمساح على أن تعزز هذه القوة باعداد أخرى تتم بالتشاور مع عثمان ادم في الابيض[5] وبناء عليه طلب الخليفة من عثمان آدم العمل على دعم تلك القوة ،

---

(١) راجع جريدة القاهرة ، السنة الاولى ، العدد ١٧٥ ، ٩ شوال١٣٠٣ ، (١١ يوليو ١٨٨٦) .

(٢) A. B. Theobald, The Mahdiya, (1959) P. 146

(٣) مهدية ١/١١/٢ ص ١٠٠ تاريخ ٢٨ رجب ١٣٠٤ (٢٢ ابريل ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٤) مهدية ١/٢٥/٢ ص ٢٨٩ ، ٢٣ ربيع آخر ١٣٠٤ (١٨ يناير ١٨٨٧) من الخليفة الى حمدان ابي عنجة .

(٥) مهدية ١/٢٥/٢ ص ٣٤٢ ، ٣٠ جماد آخر ١٣٠٤ (٢٥ مارس ١٨٨٧) من الخليفة الى حمدان .

ولذا عين عثمان ادم فرقة بقيادة العطا أصول يساعده محمد احمد عوجة وعلي الحاج النور وأحمد مالك على أن تلتقي هذه الفرقة بقوات سيماوي تمساح السابقة وتكون كلها تحت قيادته .

خرج هذا الجيش في آخر جماد الثاني ١٣٠٤/ ٢٥ مارس ١٨٨٧ ، بعد أن طلب اليه التنسيق مع عبد الرحمن النجومي عامل الخليفة في دنقلا لسد المنافذ الشمالية وان تكون صلاتهم وثيقة بعربان المنطقة لمعرفة المناهل والاماكن التي يرتادها صالح الكباشي[١] .

وقد هيأ حمدان سبل النصر لهذه الحملة فأمدها بكميات الجبخانةاللازمة والمؤن الغذائية ويسر لها وسائل النقل وحثها على التركيز حول صالح فضل الله دون التعرض لمتلكات الآخرين بدون أسباب وجيهة[٢] ، وتتبعت هذه الحملة الكباشي حتى الصافية وعلمت هناك بأنه يعاني أزمة حادة في الحصول على (العيوش)[٣] .

ولكن هذه التدابير العسكرية لم تأت بنتيجة مبكرة مما أزعج الخليفة وخاصة عندما أخطره عبد الرحمن النجومي بتصاعد أمر الكباشي واتصاله المستمر مع أعداء المهدية في مصر . فقد أوضح له بان طلائع من أنصار صالح فضل الله وصلت الى حلفا بغرض الاتصال بالسلطات المصرية ، فتربص لهم النجومي وتمكن من أسر بعضهم ، وكانوا جماعة من التجار الجلابة

---

(١) مهدية ٢/٤٢/٢ ص ٩٧ ، ٩ رجب ١٣٠٤ (٣ أبريل ١٨٨٧) من أبي عنجة الى عثمان ادم .

(٢) مهدية ٢/٢٥/١ ص ٣٦٧ ، ١٤ رجب ١٣٠٤ (٨ أبريل ١٨٨٧) من الخليفة الى حمدان .

(٣) مهدية ٤/١٠/٣ رقم ٤٤٨ ص ١٥٦ ، ٢ شعبان ١٣٠٤ (٢٦ ابريل ١٨٨٧) من الخليفة الى العطا اصول ومحمد أحمد عوجة وعلي الحاج النور .

الموالين لصالح فضل الله وآخرين[1] . ورغم أن محتوى تلـك الخطابات غير معروفة الا أن مضمونها كان بصدد تعميق الصلات وتوطيدها كذلـك أوضح النجومي للخليفة بأن حوالي مائة من أنصار صالح الكباشي ومعهم ما يقدر باربعمائة جمل قدموا عن طريق الاربعين ونزلوا في منطقة عنكش للحصول على الجبخانة ، ويشيرالىالخليفة انه بالرغم منأن الغرض الاساسي هو القضاء على صالح الكباشي الا أن إفلات هذه الجمال بحمولتها يزيـد من غروره وعصيانه ويقوي روحه المعنوية ، ولذا ينبغي القضاء على هـذه الحملة مع التركيز على انهاء أمر صالح نفسه[2] .

أما صالح فضل الله فقد زادت خطورته داخل كردفان ، وأثار الرعب في نفوس العربان المعارضين له وأخضع بعضهم اليه عن طريق الخوف أو عن طريق الاستمالة . فقد تمكن من ضم مجموعات (الكبيشات وأولاد أبـو شاية .. ودار سعيد .. والحامداب والكواهلة جماعة ولد المسيك ، ودار أم بخيت ، وطائفة من بني جرار ...) كما استطاع أن يستميل اليه بعض النوبا من سكان جبل الحرازة ممن يقودهم محمد ولد دوليب ، وتمكن من اقناع هؤلاء بمعاداة المهدية ومقاومتها[3] .

وبناء على ذلك كلف الخليفة حمدان ابي عنجة بان يرسل على جنـاح اسرعة اخطارا الى عثمان آدم بالابيض ومساعده علي أحمد الهاشمي يأمرهما بضرورة مضاعفة الجهد واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالقضاء على صـالح

---

(١) مهدية ٢/٦/٣ رقم ٣٣٣ ، ص ١٦٨ ، ٢٧ ربيع آخر ١٣٠٤ (٢٣ يناير ١٨٨٧) من الخليفة الى النجومي .

(٢) مهدية ١/١/١ ص ٧ ، ١٣ رجب ١٣٠٤ (٧ أبريل ١٨٨٧) مـن عبد الرحمن النجومي الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١/١ ص ٨ ، رجب ١٣٠٤ (ابريل ١٨٨٧) من عبد الرحمن النجومي الى الخليفة .

فضل الله[1] .

ومن ثم فقد وجه وجه عثمان آدم قوات اضافية لتقوية القوات التي تهاجم الكبابيش واشترك في قيادتها من أمراء المهدية عبد القادر دليل والختيم موسى والضو محمد أحمد والشايب البزعي وسليمان اكرت[2] حتى بلغت قوات المهدية في مواجهة صالح الكباشي ٩٨٥٩ مقاتلا من الانصار[3] . كما كلف محمد احمد حامد جفون أن يساهم في انهاء أزمة الكبابيش ، وان يعمل على توفير الجمال اللازمة لترحيل الجيوش ، وأن يساعد في جمع المعدات للقتال ، على أن تكون تلك الاستعدادات سرية حتى تتهيأ له الامكانيات المطلوبة[4] .

وبالرغم من هذه الاجراءات الا انها لم تحسم تمرد صالح الكباشي ، في الوقت الذي كان يعتقد فيه الخليفة انها كافية للقضاء على حركة الكبابيش ، ولذلك عندما لم تصل الخليفة أخبار تشير بنجاح قواته أخذ يلوم قادته ، وشك في انهم قد انتابتهم أغراض تتعارض مع اتجاهه، وأنذرهم بانه سيضطر الى ايفاد رجال يثق بهم لانهاء هذه المهمة[5] .

---

(١) مهدية ١/٢٥/٢ ص ٣٧٨ ، ٢٣ رجب ١٣٠٤ (٧ أبريل ١٨٨٧) من الخليفة الى حمدان .

(٢) مهدية ١/١١ مجلد ٢ ص ٩٥ ، ١٨ رجب ١٣٠٤ (١٢ ابريل ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٣) مهدية ٣/١٠/٤ ، رقم ٤٦٩ ص ١٧٤ ، ١١ شعبان ١٣٠٤ (٥ مايو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم . راجع مهدية ١/١١/٢ ص ١٠٢ ، ١١ شعبان ١٣٠٤ (٥ مايو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان آدم .

(٤) مهدية ٣/٩ رقم ٨٣١ ، ص ٢٨٢ تاريخ ١٥ جماد أول ١٣٠٣ (١٩ فبراير ١٨٨٦) من الخليفة الى محمد حامد وعوض السيد قريش .

(٥) مهدية ٣/٩ رقم ١٠٠٥ ، ص ٣٤١ تاريخ ١٨ جماد آخر ١٣٠٣ (٢٤ مارس ١٨٨٦) من الخليفة الى محمد حامد .

وفي هذا الاثناء كان عبد الرحمن النجومي قد أرسل سرية في ٨ رجب ١٣٠٤/٣١ مارس ١٨٨٧ بقيادة أحمد الطيب البصير يساعده عثمان محمد عيسى للتوجه لجهة عيلاوي بعد أن زودها بالخيول والاسلحة النارية الكافية ، وكانت مهمتها تعقب صالح فضل الله وأتباعه وقد حضر اليه عند خروج هذه الحملة محمد تقا مقدوم عربان الهواوير حيث أوضح له النجومي تفاصيل الاجراءات المتخذة ضد الكباشي وأخطره بأن أنصار صالح فضل الله قد قطعوا الطرق التي تمر بدياره ويخشى أن يكون هناك تفاهم بين الهواوير والكبابيش مما يساعد الكبابيش في قطع الطرق المؤدية الى أم درمان . وطلب من محمد تقا هذا أن ينضم الى حملة أحمد الطيب البصير ليساعده في تسهيل جمع الجمال اللازمة للنقل وتوفير مياه الشرب[1] . وفي نفس الوقت أعد النجومي حملة أخرى وجهتها عين ولد ابتنكل حيث كان يعتقد أن صالح يقيم هناك .

ويرى النجومي بعد ذلك ضرورة اتخاذ اجراءات صارمة ضد صالح الكباشي ، ويقترح في هذا الشأن على الخليفة تكتيكا عسكريا لقفل المناطق الاستراتيجية وفرض حصار شديد على صالح حتى لا يجد منفذا يفلت منه ، وذلك بارسال قوات لمهاجمته في شكل مثلث ، قوة من دارفور وثلاث حملات من حمدان ابي عنجة ، تتجه الاولى الى البقرية تمنعه من القدوم اليها والثانية تتوجه الى الصافية والثالثة تتوجه الى أم بادر . اما القوة التي تخرج من أم درمان تتوجه الى جبرة ومنها الى الصافية ، فبالاضافة الى القوات التي خرجت من طرف النجومي الى عيلاوي وعين ولد ابتنكل ، تكون قد قفلت أمامه جميع المنافذ سواء للحصول على الماء الضروري أو مجال الافلات من القبض فلا يجد ملجأ أو مهربا بعد ذلك[2] .

---

(١) مهدية ١/١/١ ص ٧ تاريخ ١٣ رجب ١٣٠٤ (٧ أبريل ١٨٨٧) من عبد الرحمن النجومي الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١/١ ص ٧ تاريخ ١٣ رجب ١٣٠٤ (٧ أبريل ١٨٨٧) من عبد الرحمن النجومي الى الخليفة .

هذا بالاضافة الى توجيهات الخليفة لسكان كردفان بضرب حصار اقتصادي حول الكباشي وأتباعه وذلك بأن يمتنعوا من التعامل معه أو اعطاء أتباعه ما يحتاجون اليه من الذرة وغيرها من الضرورات ، وفي نفس الوقت اصدر انذارا الى كل من يتعامل مع الكبابيش أو يساعدهم بانه سيواجه عقابا صارما[1] • والملاحظ هنا أن أغلب هذه الحملات موجهة الى أماكن ارتياد الماء التي تشكل عصب الحياة في تلك البقعة الصحراوية ، وتلعب دورا هاما في التكتيك العسكري ، ولا بد أن يبحث عنها صالح فضل الله لكي يواصل كفاحه ، وعدم توفر المياه لجنوده يضعف من امكانياته الدفاعية ويؤثر في حالة اتباعه المعنوية والنفسية •

وكان النجومي مهتما بأمر صالح فضل الله لانه كان يعلم مدى خطورة حركته ، وأخطر الخليفة بأن المصريين كادوا يعزوزن موقفه بقوات من عساكرهم ولكن ذلك لم يتم لانه علم باعتراض الانجليز على ذلك الاجراء[2] • وقد تابع النجومي تحركاته ، حتى علم الجهات التي يتنقل فيها صالح ، فقد كانت أكثر اقامته بالمحبس ويحصل على المياه من الصافية ، وكان النجومي يعتقد انه بعد علم صالح بهذه الخطوات العسكرية المتخذة ضده سيعمل على تجميع قواته في ام بادر ، فاذا تأكد انه لا طاقة له بالمقاومة قد يتقهقر الى مليط أو مناطق أخرى في دارفور[3] وفي هذه الحالة تستطيع الفرقة القادمة من دارفور قفل الطريق أمامه ، ولكن الاهم من ذلك كله في نظر النجومي — حصره نهائيا في أم بادر والقضاء عليه ، اذ ان احتمال هروبه بعد حصره هناك ضعيف •

وقد شعر صالح فضل الله بالمضايقة الشديدة حوله وأحس بالحصار الذي

---

(١) مهدية ٢/١١/١ ص ٨٩ تاريخ ١٤ رجب ١٣٠٤ (٨ أبريل ١٨٨٧) من الخليفة الى احبابه في الله كافة قبائل حمر على وجه العموم .

(٢) مهدية ١/١/١ ص ٨ تاريخ رجب ١٣٠٤ (أبريل ١٨٨٧) من عبد الرحمن النجومي الى الخليفة .

(٣) نفس المصدر .

تفرضه قوات المهدية ، وضعفت امكانيات حصوله على المؤن الغذائية وأصبح ارتياده للماء يشكل خطورة لاتباعه ، فكتب الى الخليفة يطلب الامان ، كما كتب الى حمدان ابي عنجة وعثمان آدم ، وخاطب محمد حامد جفون ومحمد صالح ساتي على بدتقلا طالبا الامان ، وواضح من هذه الاتصالات انه أراد أن يشعر كل الاطراف المحاصرة من جميع الجهات بأنه يطلب الامان وأعلن انه سيذهب الى الخليفة طائعا مختارا ويطلب تفويضه لجمع الزكاة من الاهالي وتوريدها لبيت المال[1] .

وبالرغم من تشكك الخليفة في النوايا التي أملت على صالح فضل الله طلب الامان واحساسه بأن ذلك خدعة ، للظروف القاسية التي يواجهها من شح الارزاق وقصور في الحصول على المياه الا انه رأى من حسن السياسة ملاطفته ومنحه الامان الكافي وترغيبه ، فأصدر له في ١٠ رجب ١٣٠٣/ ١٤ أبريل ١٨٨٦ أمانا وطلب منه الامتثال للمهدية وطاعتها[2] . ثم أرسل اليه وفدا مكونا من محمد نوباوي وحنيطير سلمان لينقلا له وجهة نظر الخليفة ويعرضا عليه أمانه ويرشداه للهجرة الى أم درمان ، ولذلك لم يجد صالح أمام تلك السياسة بدا من قبول أمان الخليفة ورغبته في الهجرة ، وسلمهما الاموال التي جمعها ، وارسل معهما هدية للخليفة عبارة عن مجموعة من الابل وحصانا خاصا[3] .

والواقع ان صالح فضل الله لم يكن يقصد من ذلك سوى الحصول على فسحة من الوقت يحصل بها على حاجته من الذرة ويرفع من روح اتباعه المعنوية ثم يعيد نشاطه الحربي ضد المهدية . واستمرت مع هذه المحاولات

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ رقم ١٠٨٧ ص ٣٧٢ تاريخ ١٠ رجب ١٣٠٣ (١٤أبريل ١٨٨٦) من الخليفة الى محمد حامد جفون .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٣٧ ص ١٢ تاريخ ١٠ رجب ١٣٠٣ (١٤ ابريل ١٨٨٦) من الخليفة الى محمد حامد .

(٣) مهدية ١/٣/٣ ص ٢٠ ، ١٥ ربيع آخر ١٣٠٣ (٢١ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى صالح فضل الله .

أيضا وسائل ترغيب بقية الكبابيش فكان الخليفة يكثر من توجيههم ويدعوهم الى الهداية ونبذ الدنيا ، ويسعى بذلك للمحافظة على المؤيدين الذين كسبهم من الكبابيش مع العمل على كسب مزيد منهم[1] فقد أخطر حمدان أبي عنجة بعودة بعض الكبابيش الذين كانوا فارين من وجه المطاردة الى منطقتهم بعوائلهم وقد أعطاهم الخليفة الامان ، ومن هؤلاء جماعة التوم ولد فضل الله[2] ، بل هناك من الكبابيش من وقف مع المهدية بقوة بعد ذلك مثل عوض السيد قريش وجماعته ، ويرجع ذلك لاقتناعه بمدى قوة المهدية كما يوحي هذا الموقف بخلاف بينه وبين صالح فضل الله .

استمرار مطاردة الكبابيش :

ويتضح من الخطوات التي اتخذها الخليفة في مطاردة الكبابيش ان حصاره لهم شمل تقريبا كل الرقعة التي يقطنونها باعتبار ان صالح فضل الله سيكون حتما في منطقة ما من مناطق الكبابيش ففي الوقت الذي يدعم فيه قواته الضاربة خلف صالح فضل الله ، نراه يوجه قوات أخرى الى مناطق بعيدة كلما سمع بخروج من الكبابيش ، فمثلا عندما علم عثمان آدم ان مجموعة من الكبابيش كانوا قد تعهدوا بتوريد جمال لعبد الرحمن النجومي في كورتي وأخلوا بالتزامهم ، خشي من انهم قد يستغلون ذلك الموقف ويثيرون القلاقل والاضطرابات ، مما يقوي مركز زعيمهم صالح ، فندب لهم قوة بقيادة عبد القادر دليل ، ونصحها بعدم التعرض للاهالي من الكبابيش أو غيرهم[3] ، وقد استطاعت هذه القوة أن تأسر كميات كبيرة من ممتلكات

---

(١) مهدية ٢/٨/٣ رقم ٢٣٦ ص ١٠٠ ، ٥ ربيع أول ١٣٠٤ (٢ ديسمبر ١٨٨٦) منشور من الخليفة الى الكبابيش جماعة عوض السيد قريش .

(٢) مهدية ٢/٢٥/١ ص ٢١٥ ، ٨ محرم ١٣٠٤ (٧ اكتوبر ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان .

(٣) مهدية ١/١١/١ ص ٥٨ ، ٣ ربيع آخر ١٣٠٤ (٣٠ ديسمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى عثمان آدم .

الكبابيش وجمالهم وتتوجه بهـا الى الابيض . وفي مشرع العاديك بأرض الفراحنة أبلغ عثمان آدم بتفاصيل ما تحصل عليه من هذه الغزوة[٣] ، وقد أدى أسر أعداد من ابل الكبابيش وممتلكاتهم الى تشريد بعضهم وضياعهم في البادية ، وقاد ذلك بعضهم الى الالتجاء لجانب المهدية مما أضعف قـوة صالح فضل الله ، بينما دفعهم ذلك في أحيان أخرى الى الاغارة على بعض (الحلال) المجاورة للحصول على المؤن والغـلال أو بغرض اثارة القلاقل في المناطق التي خضعت للمهدية ، فقد حـدث أن تعـددت اغارات بعض الكبابيش على كاجه للحصول على المؤن ولكن قوات المهدية تمكنت مـن هزيمتهم وأسرت بعضهم بأسلحتهم[٢] . ثـم اضطر عثمان آدم ازاء تلـك الهجمات المتكررة لارسال نجدة من الابيض بقيادة البشاري ريده لتعزيز الدفاع عن تلك البلدة[٣] .

والحقيقة فان الخليفة قد بذل كثيرا من الجهد في محاولاته للقبض على صالح فضل الله فكان يراقب بنفسه التقارير الواردة ويشارك في رسم الخطط لمطاردته وكان يطلب تفصيل كل صغيرة وكبيرة مما يدور في اقليم الكبابيش، فعندما بعث اليه عثمان آدم يفيده بمعارك حدثت بين صالح وجماعة سليمان اكرت في أم بادر حيث هزم وأسر بعض أتباع صالح ، وحصل سليمان اكرت هناك على تلغراف وارد من السلطة المصرية الى صالح الكباشي ، كذلك تمكن سيماوي تمساح والعطا أصول من القبض على محمد دوليب زعيم جبل الحرازة الموالي لصالح فضل الله ، طلب الخليفة المزيد من التفاصيل حول هذه الواقعة وغيرها من الاحداث وأثار بعض التساؤلات ، مـا هي

---

(١) مهدية ١/١١/١ ، ص ١/٦٧ ، ١٦ ربيع آخر ١٣٠٤ (١٢ يناير ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٢) مهدية ١/١١/١ ص ٦٧ ، ١٦ ربيع آخر ١٣٠٤ (١٢ يناير ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٣) مهدية ٢/١١/١ ص ١٠٣ ، ١١ شعبان ١٣٠٤ (٥ مـايو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

أصناف الغنائم من غير التلغراف والى أي جهة فر صالح من أم بادر ومن كان يصحبه وهل هرب بمفرده أم بصحبة جماعة من أتباعه[1] كل ذلك كان يدور بخلد الخليفة حين وصله تقرير عثمان آدم ، وكان لا بد أن تكتمل الصورة في ذهنه ليتمكن من ابداء الرأي حول ما ينبغي اتخاذه .

وكان صالح قد توجه حين فراره الى عين حامد ولد ابتنكل ، وتتبعه الانصار حتى القاشطة وعلموا أن عربانه قد تأثروا من العطش ، ومن ثم لاحقته قوات الانصار على ضوء أوامر عثمان آدم الموجهة الى سليمان اكرت والختيم موسى وعبد القادر دليل[2] .

وكان صالح ـ وقوات المهدية تطارده ـ يسعى في الحصول على المساعدات الحربية من سلاح وذخيرة من مصر ، فقد استطاعت قوات النجومي في شمال السودان أن تطارد قافلة من الكبابيش كانت في طريقها الى حلفا للاتصال بالمسؤولين المصريين[3] ، وعند عودة هذه القافلة في ٧ رجب ١٣٠٤/ ١ أبريل ١٨٨٧ ، تصدت لها فرق قوات النجومي ، والتقت بالقافلة قرب واحة سليمة حيث دارت بينهم معركة في ٢٢ رجب ١٣٠٤/ ١٦ أبريل ١٨٨٧ ، انتصر فيها الانصار ، وأسروا ثلاثة واربعين من رجالها من بينهم تاجر الماني يسمى كارل نيوفلد[4] ، وغنم الانصار كل ما تحمله

---

(١) مهدية ٢/١١/١ ص ١/١٠٩ ، ١٩ شعبان ١٣٠٤ (١٣ مايو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٢) مهدية ٣/١٠/٤ رقم ٤٧٣ ص ١٧٦ ، ٢٢ شعبان ١٣٠٤ (١٦ مايو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٣) مهدية ٢/١١/١ ص ١١٣/٢ ، شعبان ١٣٠٤ (مايو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٤) كارل نيو فلد ألماني كان يسعى لانشاء تجارة واسعة للصمغ مع كردفان ولكن قبض عليه وبقي في أسر الخليفة حتى قيام الحكم الثنائي فأطلق سراحه. ألف كتاباً في السجن اسمه (سجين الخليفة) وتزوج وهو سجين امرأة حبشية تسمى أم شول ، عاد لالمانيا عام ١٩١٤ ومات عام ١٩١٨ .

القافلة من سلاح وذخيرة ثم أعدم النجومي جميع الاسرى بناء على توجيهات الخليفة بينما أرسل كارل[1] نيوفلد الى أم درمان . وكان زعيم القافلة ويدعى اسماعيل ولد بنيه من رفيق صالح فضل الله قد تمكن من الهرب أثناء المعركة، حيث نقل لسيده تفاصيل المعركة . ولم يعد بعد ذلك أمام صالح الا الاعتماد على امكانياته ومواجهة مصيره فقد ضاقت حلقة الحصار ، وتضاعفت مطاردة الانصار حتى كاد الخليفة أن يلقي كل قواته في أرض الكبابيش لتقضي على صالح فضل الله . فبالرغم من القوات الهائلة التي تزرع صحراء الكبابيش عرضا وطولا ، أرسل الخليفة قوات أخرى من ام درمان بقيادة محمد نوباوي واسماعيل الامين لدعم القوات السابقة ، على ان تنبثق منهم قوة أخرى في الحنيك تتحرى عن أمر صالح الكباشي بقيادة جاد الله ولد النوم ، ثم تقدم تقريرا عن أحواله ومقوماته[2] .

وأن ينضم جاد الله بليلو الى هذين القائدين وأن تتحرك كل قواتهم في ٢ رمضان ١٣٠٤/ ٢٥ مايو ١٨٨٧ ، وتتبع صالح فضل الله حيثما كان . ولكن الخليفة اضطر في ذلك الوقت أن يستدعي محمد نوباوي واسماعيل الامين وجاد الله بليلو لمساعدته في اخماد ثورة المرضي ابوروف[3] ، بينما حدث تكتل لقوات الخليفة في أرض الكبابيش بزعامة سيماوي تمساح والعطا أصول وعبد القادر دليل والبشاري ريده والختيم موسى ، واقتفت أثر صالح حتى الصافية ، وعندما علم الكباشي بقدوم هذه القوات الهائلة فر هاربا الى عد جبل السريرة ولكن هذه القوات واصلت تتبعها له ، وحينئذ تعرض

---

(١) مهدية ٢/١٧/٢/٦/٣ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ١٦ شعبان ١٣٠٤ (١٠ مايو ١٨٨٧) من الخليفة الى عبد الرحمن النجومي .

(٢) مهدية ٤/١٠/٣ رقم ٤٧٦ ص ١٧٨ ، ٢٩ شعبان ١٣٠٤ (٢٣ مايو ١٨٨٧) من الخليفة الى محمد نوباوي واسماعيل الامين .

(٣) مهدية ٩/١٤/٢ ص ١٠٤ ، ٤ رمضان ١٣٠٤ (٢٧ مايو ١٨٨٧) من محمد نوباري وجاد الله بليلو واسماعيل الامين الى الخليفة .

أتباعه الى أتعاب ومشاق ومات عدد كبير منهم بأثر العطش والتحرك المستمر في البادية ، ثم تحرك من عد السريرة بتتبع الانصار هاربا الى الصافية مرة أخرى ، فطاردوه وهناك اصطدموا بأتباعه فقتل أعداد منهم من بينهم أخ صالح فضل الله • ورغم هذا الهجوم العنيف الذي شنه الانصار وكثرة عدد الاسرى والقتلى والغنائم التي حصلوا عليها الا انهم لم يظفروا به فما زال يفر من عد الى عد ، وما فتىء يقاوم ويسعى الى النصر وهزيمة الانصار[1]•

وقد نقل الخليفة أخبار هذه المطاردة الى عبد الرحمن النجومي خوفا من أن يحاول صالح الالتجاء الى مصر ، وطلب اليه أن يكون يقظا ، فان ما أصاب الكباشي من شدة البأس والقتل بين اخوانه ورجاله وسبي نسائه واغتنام أمواله ، اذ قتل في عد السريرة من جماعته فقط حوالي ألفين ، قد تجعله تلك الظروف يهرب الى مصر للحماية أو الحصول على السلاح والذخيرة ، ولذا على النجومي أن يفرض حراسة مشددة •

قتل صالح وانهاء عصيان الكبابيش :

وعندما غادر حمدان ابي عنجة وجيشه كردفان ، شعرت بعض القبائل التي لم تؤمن بالمهدية أو ذات الولاء الضعيف ان تلك فرصتها يمكنها أن تعيد فيها نفوذها وسطوتها ، وأوعزت الى صالح فضل الله بان الظروف في كردفان ممهدة لمقاومة المهدية ، وانه يمكنها تقديم كثير من المساعدات له ، ومن تلك القبائل الكواهلة والحمر وغيرهم ، مما حسن له ذلك الرأي وجعله يحضر الى أم بادر[2] •

---

(١) مهدية ٢/١٧/٢/٦/٣ ص ٢٩٠ ، ٥ رمضان ١٣٠٤ (٢٨ مايو ١٨٨٧) من الخليفة الى عبد الرحمن النجومي •

(٢) مهدية ٢/١١/١ ص ١١٨/١ ، ١٣ رمضان ١٣٠٤ (١٥ يونيو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم •

هذا في الوقت الذي كان فيه الخليفة يواصل سياسته واجراءاته في مضايقة الكباشي ويدعو قادته وأتباعه بعدم السماح له من ورود مناهل المياه ومنعه من الحصول على (العيوش) وتجريده من ممتلكاته واغتنامها[1] وكذلك أرسل الخليفة قوة أخرى من أم درمان بقيادة محمد نوباوي تصحبه مجموعة من عربان المعاليا والمجانين واعداد من البقارة ، اتجهت هذه القوة الى منهل أم بادر حين تبادر الى علمها ان صالح يتحصن هناك ومعه مائتا رجل من أسرته ومواليه ، وبقية القبيلة موزعة بين المناهل والمراعي الاخرى . فاستطاعت هذه الحملة أن تضرب حصارا شديدا حول ابار ام بادر وحاولت الوصول الى منهل المياه ، ولكن صالح فضل الله تمكن من منعهم[2] ، واستمر القتال في اليوم الثاني وكان صالح ما يزال مسيطرا على مناهل الماء ، ولكن المجهود المضني الذي بذله في الصمود أمام قوة الانصار وشدة الحصار وقتل أخ له قد أثر في معنويات أتباعه مما جعل قوات المهدية تظفر به ، وعندما أرادوا أسره وشد وثاقه لم يستسلم لهم بل لعنهم وسب المهدية أمامهم[3] وافترش فروته كعادة الفرسان حينذاك[4] ينتظر حتفه فتقدم نحوه الامير جريجير وجز رأسه ثأرا لدم أبيه وعمه وقتل معه عدد من أتباعه

---

(١) مهدية ٣/١٠/٤ رقم ٥١٧ ص ١٨٩ ، الاثنين ١٣ رمضان ١٣٠٤ ، (١٥ يوليو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٢) Wingate. , **Op. cit**, P. 290.

(٣) ابراهيم فوزي ، **المصدر السابق** ، ص ٢/١١٤ .

(٤) كانت هذه العادة من مميزات الفروسية والاصالة لدى المحارب السوداني فكان لا يرضى بالاستسلام اما النصر أو الموت ، حدث ذلك للامين ود عجيب في معركة حدثت بينه وبين عثمان ود حمد أحد فرسان الشايقية في أواخر القرن السابع عشر فعندما هزم لم يستسلم بل افترش فروته ، ولكن عثمان عفا عنه. وحدث للخليفة نفسه عقب هزيمته في أم دبيكرات حيث افترش فروته ، كذلك فعل صالح فضل الله .

في ١٧ مايو ١٨٨٧[١] ، ثم أرسلت رأسه ورأس كاتبه الى أم درمان حيث علق الخليفة رأسيهما في الجامع بغرض اشهار موته[٢] وكتب الى الاقاليم المختلفة يعلن موت صالح فضل الله سالم في أم بادر[٣] . وبعد قتل صالح فضل الله أسر الانصار أعدادا كبيرة من الكبابيش وحلفائهم وأرسلوامجموعات كبيرة من الكبابيش الى أمدرمان ، ثم اناب عثمان آدم قائده عبد القادر دليل مسؤولية الاشراف على منطقة الكبابيش وتوزيع الانصار عليها لمراقبتها وتفتيشها من الذين اختفوا عن المهدية سواء من الكبابيش أو غيرهم ، وتأمين المنطقة كلها من آثارهم وبقاياهم[٤] .

ومن الاشياء التي اهتم بها الخليفة ، الوثائق والاوراق والمكاتبات المحفوظة لدى صالح فضل الله أو لدى أعوانه[٥] ولعله أراد من ذلك أن يلم بكل تفاصيل علاقاته بمصر وبزعماء القبائل الذين أيدوه ، وقد تلقي له الوثائق بعض الضوء بالنسبة للاوضاع والظروف في مصر نفسها .

وقد انتدب الخليفة من يقوم بحصر غنائم الكبابيش وجمعها[٦] ، وقد أرسلت عائلة صالح فضل الله من نساء وأتباع الى الخليفة بأم درمان[٧] .

---

(١) Ohrwaldr, **Op. cit**, P. 251.

(٢) مهدية ٣/١٠/٤ رقم ٥١٩ ص ١٩١ ، ١٣ رمضان ١٣٠٤ (٥ يونيو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٣) مهدية ١/١١/٢ ص ١٣ ، ١٠ شوال ١٣٠٤ (٢ يوليو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٤) مهدية ١/١١/٢ ص ١٣ ، ١٠ شوال ١٣٠٤ (٢ يوليو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

(٥) مهدية ٣/١٠ ص ٢٢٦ ، ٧ القعدة ١٣٠٤ (٢٨ يوليو ١٨٨٧) رقم ٦٣٥ من الخليفة الى عثمان ادم .

(٦) ابراهيم فوزي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١١٣ .

(٧) مهدية ١/١١/٢ ص ١/١٣٢ ، شوال ١٣٠٤ (يوليو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان ادم .

وبعد هذا الذي أصاب قبيلة الكبابيش من ابادة لزعمائها وموت أعداد كبيرة من جماهيرها بسبب الظمأ والهيام في الصحراء وبسبب البؤس والعذاب النفسي والمادي الذي أصابهم وتنقلهم المستمر من منهل الى آخر بحثا عن الماء والاحتماء من سياط الانصار ، بعد كل ذلك أصدر الخليفة عفوه عنهم وعين عوض السيد قريش أميرا عليهم تقديرا لتفانيه في خدمة المهدية[1] ، ثم تركهم يهيمون في باديتهم يجترون ذكرياتهم ويعيشون ذلك الحزن اللاعج والاسى والدفين •

لقد أخذ اهتمام الخليفة بمسألة الكبابيش طابعا سياسيا وعسكريا ، اد رأى ان فرض نظام المهدية ينبغي أن يتم عن طريق القوة والسلاح ، وان كرامة الحكم وهيبته تحتم ضرورة انهاء أزمة صالح فضل الله ، وبالرغم من ضخامة التكاليف الحربية واعداد الجيوش الضارية خلف صالح ، وكفاءة قادة المهدية المحاربين ، الا ان النصر لم يكن سهلا لان صالح ناضل بجرأة ضد المهدية وصمد في موقفه ضد سلطاتها رغم امكانياتها ، ولم يستسلم حتى في أضعف مواقفه مما يؤكد عدم ايمانه بأي حال من الاحوال ، بالمهدية كنظام سياسي أو نظام عقائدي ديني فاعتبر نفسه ثائرا وطنيا ضد نظام طاغ أراد فرض سيطرته عنوة ، وسلبهم كقبيلة ذات تقاليد وهيبة استقلالهم وكينونتهم ، ومن ثم فان حريتهم وكرامتهم تحتم عليهم أيضا التضحية والفداء في سبيل أرضهم وبلدهم ومقومات حياتهم ، مما جعل المواجهة عنيفة والحرب ضارية •

---

(١) مهدية ٩/٨ ، يوسف ميخائيل **المصدر السابق** ، ص ٧٢ .

الفصل الرابع

عثمان آدم وسياسة التهجير

جماد اول ١٣٠٣ ، فبراير ١٨٨٦ / صفر ١٣٠٨ ، اكتوبر ١٨٩٠

ذكرت في الفصل الاول ان الخليفة نقل محمود عبد القادر الى دنقلا ورشح مكانه عثمان آدم[١] في صفر ١٣٠٣ ، نوفمبر ١٨٨٥ ولكن محمود انشغل بمسألة الجهادية حتى قتل ، فاسندت مهام عمالته الى حمدان ابي عنجه ، واختير علي أحمد الهاشمي الذي كان ضمن قوات حمدان في الجبال ليكون وكيلا في الابيض في فترة خلوها من العامل الرسمي[٢] .

ثم قرر الخليفة اختيار عثمان آدم عاملا على كردفان وزوده بقوات عديدة،

---

(١) عثمان آدم (١٨٨٦ ــ ١٨٩٠) .

كان يلقب بجانر وهو من قبيلة التعايشة ومن أقرباء الخليفة عبد الله . أظهر منذ صغره نبوغا في العسكرية وشهرة في الفروسية ، فتولى عمالة كردفان وهو في العشرين من عمره . ومن كردفان قاد جيشا الى دارفور فهزم يوسف ابراهيم وقتله واحتل الفاشر ، واستولى على شكا ودارا ، وأنهى تمرد الامير أحمد فضيل، ثم هزم أبو جميزة من قبيلة المساليت ، وأعاد سلطان المهدية في دارفور أصيب بآلام في رئتيه في ٥ أكتوبر ١٨٩٠ ، وغالبه الالم حتى مات بعد أربعة أيام من ذلك.

(٢) مهدية / ٣ / ٩ / ٣/ رقم ٤٥٧ ص ١٥١ ، ٢٣ ربيع أول ١٣٠٣ ، ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥) من الخليفة الى علي الهاشمي .

وفي طريقه للابيض تخلف بمنطقة جديد لدعم قواته وتركيزها[1] وفي جماد أول ١٣٠٣ ، فبراير ١٨٨٦ أمره الخليفة بالتوجه الى كردفان لمباشرة مهام منصبه.

وهناك بدأ أعماله تحت رئاسة حمدان ابي عنجة ، لان حمدان كان مسؤولا عن كردفان عقب موت محمود عبد القادر ، بالاضافة الى انه أعلى مرتبة ومكانة عن عثمان آدم ، كما ان في ذلك الوضع اعتبارات أدبية لحمدان ابي عنجة .

وقد أدرك عثمان آدم هذا الوضع فحسن علاقته مع حمدان وبذل جهده في اطاعته ومؤازرته (.. وانكم لم تقدموا على قطع أي أمر كان بوجوده الا بعد اشارتكم له .. وكذا بغيابه أيضا جارى الاستئذان منه ..)[2] . وهذا يوضح أن حمدان أبي عنجة كان ينتقل في اشرافه على المنطقة بين كردفان وجبال النوبا ، وعلى ضوء ذلك فقد ساعده عثمان آدم في محاولة اخضاع الضباب عندما أرسل اليهم حمدان سرية من الانصار تمكنت من هزيمتهم وأسر بعضهم[3] .

وقد استمرت العلاقة بين حمدان وعثمان آدم قائمة على هذا الاساس حتى غادر حمدان غرب السودان في ١٢ مارس ١٨٨٧ ، ومن ثم أصدرالخليفة تعليماته بجعل كردفان ودارفور عمالة واحدة وعين عليها عثمان آدم في ١٢ ربيع أول ١٣٠٥/٢٨ نوفمبر ١٨٨٧ ، وعزل يوسف ابراهيم عن دارفور لاتهامه بالخيانة وعدم ولائه للمهدية[4] . وبالرغم من أن الخليفة لم يكن

---

(١) مهدية ١/١١/١ ص ٣ جماد أول ١٣٠٣ (٢٤ فبراير ١٨٨٦) .

(٢) مهدية ٣/١٠/٤ ص ١٠٦ ، ٤ ربيع آخر ١٣٠٤ (٣١ ديسمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى عثمان آدم .

(٣) مهدية ١/١١/١ ص ٦ ، ٨ شعبان ١٣٠٣ (١ يونيو ١٨٨٦) من الخليفة الى عثمان آدم .

(٤) مهدية ١/١١/٣ ص ١٩٥ ، ١٢ ربيع اول ١٣٠٥ ، (٢٨ نوفمبر ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان آدم .

متأكدا من موقف يوسف ابراهيم ، اذ أشار لعثمان آدم بجعل منشور عزله سريا حتى التأكد من حقيقة موقفه ، فاذا وجده صادقا في ولائه لا يعلنه وان وجد فيه إعراضا عن المهدية يعلنه دون تردد ، وفي كلا الحالتين فان الاجراء بتعيين عثمان آدم عاملا على عمالة الغروب كان قائما على ثقة الخليفة فيه .

وكان الخليفة يشيد بجماعة عثمان آدم ويكثر من عطفه عليهم بغرض رفع روحهم المعنوية وضمان ولائهم المستمر للمهدية واطاعتهم لقائدهم عثمان آدم . وقد رمى الخليفة من وراء ذلك لاشعار الانصار بعطفه عليهم وتواضعه معهم .

ولتأكيد هذه السياسة قضى على الفوارق الطبقية بين قواته ، وأقام المساواة المطلقة بين المحاربين دون تمييز بالالقاب ، فاصدر في هذا الشأن منشورا الغى به الالقاب المحلية المتعارفة كالفكي والفقير والفقراء والالقاب الشخصية ، وامر بعدم التلفظ بها وسط الجنود لان ذلك قد يسيء لبعضهم ، وجعل الالقاب المتعارفة بينهم هي الاصحاب والانصار فقط[1] وقد جعل هذا الاجراء مساواة جميع أتباعه في أداء مسئولياتهم وواجباتهم دون أن تعطي تلك الالقاب أي فرد مكانة سامية تميزه عن غيره ، وجعل كفاءة الاداء والبذل في سبيل المهدية هي المحك المميز بين اتباعه . ويبدو ان عثمان آدم نفسه كان يتحرج من لقبه المعروف بجانو فاتاح ذلك المنشور الفرصة لاصدار منشور آخر بعدم مناداة عثمان آدم بجانو بل باسمه فقط وهدد بعقوبة من يخالف ذلك الامر[2] .

وقد واجهت عثمان آدم بعض الاحداث والمشاكل بين الاقسام الادراية

---

(١) مهدية ٢/١١/١ ص ١٥٤ ، ٢٦ الحجة ١٣٠٤ ، (٧ يونيو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان آدم .

(٢) مهدية ١/١١/١ ص ٤٦ ، ١٤ محرم ١٣٠٤ ، (١٣ اكتوبر ١٨٨٦) من الخليفة الى عثمان آدم .

في كردفان ، ومن أمثلة ذلك ان سيماوي تمساح شيخ دار حامد رفع شكوى ضد تدخل علي منير عامل الجوامعة في بعض مناطق دار حامد وعين عليها أحد أتباعه ويسمى حامد ولد الميرم مخالفا بذلك الوضع الاداري للمنطقة لانها من المقرر أن تكون تابعة لسلطات علي أحمد الهاشمي في الابيض ، مما أدى الى استياء أهالي دار حامد ومطالبتهم بتصحيح الوضع ، فأصدر الخليفة تعليماته الى علي منير بأن يلتزم حدوده المعينة في دار الجوامعة لان دار حامد من اختصاص عامل الخليفة في الابيض ويشرف عليها وكيله ، ثم طلب من سيماوي تمساح أن يتعاون مع علي الهاشمي في ادارة هذه المنطقة[1] .

وقد وجه الخليفة أيضا حسيب أحمد جمال الدين عامل شات بألا يتعرض للقرى المجاورة للطيارة وعددها تسعة عشر قرية[2] ، على أن تكون هذه القرى من اختصاص علي منير وان ينصرف هو الى عمله داخل الحدود المرسومة له الواقعة بين دار الاحامدة وشبشه[3] ، وتركت منطقة الجمع ودار الاحامدة الى يونس الدكيم ، ثم أضيفت دار الاحامدة الى عمالة شات وعين عليها حسيب أحمد جمال الدين أحد أتباعه ويدعى عبد الله محمد الصالح[4] .

ولكن بالرغم من ذلك فقد وقعت على عاتق عثمان آدم مهام أخرى في غاية الاهمية بالنسبة لسياسة الخليفة في كردفان وهي القضاء على صالح فضل الله شيخ قبيلة الكبابيش واخضاع الكبابيش الى المهدية ، وقد بذل

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٨١٦ ص ٢٧٥ ، ١٠ جماد أول ١٣٠٣ ، (٤ فبراير ١٨٨٦) من الخليفة الى علي منير .

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٦٩٣ ص ٢٣٤ ، ٢٤ ربيع آخر ١٣٠٣ (٣٠ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى حسيب أحمد جمال الدين .

(٣) مهدية ٣/١٠/٤ رقم ٥٤١ ، ٢١ رمضان ١٣٠٤ ، (١٣ يونيو ١٨٨٧) ، من الخليفة الى كافة عباد الله المؤمنين الداخلين في هذه الحدود .

(٤) مهدية ٢/١٤/١٢ ص ٢٠٧ ، ١٧ الحجة ١٣٠٤ ، (٧ أغسطس ١٨٨٧) من حسيب أحمد جمال الدين الى الخليفة .

عثمان آدم جهدا كبيرا في هذا الامر على نحو ما هو في الفصل الثالث الصراع بين الخليفة والكبابيش •

ثم عمل على تنفيذ سياسة الخليفة في تهجير قبائل كردفان الى أم درمان، وقد واجهته صعوبات كثيرة اضطرته للمواجهة المسلحة ضد هذه القبائل •

تهجير قبائل كردفان الى أم درمان :

ارتبطت الهجرة في فترة المهدية في أذهان الناس رباطا دينيا بهجرةالرسول الكريم من مكة الي المدينة مناضلا في سبيل تحقيق الحق وتطهير المجتمع من براثن الجهالة والضلال وكان المهدي نفسه قد اقتدى بسنة الرسول حين أراد أن يعمق مفهوم النضال في قلوب مناصريه فهاجر بهم الى مكان يكون فيه قوام الدين لغرس مفاهيم الكفاح الثوري ، والارتباط الوثيق بعقيدتهم الدينية ، ومدلولات ذلك جهاد في سبيل الله ضد أعداء البلاد وأعداء الدين

وعندما اكتمل للمهدي خلق الفئة القادرة على تحمل مسؤوليات فكرته واتجاهه خرج بهم غازيا في شأن الله حيثما كان الضلال والفساد ، وسيادة تعاليم الاسلام الصحيح دون تحديد حيز مكاني لتطبيق ما أراده • ولذلك كانت دعوة المهدي الجهاد في سبيل الله حقيقة تجسدت فيها ارادته الثورية والدينية ، وبهذا المفهوم تمكن من جذب جماهير الغرب المحاربة في صفوفه لتهاجر معه لتكملة بناء الفكرة ، ومؤمنة بأن الولاء للمهدية هو مزيد من البذل والتضحية فهاجرت طائعة راضية لنصرة الثورة ونجاحها •

وحاول الخليفة الاقتداء بسنة المهدي في هذا السبيل فكتب الخطابات وأصدر الاوامر المشددة الى عماله وأمرائه وأعوانه وزعماء القبائل يدعوهم الى الهجرة الى أم درمان مستخدما في ذلك كل وسائل الدعاية والترغيب ، لاقتناعه ــ بعد ممارسته السلطة ــ ان تثبيت دعائم حكمه واستمرارسيادته يعتمد عمليا على العنصر المتمثل في قبائل الغرب •

ويرجع اصرار الخليفة بعد ذلك على ضرورة تهجير هذه القبائل الى عدة عوامل منها ما يلي :

١ ــ شعر الخليفة بأن هناك من ينكرون أحقيته في تولي الخلافة بعد المهدي ، وعلى رأس هؤلاء الاشراف ، وانه لكي يؤكد أحقيته ويفرض وجوده لا بد له من سند قوي يعتمد عليه ، فكان لا بد أن يستند على قبائل الغرب[1] لانها من فصيلته ، وانه يستطيع أن يفرض ارادته عليها ، مما جعله يختار أغلب قادة الجيوش والامراء منها ، وفرقته الرئيسية (الراية الزرقاء) تتكون منهم ، وعماله الاساسيون من هذه الفصيلة . وهو بذلك يستطيع أن يضعف من سلطة (أولاد البلد) وابعادهم عن سيطرة الحكم ، وبذلك يفسح المجال الى قبائل البقارة فيقوي نفوذهم .

٢ ــ اتخذ الخليفة من مبدأ الجهاد في سبيل الله واستمرار الكفاح الذي بدأه المهدي لبناء الدولة وتطبيق فكرة المهدية ، وسيلة لمخاطبة قبائل كردفان لتقبل هجرة أوطانها وانتقالها بكل ما تملك من أبناء ونساءوممتلكات الى أم درمان مدعيا بأن (الكفرة) قدتحركوا نحو البلاد يريدون احتلالها،وكلف حمدان أبي عنجة[2] للقيام باستنفارها لتسرع لحماية البلاد وردع المعتدين ، دون أن يركز في استنفار كل قبائل السودان للذود عن بلادها ، مما يجعل ان غرضه لم يكن مواجهة الاعداء بقدر ما هو سبيل الى اقناع تلك القبائل بالهجرة ، مركزا على أن الهجرة أصبحت واجبة ينبغي عليهم قبولها ، ومن ينفذونها سينالون كل الخير والرضاء[3] ، لانه بانتشار المهدية في غرب

---

(١) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص ١١٣٨

(٢) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٦٢٦ ، ١٤ ربيع آخر ١٣٠٣ ، (٢٠ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى حمدان أبي عنجة .

(٣) مهدية ٣/١/١ ص ١٥ ، ٢٣ رمضان ١٣٠٣ ، (٢٥ يونيو ١٨٨٦) من الخليفة الى كافة الزيادية عموما وخصوصا .

السودان يكون أمر الجهاد هناك قد انتهى ، وحتى لا يختفي الايمان من قلوبهم ولا ينشغلوا بالمظاهر المادية والدنيوية عليهم بالحضور .

٣ ــ كذلك اتخذ الخليفة من المناسبات الدينية فرصة لدعوة هذه القبائل الى أم درمان ، فكان يدعوها الى حضور ليلة المولد النبوي معه[١] وأيام الاعياد وزيارة قبر المهدي . لان تلك المناسبات من شعائر المهدية ، وان حضورها بالبقعة مكمل لعقيدة الانصار ، وفي أم درمان ستكون الفرصة سانحة لهم لينهلوا من تعاليم المهدية ومبادئها ، وستمتلىء قلوبهم بحب الجهاد في سبيل المهدية .

٤ ــ ويمكن أن يقال أيضا ان في اصرار الخليفة على هذه الهجرة نوع من الاستفتاء عن مدى التفاف هذه القبائل وزعمائها حوله ومدى ولائها لحكمه والتضحية في سبيله ، وهو بذلك يستطيع تقويم الامكانيات المادية والبشرية التي تسنده وتشد من أزره ، كما أراد أن يعرف أثر سطوته ونفوذه ونفاذ سياسته وسط تلك القبائل ، ولذلك أعلن لهم قبل ذهاب عثمان آدم الى الابيض ان من يقبلون الهجرة عن طاعة وايمان بالمهدية سيقوم بحمايتهم والدفاع عنهم ، أما الذين يرفضون الهجرة والانصياع لها فهم خارجون معارضون تعتبر كل ممتلكاتهم غنيمة يمكن تجريدهم منها ومصادرتها لبيت المال[٢] .

ثم أرسل الخليفة بعض الدعاة لينبثوا وسط هذه القبائل يحببون اليها الهجرة ويدعونها لتنفيذها . وقد وفر الخليفة لهؤلاء الدعاة التسهيلات الضرورية لتحركهم من وسائل المواصلات والغذاء وغيره ، ودعا أنصاره القاطنين في طريق كردفان ــ أم درمان بتقديم المساعدات التي يحتاج اليها

---

(١) مهدية ٣/١٠/٤ ص ٨٨ ، ٢٠ صفر ١٣٠٤ ، (٨ نوفمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى علي منير .

(٢) مهدية ٣/١٠/٤ ص ١٠٧ ، ٤ ربيع آخر ١٣٠٤ (٣١ ديسمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى علي منير .

المهاجرون وطلب من عامله في الابيض وعمـال الاقسام أن يرسلوا من بينهم دعاة أيضا ليدعوا لتنفيذ الهجرة[1] .

وقدم عامله في كردفان كل التسهيلات الممكنة للذين قبلوا الهجرة ، من ذلك مثلا قام علي أحمد الهاشمي في الابيض بتسهيل مرور مهاجري التعاشة لام درمان ، فصرف لهم من بيت مال كردفان ١٤٤٣١ ريالا و ٤٠٩١ اردب ذرة وغير ذلك من الثياب والجمال والابقار والرقيق[2] ولكن بالرغم مـن سياسة الترغيب والتأليف التي ظل ينتهجها الخليفة ويبذل المحاولات لنجاحها الا انه لم يلب دعوته بالهجرة الا قلة من القبائل ، ورفضت الغالبية العظمى اطاعة أوامر الخليفة ، بل ان بعضها تمرد عليه وقاوم حكمه بضراوة ، وقـد انعكس أثر اهتمام الخليفة بقبائل الغرب وجهوده الدائبة في تهجيرهم الى الشمال واغفاله القبائل الاخرى ، في موقف هـذه القبائل من سلطته ، فقـد أفقدته تلك السياسة أي سند يرجى من القبائل النيلية فضلا عن ان أغلب الذين هاجروا اليه من كردفان ، تنكروا وفروا راجعين لاوطانهم .

ويرجع رفض قبائل كردفان لدعوة الخليفة بالهجرة الى ام درمان ومقاومتها للخليفة لعدة اسباب نذكر منها الآتي :

١ ــ لم يكن من السهل على هذه القبائل أن تترك أوطانها وأسلوب حياتها وأرضها التي ألفتها بكل ما تحمل من مقومات حياة البداوة وتهـاجر الى مناطق يختلف أهلها وطبيعتها عنهم ، وان حب وطنهم والحنين الدافق الى أرضهم يمنعهم من الرحيل عنها الى تلك الجهات الغريبة[3] .

٢ ــ كذلك لم تكن هذه القبائل تثق كثيرا في دعوى الخليفة الدينية

---

(١) مهدية ١/١٣/١ ص ٢٤ ، ٤ ربيع أول ١٣٠٧ ، (٢٩ اكتوبر ١٨٨٩) من عثمان آدم الى الخليفة .

(٢) Holt, **Archives of the Mahdia**, P. 10

(٣) موسى المبارك الحسن ، **تاريخ دارفور السياسي** ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم (١٩٦٥) ص ١٢٠

واتخاذه الجهاد في سبيل الله ذريعة لتقبل هذه المجموعات الهجرة لتدافع عن الدين وتحافظ على التراث ، ويرجع ذلك الى اعتقادها بأن الجهاد ارتبط بشخصية المهدي ، فقد كان له تأثير قوي على أتباعه يعظهم على الزهد وعلى الجهاد فيتحمسون ويندفعون للتضحية[1] • ولكن ذلك المفهوم لا ينبطق على واقع الخليفة ، فقد عرفوه رجلا سياسيا يسعى لتوطيد حكمه وسلطانه[2] ولذا لم تكن دعوته للجهاد مقنعة لهم •

٣ ـ عندما كان الخليفة يراجع سياسته في تهجير القبائل وينظر في الاسلوب الذي يمكنه من تحقيقها دون أن يضع نفسه في موضع ضعف أو تهاون، اتضح له مدى أثر الزعماء المحليين في أوساط قبائلهم ، وان هناك قبائل غالت في عصيانها للمهدية وخاصة بعد اعلان التهجير ، فعمل للقضاء على مكانة الزعماء المحليين ومحاربة مواقفهم باذكاء المنافسات القديمة والعداوات التقليدية بغرض اضعاف حركتها وشغلها بمشاغلها الداخلية[3] وتعميق الفرقة بين زعمائها ليتمكن هو من السيطرة •

وما يمكن أن نخلص اليه من هذا ان هناك أعدادا من قبائل الغرب هاجرت ـ تحت الالحاح والتوجيه والارشاد وتحبيب الهجرة ـ الى ام درمان ، حيث احتاط الخليفة فأعد لها مكانا خاصا تقيم فيه وأمدها بالمؤن الغذائية ، ولم تجد كل تلك الاعداد بغيتها من الراحة الكاملة ومن النعيم الذي وعدهم به ، وقد ترتب على هجرة هذه المجموعات آثار اقتصادية ، انعكس ضررها على المناطق المختلفة فنتج عنها القحط والمجاعة التي ألمت بالبلاد في عام ١٣٠٦ هـ ، ١٨٨٩ م • كذلك أثر هذا في سلامة الامن سواء داخل

---

(١) عبد المجيد عابدين ، **تاريخ الثقافة العربية في السودان** (بيروت ١٩٦٧) ، ص ١٣٠

(٢) موسى المبارك الحسن ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٠

(٣) Holt, **The Mahdist State**, P. 141

أم درمان أو أثناء مرورهم من كردفان الى ام درمان ، فقد تعرضت هذه المجموعات بالنهب والاذى لممتلكات الاهالي المقيمين في الطريق رغم أوامر الخليفة المشددة لهم بعدم التعرض لممتلكات السكان ، مما أغضب هؤلاء السكان وزعزع ثقتهم في المهدية نفسها .

وفي أم درمان اصطدموا بواقع الحياة وطبيعتها واختلاف البيئة مما ضهر أثره نفورا ورغبة شديدة في العودة بل ان بعضها كان يفر الى أوطانه كلما سنحت له الفرصة . اذن لم يكن تنفيذ سياسة التهجير أمر يسير بالنسبة للخليفة سواء الذين هاجروا أو الذين عصوا أوامر الخليفة بالهجرة ، فقد كلفته تلك السياسة كثيرا من الجهود العسكرية والمالية ، ولم يتمكن من تهجير المجموعة التي قبلت الهجرة رغم قلتها الا بعد استخدام القوة والضغط[1] أما المجموعات الاخرى التي رفضت الانصياع فقد جرد خلفها الحملات العسكرية لاخضاعها فدخلت معه في صراع مسلح استمر حقبة من الزمن .

مقاومة القبائل :

عندما دعا الخليفة قبائل كردفان لحماية الوطن ورد غارات المعتدين والجهاد لحماية الدين ودولة المهدية ، أراد أن يؤكد أهمية ذلك الامر وضرورة سد المنافذ المختلفة على هؤلاء حتى لا يتسربوا للداخل ، ولذلك طلب من علي منير عامل الجوامعة الاهتمام بارسال الطلائع الى منطقة صالح فضل الله زعيم الكبابيش باعتباره في نظر الخليفة متواطئا مع حكام مصر ويخشى أن تكون منطقته مجال لتسربهم أو لحصولهم على ما يحتاجون اليه من معلومات وأسرار ،

---

(١) أخبرني الشيخ محمد البشير عبد الله ود عبد القادر وهو من مواليد أم ضفيرة في كردفان وتربى في بيت الامام المهدي وختن مع أولاده ، وكان والده يلقب بملازم المهدي ومقدم الملازمين وهو مقيم الآن بأم درمان (أخبرني بأن كل القبائل التي هاجرت من الغرب جاءت عن طريق الرهبة والخوف والضغط وليس برغبتها ، وأغلب الذين هاجروا برغبتهم مدعين زيارة قبر المهدي كانوا يقصدون التجارة) .

كما طلب من علي منير أن يكون في غايــة الاهبة والاستعداد لاي نــداء للجهاد[1] . واستطاع علي منير من جانبه أن يرسل أفواجــا من المهاجرين على دفعات بلغوا ١٣٣٢ شخصا من رجال ونساء[2] .

ثم بدأ الخليفة في اتخاذ سياسة الضغط المباشــر ضد الــذين رفضوا الانصياع لنداء الهجرة باعتبارهم خارجين على السلطة ، أموالهم وممتلكاتهم غنيمة للمهدية ، وخاصة القبائل التي اتخذت موضوع الهجرة وسيلة لمقاومة المهدية وحكم الخليفة ، أو كانت تعوق هجرة مجموعات أخرى وعلى رأس هذه المجموعات الحمر والمسيرية ، وطلب الخليفة من عثمان آدم تنفيذ تلك السياسة[3] مع بذل قصارى جهده في تنفير السكان للهجرة فأدت تلك السياسة الى ان كثيرا من السكان لجأ الى الجبال أو الانضمام الى المناوئين للمهدية، كما حدث عندما احتضن ناصر ولد نوح بعض مجموعات من البقارة وكنانة تقهقروا من الغرب الى دار عقيل ، ولكن الخليفة طلب مطاردتهم وتجريدهم من السلاح والممتلكات ، ومنعهم من الالتجاء[4] الى الجبال وكان الخليفــة يهتم بهذه المطاردة لرغبته في الحصول على عنصر الرجال لحاجته لاكبر عدد ممكن من المحاربين مع السماح لهم باصطحاب أولادهم وعوائلهم وجميــع مستلزماتهم[5] .

---

(١) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٦٠٧ ص ٢٠٧ ، ١٢ ربيع آخر ١٣٠٣ ، (١٩ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى علي منير .

(٢) مهدية ٢/٢٤/٧ ص ٦٦ ، ٨ رجب ١٣٠٤ ، (٢ ابريل ١٨٨٧) من علــي منير الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١١/ ص ٥٧ ، ٢٣ ربيع أول ١٣٠٤ ، (٢٠ ديسمبر ١٨٨٦) من الخليفة الى عثمان آدم .

(٤) طلب الخليفة من أحمد الصوفي ومركزه جبل قلى بمطاردة هؤلاء والقبض عليهم . راجع مهدية ٣/٩/٣ رقم ٦٩٢ ص ٢٣٤ ، ٢٤ ربيع آخر ١٣٠٣ ، (٣٠ يناير ١٨٨٦) من الخليفة الى أحمد الصوفي .

(٥) مهدية ٣/٩/٣ رقم ٨٩٤ ص ٣٠٥ ، ٢٦ جماد أول ١٣٠٣ ، (١ ابريل ١٨٨٧) من الخليفة الى كافة بني جرار .

وبدأ عثمان آدم تنفيذ أوامر الخليفة في الضغط على القبائل بالهجرة ضد الحمر والمسيرية ، فأرسل فرقة يقودها الغزالي فضل الله ـ كانت قد حضرت اليه من كاجة ، وذلك في ذي القعدة ١٣٠٤/ أغسطس ١٨٨٧ ، وتمكنت هذه الفرقة من هزيمة بعض الحمر والمسيرية وأسرت جماعة منهم ومات في هذا القتال الغزالي فضل الله وثمانية عشر من أتباعه .

ثم أرسل عثمان آدم البشاري ريدة والختيم موسى على رأس قوة أخرى لملاحقة فلول المسيرية بوادي دفيقه ، والحمر الذين تجمعوا بوادي البابنوس ، وهم في حالة استعداد للحرب بالمنطقتين .

وهناك انتصرت عليهم جيوش المهدية وقتلت زعماء المسيرية في المعركة وهم رضوان أبو دية وجمعة أبو رزقة وعوجان ، وتقهقرت بقيتهم الى شكا ، وطلب عثمان آدم من جيش الانصار ان يتقدم الى الاضية ، مع الدعاية السلمية الكافية الى الهدوء والتسليم وقبول الهجرة[1] .

وكان الخليفة قد كلف اثنين من زعماء الحمر والمسيرية بدعوة أهلهما الى الهجرة وترغيبهم في قبولها ، فابلغا عثمان آدم بانهما حضرا الى مكان المعركة ووجدا ان أهاليهما تشتتوا ، فدعوهم حيث تجمع بعضهم ، وقبلوا تسليم الغنائم التي أخذوها من الانصار والتزموا بتسليم الذين تسببوا في العصيان وقادوا المعركة سواء من الحمر أو المسيرية ، وبعد التحقيق اتضح انهم خمسة وهم رحمة الدليديم ومنور ولد هبيلة وحمدان غال ومهن حمدون وعوام اسكوج ، وأبدوا رغبتهم في الهجرة الى أم درمان وطلبوا المساعدات اللازمة .

---

(١) مهدية ١/١٢/١ ص ١٠ ، ٢٢ الحجة ١٣٠٤ ، (١١ سبتمبر ١٨٨٧) من عثمان آدم الى الخليفة ، راجع أيضا مهدية ٣/١٠/أ/٤ رقم ٦٨٨ ص ٢٤٠ ، ٢٦ الحجة ١٣٠٤ ، ١٥ سبتمبر ١٨٨٧ من الخليفة الى عثمان آدم . ومهدية ١/١١/٢ ص ١/أ/١٥٥ ، ٢٩ الحجة ١٣٠٤ ، (١٨ سبتمبر ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان آدم .

بيد ان عثمان آدم أرسل الى الاضية من يتأكد من صدق هؤلاء[1] وذلك لعدم ثقته في أقوال هذه المجموعات وانه أراد مطاوعتهم حسب رغبتهم، وبالرغم من ذلك فقد تجمع له قليل منهم في الاضية وقبلوا الهجرة[2] .

كما تشير حوادث هؤلاء بانهم توزعوا في جهات كثيرة وأثاروا القلق لعامل الخليفة ، فهو بذلك لا يستطيع أن يجرد خلفهم قوة واحدة فكلما طارد مجموعة منهم ظهرت مجموعة ثانية في مكان آخر ولما خرج عثمان آدم من الابيض في طريقه الى دارفور لاداء مهمة رسمية[3] بلغه ــ وهو بابي حراز ــ من البشاري ريده ان عمال المسيرية والحمر الذين ذهبوا لاحضار ذويهم قد تنكروا هم أنفسهم لاوامر الهجرة وبادروا بالعصيان ، فكلفه عثمان آدم بتعقبهم وقتالهم ، فلحقهم البشاري ريدة في ٢٩ محرم ١٣٠٥/١٧ اكتوبر ١٨٨٧ ، ولكنهم تمكنوا من الفرار الى المجلد وفي اول صفر ١٣٠٥/١٩ اكتوبر ١٨٨٧ التقى بأعداد من أولاد شيبة بقيادة منور ولد هبيلة وهو من الحمر المتهمين بقيادة معركة البابنوس ، ودار قتال بينهم حصل فيه الانصار على أسلاب قتيلهم الغزالي فضل الله ، وفي ٢ صفر ١٣٠٥/٢٠ اكتوبر ١٨٨٧ ، تقدمت فرقة المهدية فلحقت برحمة الدليديم وهو ايضا من قادة تلك المعركة ، ولكنه لم ينتظر بل تقهقر فتعقبه الانصار حتى أوصلوه الى جهة تخنّى وهي

---

(١) مهدية ١/١٢/١ ص ٢٣ ، ١٩ محرم ١٣٠٥ ، (٧ أكتوبر ١٨٨٧) من عثمان آدم الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٢/١ ص ٢٥ ، ١٩ محرم ١٣٠٥ ، (٧ أكتوبر ١٨٨٧) من عثمان آدم الى الخليفة .

(٣) خرج عثمان آدم من الابيض قاصدا دارفور في ٢٢ محرم ١٣٠٥ الموافق ١٠ أكتوبر ١٨٨٧ ، فخلفه سالم عثمان وكيلا له في كردفان ، وكان الخليفة قد فوضه أن يترك بعض القوات بكردفان لظروف الحرب من المسيرية والحمر . (راجع مهدية ١/١١/٢ ص ١٤٨ ، تاريخ ٩ القعدة ١٣٠٤ ، (٣٠ يوليو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان آدم) .

قريبة من شكا . ثم عاد جيش الانصار بناء على تعليمات عثمان آدم ومعهم بعض الاسرى والغنائم[1] .

وقرب الاضية بلغ عثمان آدم ان مجموعة من المسيرية تقيم بجهة العمد والكرناك حضر اليه قائدها ويدعى آدم رابح وأخطره برغبتهم في الامان والاستسلام واستعدادهم للهجرة . ولكن عثمان آدم أحس بأن هذه الرغبة لم تأت الا عن طريق مواجهتهم ، فأوفد اليهم مندوبين لاحضارهم في منطقة التبون ليتأكد من مدى صدقهم ثم يرسلهم الى الابيض ومن هناك يواصلون الهجرة الى أم درمان ، أو ينزل عليهم عقابا رادعا ان وجدهم مخادعين[2] .

وقد استطاع عثمان آدم أن يحقق تهجير بعض المجموعات رغم هـذه العوائق ، فقد تمكن من ارسال مجموعات من الحمر والمسيرية الى الخليفة في أم درمان بغرض تهذيبهم وارشادهم الى المهدية[3] .

وتشير هذه الاعداد التي أوفدها عثمان آدم الى أم درمان ، ان غالبيتها من النساء ، بينما عنصر الرجال الـذي يطلبه الخليفة بشـدة لاستخدامهم كمحاربين قليل جدا . وهذا يرجع الى المعارضة التي تلقاها سياسة التهجير من هذه القبائل ، وهؤلاء في هذه الحالة اما هاربين من الهجرة أو يواجهون الموت في المعارك التي خاضوها ضد المهدية .

---

(١) مهدية ١/١٢/١ ص ٤١ ، صفر ١٣٠٥ ، (أكتوبر ١٨٨٧) مـن عثمان آدم الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١١/٣ ص ١٨٧/٣ ، ١٤ صفر ١٣٠٥ ، (١ نوفمبر ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان آدم .

(٣) راجع مهدية ١/١٢/١ ص ٣٢ ، ١٦ صفر ١٣٠٥ ، (٦ نوفمبر ١٨٨٧) من عثمان آدم الى الخليفة .
ومهدية ١/١٢/٣ ص ٣٤ ، ٢٣ صفر ١٣٠٥ ، (٩ نوفمبر ١٨٨٧) مـن عثمان آدم الى الخليفة .
ومهدية ١/١٢/١ ص ٣٩ ، ٢٤ صفر ١٣٠٥ ، (أكتوبر ١٨٨٧) من عثمان آدم الى الخليفة .

وكيفما كان الامر فان اذعان بعض مجموعات الحمر والمسيرية جاء عن رهبة وضغط ، ولذلك حتى بعد هجرتها واجه منها الخليفة كثيرا من المضايقات والمشاكل[1] مما جعل الخليفة يكرس مجهودا في تعقب الذين فروا عائدين لاوطانهم ، ففي ٢٤ رمضان ١٣٠٥/٤ يونيو ١٨٨٨ أمر عثمان آدم بضرورة ملاحقة الحمر الذين نكثوا عائدين لديارهم واجبارهم على الرجوع الى أم درمان دون أن يقبل منهم أي عذر أو حجة[2] .

وعمل الخليفة على استخدام سياسة اللين والترغيب بجانب وسائل العنف والقوة لاستمالة الذين ينيبون بسهولة او لان استخدام القوة يرهقه كثيرا ، فطلب من عمال الاقسام الادارية في كردفان وكبار الانصار بين القبائل بأن يقوموا بحملة دعائية واسعة بين أهلهم وذويهم لهدايتهم للهجرة وفي هذا الصدد وجه عثمان آدم خير الله عجال وجوده أحمد وأبكر علوان الى المسيرية لارشادهم وتوجيههم[3] وقد أفادت هذه المحاولة بعض الشيء في كسب قليل من المسيرية الخارجين ، بدليل اعلان بعضهم انضمامهم الى ابراهيم الشريف وكيل عثمان آدم حينذاك بالابيض .

ثم أراد عثمان آدم أن يدعم هذه المحاولة بوسيلة أخرى فطلب من وكيله بضم المسيرية الى مركز الابيض لسهولة الاشراف عليهم ومراقبتهم . ولكن وكيله هناك رأى أن ضم المسيرية الى مركز الابيض قد يسبب اضطرابات في الامن ، لانهم دائما يجنحون للفوضى ويحاولون التحلل من أي مراقبة ، فضلا عن أن بعضهم قد زحف من أبي حراز الى السنوط مما يصعب ربطهم

---

(١) مهدية ١/١٢/١ ص ٦٠ ، ٢ جماد أول ١٣٠٥ ، (١٦ يناير ١٨٨٨) من عثمان آدم الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٢/٢ ص ١٥٦ ، ٩ القعدة ١٣٠٥ ، (١٩ يوليو ١٨٨٨) من عثمان آدم الى الخليفة .

(٣) مهدية ٢/١٧/٢ ص ٣٦ ، ٨ صفر ١٣٠٦ ، (١٤ أكتوبر ١٨٨٨) .

بالابيض[1] كما ان آخرين قد التجأوا الى الجبال للحماية بها وتحريض ساكنيه، مما جعل سلطات المهدية تلاحقهم ، حيث اتضح ان فرقا من المسيرية وكنانة والحوازمة قد التجأوا الى جبل أبي جنوق ووثقوا علاقتهم بالملك زايد والملك أونسه من مكوك المنطقة وغيرها من النوبا . وعندما لحق بهم الانصار عرضوا عليهم النزول من الجبل والتسليم ، ولكن هؤلاء العربان تمكنوا من اقناع النوبا بأن هؤلاء الانصار يمثلون طليعة جيش المهدية وغرضهم من ذلك الحصول على معلومات دقيقة عن مدى مقدرتهم وقوتهم ، وحذروهم من النزول عن جبلهم[2] . ومن جانب آخر فان مجموعة من المسيرية قد قبلت الحضور للابيض والاقامة بقرية حسب سياسة عثمان آدم ، وهذا يدل على ان وكيل عامل الخليفة في الابيض قد سعى لتنفيذ سياسة عثمان آدم لترغيب المسيرية في الاقامة بالابيض .

وفي ١٨ رمضان ١٣٠٦ ، ١٨ مايو ١٨٨٩ حضر فوج آخر منهم الى الابيض ، ولكن زعماؤهم أبكر علوان وخير الله عجال وجوده أحمد اشترطوا أن ترد اليهم ممتلكاتهم ورقيقهم وأموالهم التي سبق أن سلبتها منهم جيوش الانصار . وعندما لم يوف لهم بهذا الشرط رفعوا أمرهم الى الخليفة طالبين تدخله ، وأوضحوا له ان المسيرية مستجدين في المهدية ويحتاجون للترغيب والتأليف ، ولذلك فانهم قد يعتقدون أن تهجيرهم من ممتلكاتهم وأموالهم عقابا لهم في حين انهم قبلوا المهدية ورضخوا لسياسة الهجرة[3] .

وقد لازم هذا أيضا أن عثمان آدم استمر في سياسة اللين وبذل العطاء

---

(١) مهدية ٢/١٧/٦ ص ٣١٧ ، ٢١ جماد آخر ١٣٠٦ ، (٢٢ فبراير ١٨٨٩) من ابراهيم الشريف وعلي الهاشمي الى الخليفة .

(٢) مهدية ٢/١٦/١٢ ص٥٦٨ ، ٢ الحجة ١٣٠٥ ، (١١ أغسطس ١٨٨٨) من علي الهاشمي الى الخليفة .

(٣) مهدية ٢/١٨/١١ ص ٥٣٣ ، ٤ القعدة ١٣٠٦ ، (٢ يوليو ١٨٨٩) من ابكر علوان وخير الله عجال وجودة أحمد الى الخليفة .

للمسيرية والحمر واعفاهم عما ارتكبوه من مساوىء واختار عيسى ود الزين ، وهو في رأيه ذو مقدرة عقلية وحنكة سياسية ، ليعمل على كسب جانبهم وجذبهم الى المهدية . وتأكيدا لهذه السياسة فان عثمان آدم عندما مر بدارهم في المجلد قدم لهم الهبات من أبقار وأموال ، وشعر بارتياحهم لقبولهم هذا العطاء .

وكان عيسى ود الزين قد رافق عثمان آدم في رحلته لدارفور حتى جبل مرة ، ومن هناك عاد ليتولى مسؤولياته الجديدة في منطقة الاضية عام ١٣٠٧ ، ١٨٩٠[١] وكان عليه أن يقوم بحصر اعداد هؤلاء العربان في كشوفات بغرض التحضير لجمعهم وتهجيرهم ، وكان عثمان آدم يرى ان المسيرية اكثر صعوبة من الحمر لانهم كثيري التداخل مع سكان الجبال وان رؤساءهم المقيمين في الابيض لا يبذلون جهدا كبيرا في توجيههم ، ولذا نصح أمبدي عز الدين وكيله بكردفان في هذا الوقت ان يقوم ببذل أقصى المجهودات في تهجير المسيرية ويعتبر عام ١٣٠٦/١٨٨٨[٢] الفترة التي شهدت نجاحا واضحا في هجرة مجموعات كبيرة لام درمان . في حين ظلت الغالبية العظمى من هذه القبائل ترفض الهجرة وتقاومها .

ولذلك رأى عثمان آدم مرة أخرى ان أسلوب اللين والعطف لا يكفي لكسب العربان لان موقفهم مازال مضطربا وغير مستقر وربما يرجع ذلك الى أن عثمان آدم في رحلته لدارفور صحب معه أكفأ القادة وأقدر القوات . ولم يكن وكلاءه في الابيض من المقدرة والحنكة بحيث يسيطرون عليهم كذلك كثرة تغيير الوكلاء أدى الى زيادة التدهور ، فسنحت الفرصة للمارقين من تلك القبائل ليباشروا مقاومتهم لدرجة جعلتهم يضيقون الخناق على الابيض

---

(١) Reid, « op. cit, » S. N. R. Vol IX, P. 79

(٢) مهدية ١/١٣/١ ص ٧١ ، ٢٢ ربيع آخر ١٣٠٧ ، (١٦ ديسمبر ١٨٨٩) من عثمان آدم الى الخليفة .

نفسها ويتسببون في قطع الطرق المؤدية اليها وخاصة بين الابيض والنهود ، وكان أكثر المتسببين في ذلك من الضباب والحوازمة والمسيرية[1] .

وازاء هذا الموقف طلب عثمان آدم من شرف الدين هاشم ان يتوجه الى الاضية بقواته ليتولى ادارتها والجهات المجاورة لها ، على أن يكون عيسى ود الزين وهو عاملها السابق مساعدا له ، وسبب ذلك ان المسيرية كثيرا مايترددون على الاضية ويغشون سوقها . وان تتعاون قوات شرف الدين هاشم وقوات عيسى ود الزين ضد هؤلاء المسيرية[2] لازالة خطورتهم وانهاء عصيانهم .

ولكن حدث في شوال ١٣٠٧ ، مايو ١٨٨٩ ان طلبت مجموعة من المسيرية من عثمان آدم قبول توبتهم والعفو عنهم ، والسماح لهم بترك الجبال والفلوات ويأذن لهم بالاقامة في السنوط ليعملوا بالزراعة ويستقروا ، ويلتمسوا منه أن يرسل لهم من يساعدهم في ذلك .

فقرر عثمان آدم أن يوفد اليهم اثنين من التعاشة لمراقبتهم وارشادهم ، وحتى لا يثيرهم من ذلك الاجراء أخطر شرف الدين هاشم في الاضية وعيسى ود الزين الذي نقله وكيلا عنه في الابيض ألا يباشرا أي مسؤوليات نحوهم وان يتركوهم دون رقابة مباشرة أو تدخل من جانبهما حتى حضوره واشرافه بنفسه عليهم[3] ، والواقع فانهم مازالوا يتهربون من مسألة الهجرة ، لانهم حينما طلبوا العفو عنهم اقترحوا أن يبقوا في منطقتهم بالسنوط ويستقروا ، وليس في هذا رغبة في الهجرة .

---

(١) مهدية ١/٧/١ ص ٥٥ ، ٢٣ جماد أول ١٣٠٧ ، (١٥ يناير ١٨٩٠) من عبد الباقي عبد الوكيل الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٣/١ ص ١١٨ ، غاية شعبان ١٣٠٧ ، (٢٠ ابريل ١٨٩٠) من عثمان آدم الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٣ ص ١٤٠ ، ١٢ شوال ١٣٠٧ ، (١ يونيو ١٨٩٠) من عثمان آدم الى الخليفة .

كذلك أصدر عثمان آدم منشورا الى الحوازمة يعلن اهتمامه بهم وعطفه عليهم ورغبته في ازالة مشاكلهم ، ويطلب منهم التعاون مع عيسى ود الزين وكيله بكردفان ، ويحذرهم من التمادي في العصيان ، فهو قادر عليهم مهما كانت قوتهم وخيولهم ، لان قوات المهدية وجيوشها القادمة من دارفور كفيلة بسحقهم والقضاء عليهم • وقد وجه مثل هذا المنشور الى كل قبائل كردفان التي ما زالت معارضة(١) •

وفي مجال مطاردته لقبائل كردفان والمجموعات الخارجة على المهديـة كان قد وجه عثمان آدم قوة من أتباعه المقيمين بأم درمان على رأسها سليمان أحمد اكرت وآخرين لحصار آدم الاحيمر الذي تحصن بجهة المقداب «صعيد أبو بسمة قريبا من الزيادية » وهناك هاجمته قوات الانصار ، حيث دارت معركة قتل فيها ١٥٠ من رجال المنطقة ولم ينج منها الا الذين خرجوا للصيد أو لارتياد المياه ، وتشتت كثير من النساء والاطفال أثناء القتال ولم يحضر آدم الاحيمر نفسه هذه المعركة فنجا من الموت •

وأقام الانصار بعد ذلك ثلاثة أيام استطاعوا فيها أسر زوجة آدم الاحيمر وكميات من الابل والخيول والرقيق وبعضا من الفضة والذهب والخرز ثم عادوا الى قواعدهم بأم بادر سالمين(٢) • وقد حزت تلك المعركة في نفس آدم الاحيمر مما اضطره الى مقابلة الخليفة في أم درمان وأنكر أمامه أي علاقة له بصالح فضل الله أو عصيانه المهدية ، بل أكد أمامه انه كان يعمل في تحصيل الزكاة وانه أذعن لاوامر الخليفة بالهجرة ، وكان في طريقه لام درمان حين انقض عليه الانصار ويرجو من الخليفة انصافه ورد ممتلكاته •

---

(١) مهدية ١٣/١ ملف ١ ص ١٢٧ ، رمضان ١٣٠٧ ، (مايو ١٨٩٠) مـن عثمان آدم الى كافة الحوازمة .

(٢) مهدية ٢/١١/١ ص ١٣٠/٢ ، ١٨ شوال ١٣٠٤ ، (١٠ يوليو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان آدم .

ولكن الموقف كان يحتم على الخليفة التأكد من ذلك وخاصة ان هناك عدد من الزعماء الخارجين على المهدية كانوا يدعون موالاة الخليفة وجمع الزكاة له ، حتى ان صالح فضل الله وهو من أكبر اعداء الخليفة ادعى في لحظة من اللحظات تلك الدعوى ، ومن ثم استفسر الخليفة عثمان آدم عن موقف آدم الاحيمر لتتضح الحقيقة[1] .

والواقع ان أوامر الخليفة بالهجرة قد صدرت الى كل قبائل كردفان وبذل في سبيل تحقيقها كل ما يمكن بذله من مجهودات مالية وعسكرية ، واتبع الاساليب السلمية وأساليب العنف والتهديد . ولكن سياسته اصطدمت بواقع هذه القبائل فرفضت الهجرة وقاومت كل أساليبه ومن ثم دخل معها في حرب ضارية شملت أغلب قبائل الغرب الكبيرة مثل الكبابيش وقبائل البقارة . ولكن من خلال تنفيذ تلك السياسة تبرز لنا حقيقتين الاولى ان الخليفة ركز على تهجير قبائل البقارة أساسا ، وهذا يدل على رغبته في محاولة الاستفادة منهم لدعم مركزه وتوطيد حكمه لانهم أهله وعشيرته ، ولكنهم عندما عارضوه لم يستطع قبول ذلك فتمادى في مقاومتهم وحربهم لاحضارهم الى أم درمان لمراقبتهم وتجنب شرهم مثلما حدث للحمر والمسيرية والحوازمة وغيرهم ، والحقيقة الثانية هي ان سياسة التهجير فشلت لان الغالبية لم تلبِّ نداء الخليفة الذي وجهه لها ولم تذعن لجيوشه . فلم يستطع ان يفرض عليها مبدأ التهجير سواء عن طريق التوجيه والارشاد أو عن طريق العنف والسلاح ومن هاجر من هذه القبائل الى أم درمان هاجر عن طريق القوة والارهاب وقليل جدا منهم هاجر عن رغبة وطواعية .

---

(١) مهدية ٢/١١/١ ص ١٣٢ ، ٢٦ شوال ١٣٠٤ ، (١٨ يوليو ١٨٨٧) من الخليفة الى عثمان آدم .

الفصل الخامس

عمالة محمود ود أحمد

ربيع الثاني ١٣٠٨ / نوفمبر ١٨٩٠ ـ القعدة ١٣١٤ / ابريل ١٨٩٧

المشاكل الادارية التي واجهت محمود :

يعتبر محمود ود أحمد[١] من أهم الشخصيات الادارية والسياسية التي اعتمد عليها الخليفة في الحكم ، اذ كانت علاقته به وطيدة ويثق به ثقة تامة ، وكان محمود يستشير الخليفة في كل الامور مهما صغر شأنها حتى في أمر زواجه وفي أسماء أبنائه[٢] ، ويرجع ذلك الى ان محمود لا يريد اتخاذ أمر قد يغضب الخليفة أو لا يتفق مع ارادته ، فقد كان يبذل كل طاقته لارضاء الخليفة لانه يعتبره كبيره ودليله وهو الذي رباه حتى صار أميرا . وتولى عمالة

---

(١) محمود ود أحمد ولد بالكلكة من دار الهبانية جنوب غرب دارفور في حوالى سنة ١٨٦٥ وهو ابن عم الخليفة ، فكان قوي البنية حتى لقب (بمحمود أبي زنود) ، يحترم الخليفة ويوقره ، وقد اختاره خلفا لعثمان آدم على عمالة الغرب حيث تمكن من اشاعة الاستقرار والسلم بين الفور فنعتوه (بمحمودعسل) وقد وصف بأنه قائد شجاع ولكن تنقصه الحنكة السياسية ، ونقله الخليفة الى الشمال ليواجه تحركات القوات الانجلو ـ مصرية . وفي المتمة أنزل بأهلها مذبحة مشهورة عام ١٨٩٨ ، ثم هزم في معركة عطبرة في ٨ أبريل ١٨٩٨ وأخذ أسيرا حتى مات عام ١٩٠٦

(٢) مهدية ٣/٢٨/١ ص ١٣٢ ، ٥ رجب ١٣١٥ ، (٣٠ نوفمبر ١٨٩٧) من الخليفة الى محمود ود أحمد .

كردفان وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين[1] فكان يحتاج الى من يوجهه ويصقله سياسيا ، كما كان لا يتردد في الحضور اليه عند دعوته مهما كلفه ذلك من أتعاب وحتى عندما كان مصابا بمرض أقعده اذعن لدعوة الخليفة بالمثول اليه وحضور أحد الاعياد الدينية معه رغم أن العلة كانت تقعده[2] .

وقد عينه الخليفة عاملا على عموم الغروب (كردفان ودارفور) في ربيع الثاني ١٣٠٨ ، (نوفمبر ١٨٩٠) وكان عليه من البداية في كردفان أن يبذل بعض المجهودات الادارية لانهاء المشاكل ، ذلك ان كردفان عقب وفاة عثمان آدم اضطربت أحوالها وحدث بها كثير من الاشتباكات ، فانتهزها الخارجون فرصة لخلق المشاكل واثارة القلاقل مما زعزع أمن المواطنين . ولذلك عندما وصل محمود بقواته وأتباعه الى بارة في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٠٨ (٢ ديسمبر ١٨٩٠) جمع سكانها وتلى عليهم منشورات المهدي عن مكانة الخليفة كما تلى عليهم منشورات الخليفة التي تحض على منع الظلم فأمنهم على أنفسهم وأموالهم[3] .

ثم ذهب الى الابيض حيث سلك نفس المنهج ، ودعا نواب الشرع الى النظر في شكاوى الناس وانصافهم وردع المفسدين ، أما الشكاوى والمظالم القديمة والتي يصر اصحابها بضرورة النظر فيهاوحسمها فقداتفق معمستشاريه برفعها الى الخليفة ليشير بما يراه مناسبا حولها وكتب بعد ذلك الى مناطق الجبال والى قبائل كردفان يدعوها الى الهدوء وتثبيت دعائم المهدية وايقاف

---

(١) محمود عبد الله ابراهيم ، حملة الامير محمود ود أحمد الى الشمال ، رسالة ماجستير جامعة الخرطوم (١٩٦٩) ص ٢٨ .

(٢) مهدية ١/١٣/٤ ص ٥٥ ، ٨ صفر ١٣٠٩ (١٣ سبتمبر ١٨٩١) من الخليفة الى محمود ود احمد .

(٣) مهدية ١/١٤/١ ص ١/١ ، ١٢ ربيع آخر ١٣٠٨ (٢٤ نوفمبر ١٨٩٠) من محمود ود احمد الى الخليفة .

النهب كما حثهم على مداومة الصلاة وقراءة راتب المهدي[1] لتقوى مبادىء المهدية ومفاهيمها في نفوسهم .

وقد ترتب على تلك الاجراءات الاولية بعض التحسن في حياة الناس فقد انخفضت الاسعار وتوفرت السلع في الاسواق وارتفعت الروح المعنوية بين المواطنين ودبت الحياة الطبيعية من جديد (.. قد حصل لاهالي هذه الجهات الامان والاطمئنان وتراخت الاسعار فكان وجدنا سعر الريال في العيش بخمسة امداد وغير موجود فصار الريال باربعة عشر مد عيش أو خمسة عشر وموجود بكثرة ولا زال في ازدياد ...)[2] .

وترك كردفان مقسمة الى أقسام ادارية صغيرة ، كل قسم عليه عامل وظلت على هذا الوضع حتى ضم اليها عمالة شات التي كانت عمالة منفصلة يشرف عليها فضل الحسنة ـ بحدودها المرسومة وما ألحق اليها من مناطق[3] فأصبحت بذلك جزءا من عمالة كردفان .

ثم قرر محمود قبل مغادرته الابيض أن يحسم الشكاوى العديدة التي وجدها ، فرأى انه من الضروري أن يتفرغ شخص لينظر فيها ويجد الحلول لها حتى لا تزداد تعقيدا وخاصة وان بعضها كان من (جماعة) علي أحمد الهاشمي الذين ادعوا أن عيسى زكريا بأوامر من الخليفة وعثمان آدم ـ جردهم من حقوقهم ولكنها لم تودع في بيت المال وانما حولها المباشرون لمنفعتهم الذاتية ، فهم يطالبون باستردادها[4] .

---

(١) مهدية ١/١٤/١ ص ٦ ، جماد اول ١٣٠٨ (٢٠ ديسمبر ١٨٩٠) من محمود ود احمد الى الخليفة .

(٢) مهدية ٢/٢١/٥ ص ١٣٩ ، ٩ جماد أول ١٣٠٨ (٢١ ديسمبر ١٨٩٠) من سليمان الحجاز وابو جودة فات والختيم موسى الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٣/٤ ص ٦٥ ، ٩ ربيع أول ١٣٠٩ (٢٥ سبتمبر ١٨٩١) من الخليفة الى محمود .

(٤) مهدية ٢/٣٨/٢ ص ٢ ، ٢٢ القعدة ١٣٠٨ (٢٩ يونيو ١٨٩١) من محمود أحمد الى ابراهيم القصير .

ومن ثم عين الخليفة ابراهيم القصير ليكون وكيلا لمحمود في الأبيض مسؤولا عن النواحي الادارية واوكلت مسؤولية الاشراف على النواحي المالية الى علي أحمد الهاشمي • ثم غادر محمود الى الفاشر حيث تسلم مسؤولياته في ادارة عمالة الغروب كلها في ١٥ جماد آخر ١٣٠٨ ، ٢٦ يناير ١٨٩١ •
ولكن أثر تلك الاجراءات التي اتخذها في كردفان وأعلنها في جميع الجهات لم يكن الا مسكنا وقتيا ، اذ سرعان ما نشبت الخلافات والمشاكل من جديد ، واشتكى الاهالي من حوادث التعدي والرعب كما حدث في دار حامد وكاجا وكاتول وغيرها ، فضلا عن حدوث الخلافات بين المسؤولين انفسهم • وترجع تلك المشاكل الى وجود عناصر من الانصار تسعى الى الفوضى ، والــى ضعف الادارة الرئيسية في الابيض ووجود الخلافات بين كبار المسؤولين والىبعض جماعة من التعايشة جاؤوا من دارفور دون علم محمود وتسببوا في تصعيــد تلك الفوضى ، فأرسل محمود ود أحمد وفدا من الفاشر برئاسة ضو البيت آدم للتحقيق في المشاكل وتصفيتها[1] •

ولكن الخلافات بين أنصار المهدية أنفسهم قد تعقدت وتعددت ، وسبب ذلك ، ان العمل السياسي لحكومة الخليفة قد تبلور في سيطرة أبناء الغرب على المناصب القيادية في الادارة والجيش • وكثرت الشكوى في هذا الوقت ضد التعايشة عن كثير من القبائل ومن الافراد لارتكاب هؤلاء لكثير مــن الجنح والمخالفات ، فقد حدث أن اعتقل محمود ود أحمد صلاح الدين يعقوب زعيم التعاشة بالابيض وجرده من ممتلكاته من أموال ورقيق ومواشي وأدخلها بيت المال وسجنه ، وذلك بسبب الاشتباكات التي نشبت بين أتباعه ومجموعة من الجهادية حول الحصول على العشب[2] ، وقد وافق الخليفة محمود على هذا الاجراء وأمره باحضاره اليه مقيدا •

---

(١) مهدية ١/١٤/١ ص ٦٧ ، ١٨ شوال ١٣٠٨ (٢٧ مايو ١٨٩١) من محمود أحمد الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/١ ص ٦٤ ، ١٨ شوال ١٣٠٨ (٢٧ مايو ١٨٩١) من محمود أحمد الى الخليفة .

كذلك عندما حاول عبد الباقي عبد الوكيل وكان مسؤولا عن قسمي خورسي والطيارة حينذاك بضم مناطق تابعة للابيض مثل الحرازة وام درق وأبو حديد وخورطقت ـ لم يوافق محمود على ذلك واعتبره ضربا من الفوضى وخرق النظام ، وعملا يساعد على تصعيد الخلافات بين عمال الاقسام فيصرفهم عن اداء مهامهم الرئيسية الى مشاكل فرعية[1] .

ولكن هذه الخلافات تعدت عمال الاقسام الى من يتولى منصب وكيل العامل في الابيض فمنذ ان تولى ابراهيم القصير وكالة محمود ود أحمد في ٢٠ شوال ١٣٠٨/ ٢٩ مايو ١٨٩١ نشب خلاف بينه وبين عيسى زكريا الوكيل السابق من جهة ، وبينه وبين علي أحمد الهاشمي من جهة أخرى ، فلم يرضخا اليه وعملا على تأليب الناس ضده[2] ، فقد كان عيسى زكريا يعتقد بأنه أحق بالمنصب ، ولم يعبأ به أتباع علي الهاشمي فكانوا يتخطونه في أمورهم الى محمود رأسا .

وقد ضعف محمود أمام هذه المشكلة فرفعها الى الخليفة ليبت فيها . فاهتم الخليفة بهذا الامر ، وكان رأيه ضرورة خضوع هؤلاء لارادة المهدية والانصياع الى حكم ابراهيم القصير ونبه محمود الى عدم الاستماع الى الشائعات التي يروجونها حوله واتخاذ الاجراءات الكفيلة بصيانة الامن وفرض هيبة الحكم ، ومطالبة علي أحمد الهاشمي بارجاع الاشياء التي حصل عليها من غير وجه شرعي من الاسلحة والخيول وما أخذه من أموال خاصة ببيت المال .

ولكن محمود أحمد عندما أجرى تحقيقا حول هذه الاتهامات الموجهة

---

(١) مهدية ١/١٤/١ ص ٦٨ ، ١٨ شوال ١٣٠٨ (٢٧ مايو ١٨٩١) من محمود احمد الى الخليفة .

(٢) مهدية ١١/٢١/٢ ص ٣١٤ ، ٥ القعدة ١٣٠٨ (١٢ يونيو ١٨٩١) من ابراهيم القصير الى الخليفة .

نعلي أحمد الهاشمي ، استلم كل ما عنده من أسلحة وخيول واتضح له ان كل ما وجد عنده حسب المستندات مبلغ أربعة ألف ريال فطالبه بتسديده[1] وأوصى الخليفة بالعفو عنه لانه من الموالين للمهدية والذين يمكن الاستفادة منهم كما أخطر محمود الخليفة بأن ابراهيم القصير تسرع في اصدار بعض احكامه فلم يرجع الى المصادر الشرعية ولا الى نواب الشرع مما جعله يصدر بعض الاحكام الغريبة التي ليس لها مبرر ، من ذلك انه عندما حضر الى الابيض أمر جهاديته بالطواف حول المدينة يوميا ، والقبض على كل مايجدونه من السابلة ، ثم يسجل هؤلاء في كشوفات ويلقيهم في السجن ولا يفرج عنهم الا اذا دفعوا غرامة مقدارها ٥ ريالات بدعوى تخلفهم عن العرضة وعن الصلاة . ثم أقام بجانب السجن العمومي أربع زرائب (زنزانات) في حجم الانسان وبكل واحدة بيت للنمل ، اما من يتخلفون عن دفع الغرامة التيعرفت (بالادبه) فينقلون الى السجن العمومي[2] .

وكان لهذا الاسلوب من العقاب أبعاده النفسية والاجتماعية ، وأعاد للاهالي ظاهرة العنف والارهاب والتسلط الذي كان يسود البلاد ابان الحكم التركي . مما جعل السكان يتذمرون ويهجرون ديارهم فرارا من هذا العنف . وكان محمود يرى ان ذلك الاسلوب لا يرضي الخليفة ولا يسنده الشرع الصحيح[3] .

ثم تشعبت الخلافات بين ابراهيم القصير وكيل محمود ود احمد وعلي أحمدالهاشمي وأتباعه، واقترح على الخليفة أن يأمر بترحيلهم الى الفاشر ليكونوا

---

(١) مهدية ١/١٣/١ ص ١١٢ ، ١٦ صفر ١٣٠٩ (٢١ سبتمبر ١٨٩١) من محمود احمد الى الخليفة .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مهدية ١/١٣/٤ ص ٥٢ ، ٨ صفر ١٣٠٩ (١٣ سبتبمر ١٨٩١) من الخليفة الى محمود احمد .

تحت مراقبة محمود شخصيا لتفادي خطورتهم[1] • بينما كان علي أحمد الهاشمي يرى ان تكرمه المهدية وتجعله وكيلا لعاملها في الابيض على الاقل تقديرا لما قدم من خدمات في سبيلها • ولكن سياسة الخليفة الرامية الى تنصيب التعايشة في المناصب الكبرى خلقت تلك المشاكل، ويبدو ان ابراهيم القصير كان طموحا فقد كان لا يخشى بأس قادة المهدية وعلى رأسهم محمود نفسه وأحيانا كان يسيء اليه أمام الانصار ، مما يوضح سوء العلاقة بين ابراهيم القصير وقادة المهدية حتى اضطر محمود الى تقديمه للخليفة واخطاره بعدم مقدرته التعاون معه فاستدعاه الخليفة الى أم درمان وأبعده نهائيا عن كردفان[2] •

كذلك واجه محمود في بداية عهده معارضة القبائل لسياسة المهدية فالمعروف ان عثمان آدم كان قد بذل مجهودات كبيرة في اخضاع هذه القبائل وضمها الى المهدية وتهجيرها الى ام درمان ، رغم النجاح النسبي الذي حققه عثمان آدم ، في هذا الصدد ، الا ان هذه القبائل انتهزت فرصة الامير الجديد وخرجت عليه ، وجاء ذلك في اشكال متعددة ، اذ قامت بعض المجموعات بقطع الطريق بين الفاشر والابيض باعتبار ان هذا الطريق هام ومطروق دائما بين محمود في الفاشر ووكيله في الابيض ، وقد شكلوا خطورة لدرجة ان الاهالي غيروا طريقهم ، فاتخذوا طريقا عبر أم بل والمزروب الى الابيض ، ولذا أرسل محمود قوة بقيادة بشارة ونيس التقت بقوات أخرى يقودها شرف الدين هاشم في النهود وقد استطاعت هذه القوة ان تؤمن الطريق وتقضي على قطاعه سواء من النوبا أو من المسيرية ، ورغم ذلك فقد أشار محمود أحمد الى قائد الكتيبة

---

(١) مهدية ١/٢٢/٢ ص ١١ ، ١٤ محرم ١٣٠٩ (٢٠ اغسطس ١٨٩١) من ابراهيم القصير الى الخليفة .

(٢) مهدية ٤/١٣/١ ص ٥٢ ، ٨ صفر ١٣٠٩ (١٣ سبتمبر ١٨٩١) من الخليفة الى محمود ود احمد .

أن يبقى ليراقب الموقف[1] لان حركات العربان مستمرة ومتوقع خروجهم في أي لحظة .

ثم عين محمود ود أحمد عيسى الزين وكيلا له بالابيض لتفادي الخلافات ولانه ترك عند مغادرته الابيض أكثر من عشرين الف نسمة من عائلات الانصار وغيرهم لاعتقاده بانه أنسب من يقوم بالاشراف على تلك الاسر وخدمتها باخلاص[2] .

ولكن سياسة عيسى الزين لم ترض الخليفة لانه لم يكن يتصل به دائما ولا يكتب له عن أحوال المنطقة ، وان سمعته ساءت بل ان محمود أحمد ذكر للخليفة انه منذ عين عيسى الزين في الابيض في جماد الاول ١٣١٠ ، نوفمبر ١٨٩٢ ولمدة ثلاث سنوات لم يرسل اليه شيئا من أموال كردفان ولا يخطره بما يتحصل من مناطق كردفان ، ويصرف كل ما يصله ، وكثيرا ما كان يخالف أوامره ، ولم يكن محمود يؤنبه أو يستفسره على ذلك لاعتقاده بأن سلوكه حسن مع الخليفة[3] . ولذا عندما علم الحقيقة اقترح على الخليفة عزله وتعيين ضو البيت آدم . واقتنع بان سياسة عيسى الزين قد أدت الى تدهور الاحوال وتفشي الفوضى والاضطرابات ، ولذا قرر مراجعة كل النواحي الادارية والسياسية ، والتحقيق في المشاكل المختلفة وطلب من الخليفة أن يأذن له بالحضور الى الابيض لتقصي أسباب ذلك التدهور[4] وقد

---

(١) مهدية ١/١٤/١ ص ٦٤ ، ١٨ شوال ١٣٠٨ (٢٧ مايو ١٨٩١) من محمود احمد الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/٣ ص ٣/٣٠٠ ، ٦ جماد اول ١٣١٠ (٢٧ نوفمبر ١٨٩١)من محمود احمد الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٥/٢ ص ١/١٨٨ ، ٢ صفر ١٣١٣ (٣ سبتمبر ١٨٩٥)من محمود احمد الى الخليفة .

(٤) ١/١٥/١ ص ٤٠ ، ٢ جماد اول ١٣١١ (١١ نوفمبر ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

اتضح له بعد اجراء بعض التحريات ان أسباب التدهور والخراب وهجرة الاهالي الى مناطق النيل الابيض وغيرها يرجع إلى عـدة عوامل منها أن المسؤولين وعلى رأسهم وكيله عيسى ود الزين وامين بيت المال علي أحمـد الهاشمي كانوا يعملون لمصالحهم الشخصية دون الاهتمام بالمصلحة العامة . كذلك علم بان (عمال رايات اولاد العرب)[1] وهم الشامي هباني وسيماوي تمساح وعلي رحمة وغيرهم الذين كانوا ضمن قواته بدارفور والذين أوفدهم الى قبائلهم بكردفان في أول رمضان ١٣١٠ هـ ، ١٩ مارس ١٨٩٣ م بغرض نشر الامن بينهم واقناعهم بالحضور الى محمود بدارفور في ميعاد لا يتجاوز الستين يوما من تاريخ مغادرتهم ، تركوا مهمتهم وانشغلوا باعمال خاصة بعيدة عن ذلك . كذلك لم يكن عمال الاقسام الادارية والمكلفون بفرض نفـوذ المهدية وجمع أموال الزكاة الشرعية من الاهالي في مستوى المسؤولية بل هم يعملون لذواتهم اكثر من ادائهم للدولة بالرغم من ان محمود قد عاهدهم على بذل جهودهم في سبيل المصلحة العامة[2] ويتضح مما سبق ان المسؤولين كانوا يلجأون الى اثراء أنفسهم وتوطيد نفوذهم اما بالحصول على اموال الدولة أو بفرض ضرائب أكثر مما هو مقرر على الاهالي ، ويتبعون في سبيل ذلك وسائل بعيدة عن روح المهدية مما اضطر الاهالي الى الهرب خارج ديارهم هذا بالرغم من المنشور الذي أصدره محمود للاهالي والذي يعلن اعفـاء الاهالي من كافة الاموال ولن يطلب منهم الا الزكاة المقررة « ... يخرجونها بمعرفتهم ويوردونها لبيت المال وأخبرناهم بأن من يأتيهم ويتعدى عليهم بعد الامان والعفو يضبطوه ويرسلوه لطرفنا ...)[3] .

---

(١) رايات أولاد العرب ، وهي الفرق المكونة من المجموعات العربية فيجيش المهدية ، وهذا تمييز لهم عن فرق الجهادية .

(٢) مهدية ١/١٥/١ ص ٤٠ ، ٢ جماد اول ١٣١١ (نوفمبر ١٨٩٣) من محمود احمد الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٥/١ ص ٤٠ ، ٢ جماد أول ١٣١١ (١١ نوفمبر ١٨٩٣) من محمود احمد الى الخليفة .

وفي سبيل ايجاد الحلول المناسبة دعا عيسى الزين وعلي أحمد الهاشمي وعمال الرايات ومندوبيه في الاقسام لاجتماع يعقده في الابيض للنظر في هذه المشاكل واستنباط حلول لادارة الشؤون المختلفة[1] • وتحديد مسؤولية ذلك التدهور والقبض على المتهمين وارسالهم للخليفة لاصدار الحكم المناسب ضدهم[2] • ولعل تلك المشاكل ترجع الى السياسة التي انتهجتها المهدية بتهجير هذه القبائل عنوة الى ام درمان وللضرائب المختلفة التي فرضت عليهم ووسائل جمعها ، ويرجع أيضا لمطامع المسؤولين الشخصية والمنافسات التي اشتدت بينهم فانشغلوا بها وتركوا شؤون الدولة ، فانتهزها المعارضون فرصة اما للهرب أو للتخريب • كذلك قد ترجع الى مدى هيمنة محمود نفسه على الحكم وعدم حسمه الامور بسرعة اذ كان ينتظر حتى يرفعها للخليفة ثم يرد اليه الخليفة بالاجراء المناسب ، مما اعتقده بعضهم ضعفا اداريا عند محمود فأرادوا الاستفادة منه •

ثم حدد محمود مسؤولية تلك المشاكل في تجاهل المسؤولين لأداء واجباتهم ، وحمل عيسى الزين الجانب الاعظم من المسؤولية باعتباره الرئيس المباشر واقترح على الخليفة تعيين شخص آخر بدله ، اما اذا رأى استمرار عيسى الزين فعليه أن يمحضه النصح والتوجيه وتحديد واجباته ومسؤولياته[3] •

تمرد الجهادية في النهود :

لقد واجه الجهادية العاملون بجيش المهدية في كردفان كثيرا من العنت والمضايقات النفسية والاجتماعية منذ أزمة الجهادية في الابيض على عهد

---

(١) نفس المصدر .

(٢) مهدية ١/١٥/١ ص ٤٩ ، ١٦ جماد اول ١٣١١ (٢٥ نوفمبر ١٨٩٣) من محمود أحمد الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٥/١ ص ٥٩ ، ٨ شوال ١٣١١ (١٤ ابريل ١٨٩٤) من محمود أحمد الى الخليفة .

محمود عبد القادر ، فاضطربت حياتهم المعيشية والاجتماعية ، من جراء معاملة العاملين معهم في فرق الجيش من المجموعات العربية وخاصة (أولاد التعائشة) وأقرب مثال الى ذلك ما حدث لهم في الابيض في بداية عهد محمود ود أحمد من جماعة صلاح الدين يعقوب حيث تطورت الى فتنة كبيرة أوذي فيها الجهادية أذى بليغا حتى اضطر محمود الى سجن صلاح الدين هذا[1] .

فهذه الحادثة وغيرها من الحوادث الفردية وبالذات ملاحقتهم بالالفاظ النابية والمعاملة الرديئة رسبت في نفوسهم مجموعة من الخواطر السيئة ، فضلا عن الخلفيات التي ورثها الجهادية في علاقاتهم الاجتماعية قد كونت عندهم نظرة حاقدة (لاولاد العرب) وخاصة المستأثرين منهم بالسلطات والمقربين لدى الحكام (كأولاد التعائشة) .

هذا بالاضافة الى شعورهم بمقدرتهم العسكرية ومهارتهم في استخدام الأسلحة النارية ومعرفتهم بنظم الجيش أكثر من غيرهم . وعندما قرروا التمرد على سلطة محمود ود أحمد ، كانوا يخططون الى القضاء على نفوذ التعائشة والاستيلاء على كميات الذخيرة المرسلة من الخليفة بحراسة عبد القادر المنير ، والعمل على قلب نظام الحكم والسيطرة عليه ــ على الاقل في المنطقة التي يعملون بها ــ وبالرغم من ان هذا اسلوب ضعيف وليس له وزن سياسي على مستوى الدولة الا انه في النهاية تنفيس معقول لما يجيش في نفوسهم من مآسي اجتماعية ونفسية .

وترجع ارهاصات هذا التمرد قبل تحرك جيش محمود من الفاشر وقد أحس به محمود وأخطر قادته بالترقب ، ولذا قرر تحرك فرقة الملازمية أمام الجيش تحت قيادة صلاح ابو ، على أن يقوم بقية القادة بمراقبة هذه الفرقة .

وعندما وصل الجيش الى النهود أراد محمود ارهاب الجهادية حتى

---

(١) مهدية ١/١٤/٢ ص ١٢٧ ، ١٩ ربيع أول ١٣٠٩ (٢٣ اكتوبر ١٨٩١) من محمود الى الخليفة .

لا يفكروا في تنفيذ أي مخطط تخريبي فأقام استعراضات للجيش من فرق (أولاد العرب) بالاشتراك مع بعض أهالي دار حمر ولكن ذلك اجراء مظهري لا يفيد جوهر الحقيقة ، فهم جزء من الجيش ويعرفون حقيقة تكوينه ، ثم ان أسباب تمردهم قد تبلورت في نفوسهم حتى جعلتهم يصرون على تنفيذ خطتهم مهما كانت المعوقات[1] .

ولذلك تمردوا على محمود ــ وهم يكونون فرقة رئيسية في أرباع جيشه ــ اثر عودته من الفاشر الى كردفان في نهاية عامه الاول ، وذلك عندما نزل بالنهود لقضاء أيام عيد الاضحى . وقد حدث هذا التمرد في رابع أيام العيد ١٣ ذي الحجة ١٣٠٨/ ٢٠ يوليو ١٨٩١ ، وهو يعمل على استعراض جيشه ، ففاجأه الجهادية بالعصيان وحملوا السلاح لضرب قواته في ميدان الاستعراض لاستئصال التعائشة .

وقد حاول محمود استخدام كافة الوسائل السلمية ليستسلموا ويضعوا سلاحهم ويعودوا الى أرباعهم بالجيش . فاتضح له ان كل الجهادية برتبهم المختلفة (من رأس مية ومقدم ونفر) متفقون على تلك الخطة ، وكان أكبرهم حماسا فرقة (البرنجية) وفرقة (الملازمية) بزعامة جهادي يدعى عطرون ورتبته (راس ماية) .

ولكن دعوة محمود لهم بالقاء السلاح لم تثمر فأخذ يغريهم بالاموال حتى صرف عليهم ــ وخاصة كبارهم ــ خمسة آلاف ريال وهي عبارة عن خمس الخليفة من الغنائم كان محفوظا لدى محمود[2] .

وقد تمكن محمود بهذه المحاولة من كسب جانب كبير منهم عاد مسالما

---

(١) مهدية ١/١٤/١ ص ٨٢ ، ١٥ الحجة ١٣٠٨ (٢٢ يوليو ١٨٩١) من محمود الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/١ ص ٨٤ ، ١٥ الحجة ١٣٠٨ (٢٢ يونيو ١٨٩١) من محمود الى الخليفة .

ما عدا جماعة عطرون من الملازمين حيث استمروا في موقفهم بل تطرفوا أكثر فراحوا ينهبون سوق النهود ويخربون محلاته ويسرقون ممتلكات (ديم الجيش) والقرى المجاورة ، كما قتلوا بعض الاهالي وأطلقوا الاعيرة النارية من غير هدف ، وأشاعوا الرعب والفوضى والاضطراب .

فاضطر محمود لمواجهتهم بالقوة وارغامهم على التسليم حيث دارت معركة بين قوات محمود وبين عطرون وأتباعه من الجهادية فهزم الجهادية وآسر منهم حوالي ٥٠ خمسين جهاديا ارتفع عددهم الى مائة من بينهم قائدهم عطرون ، واستولى محمود على بعض أسلحتهم .

وعمل محمود على تطهير جيشه منهم فعزل جميع رؤساء المئات من الجهادية في جميع أرباع الجيش وكبلهم بالحديد ووضعهم تحت الحراسة الشديدة وعين من التعائشة بدلا منهم[١] . وكان بعضهم قد تمكن من الهرب بعد المعركة ، فوجه محمود قوة بقيادة الختيم موسى لمطاردتهم والقبض عليهم ، كما أصدر أمرا عاما الى سكان كردفان يعلنهم بهذا الحادث ويطلب منهم مطاردة الخارجين ، وأخطر فضل النبي أصيل عامل شكا ، ومحمود جودة عامل دارة لمساعدته في تعقب الجهادية الذين يفدون الى تلك المناطق ، كذلك أمر بشار ونيس في أبي قلب بمطاردة هؤلاء الجهادية والقبض عليهم[٢] .

وقد اتضح لمحمود بعد ذلك ان المفقودين من الجهادية من فرقة (الملازمين) مائتان وخمسون جهاديا وقد عثر على بعضهم بدار المسيرية وأم شنقة ومنطقة النهود ، وكانت قوات محمود قد استنفدت في معركة الجهادية بالنهود عشرة

---

(١) مهدية ١/١٤/١ ص ٣/٨٤ ، ١٥ الحجة ١٣٠٨ (٢٢ يوليو ١٨٩١) من محمود الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/١ ص ٣/٨٣ ، ١٤ الحجة ١٣٠٨ (٢١ يوليو ١٨٩١) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ٢/١٤/١ ص ١٠٢ ، بدون تاريخ من محمود الى الخليفة .

صناديق جبخانة رمنتون عن غير الذي صرف أثناء مطاردة الجهادية ، مما يوضح ضخامة المجهود العسكري الذي بذله محمود في سبيل اعادة الضبط والربط داخل الجيش • ثم رأى محمود أن يعمل على توزيع من تجمع عنده من الجهادية الى مناطق متعددة حتى لا يجدوا مجالا للتلاحم ، فأرسل بعضهم الى الابيض والنهود وأم بل ، وجردهم من سلاحهم وذخيرتهم ، لشل فعاليتهم ، وعقد محاكمة لزعمائهم جميعا سواء الذين واصلوا عصيانهم[1] أو الذين استسلموا من رؤساء المئات وعددهم تسعة ، وذلك بعد أن تأكد له انهم لن يهدأوا بعد ذلك وسيشكلون خطورة للامن والنظام ، فلم يكن هناك مندوحة من تقديمهم لهذه المحاكمة حيث تقرر اعدامهم شنقا بعد أن ثبتت اداناتهم أمام القضاة وقادة الجيش[2] • فنفذ فيهم حكم الاعدام ما عدا واحد منهم يدعى مبروك ، أطلق سراحه بعد أن استغاث طالبا النجاة مؤكدا تعاطفه وولاءه لمحمود •

وفي خلال اسبوعين فقط من حادث تمرد الجهادية والعقوبات المختلفة التي اتخذها محمود ، بدأوا يخططون من جديد للتمرد والاستيلاء على السلاح قهرا ، وعندما اكتشف أمرهم ، أمر محمود بافراغ سلاحهم من الجبخانة ومراقبتهم • فبدأوا يتسللون هربا الى جبال النوبا ليتحصنوا بها لاعادة تنظيمهم وتحقيق غاياتهم • ولذا رأى محمود ترحيلهم الى الابيض ليكونوا تحت المراقبة الشديدة وقريبين من الخليفة، فأرسل فرقة (البرنجية) وفرقة (الملازمين) بعد أن جردهم من كل أسلحتهم الى الابيض[3] وأبقى ربعي البشاري ريده

---

(١) مهدية ١٢/٢١/٢ ص ٣٦٧ ، ٣٠ الحجة ١٣٠٨ (٥ أغسطس ١٨٩١) من سليمان الحجاز الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/١ ص ٨٤ ، ١٥ الحجة ١٣٠٨ (٢٢ يوليو ١٨٩١) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٤/١ ص ١٠٠ ، أول محرم ١٣٠٩ (٧ أغسطس ١٨٩١) من محمود أحمد الى الخليفة .

والختيم موسى ومعهم بعض الجهادية بين النهود وأم بل لمراقبة تلك المنطقة على أن يقوم هو ببقية الجيش الى الابيض[1] .

وكيفما كان الامر فان هذه الاجراءات قد أضعفت جنوح الجهادية وشلت من مقدرتهم ومعارضتهم ، وان كانوا يحسون بضرورة التمرد والمعارضة ـ اذ يشير تقرير محمود الى الخليفة عن أحوال الجهادية بأن الذين منهم بالابيض في حالة هدوء ماعدا فرقة (الملازمية) فما زالوا يطمحون الى التمرد ، أما الذين بمنطقة الحمر فلم يجدوا وسيلة للعصيان بعد أن جردوا من السلاح وفرضت عليهم الرقابة الشديدة . ويقترح محمود في تقريره أهمية حضورهم لمقابلة الخليفة بأم درمان لارشادهم وتهذيبهم بمبادىء المهدية[2] .

وبعد وصول محمود الى الابيض في ٢٠ ربيع أول ١٣١٠/ ١٢ اكتوبر ١٨٩٢[3] ، رأى أن يضم اليه الجهادية الموجودين بمنطقة شات وعددهم مائتان وتسعة من الجهادية باسلحتهم ومقدارها ١٢٤ مائة واربعة وعشرون بندقية لانهم هربوا بعد حضورهم الى الابيض ، لحفظ الامن والاستقرار . ولكنه لم يجد اجابة سريعة من فضل الحسنة عامل شات رغم وعده بتسليمهم في ظرف يومين وقد جعلت هذه الحادثة محمود يقترح على الخليفة اضافة عمالة شات الى كردفان[4] ، حتى يمكن حصر جميع الجهادية داخل اطار معين في كردفان لمنعهم من الخروج أو التمرد على السلطة ولتطويعهم لخدمة المهدية وأهدافها .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) مهدية ١/١٤/٢ ص ١٣٣ ، ٢٤ ربيع اول ١٣٠٩ (٢٨ اكتوبر ١٨٩١) من محمود احمد الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٤/٣ ص ٢٤٩ ، ٢٢ ربيع اول ١٣١٠ (١٤ اكتوبر ١٨٩٢) من محمود الى الخليفة .

(٤) مهدية ١/١٤/٣ ص ٢٣٨ ، ٧ ربيع اول ١٣١٠ (٢٩ سبتمبر ١٨٩٢) من محمود احمد الى الخليفة .

حركة مزيل الضلال في جنوب كردفان :

تعرض عهد محمود ود أحمد في كردفان الى بعض المشاكل والقلاقل السياسية ، وقد رجع بعضها الى المعارضة السياسية التي تبنتها بعض المجموعات القبلية ، ورجع بعضها الى الخلافات التي نشبت بين قادة المهدية وأنصارها ، وكان سببها المعاملة التي لقيها الانصار من الخليفة وعماله ، وقد تطورت هذه الخلافات الى تكتل من بعض التعائشة ضد الخليفة نفسه ، فقد أشيع ان حوالي تسعين من التعائشة دبروا مؤامرة ضد الخليفة بدعوى استبداده بالسلطة وانه ضيق عليهم العيش وقلل من راتبهم الشهري ومؤنهم الغذائية ، فأشاعوا السخط عليه مما جعل بعض التعائشة يهاجرون خارج أم درمان •

ومن مظاهر السخط ان أحد زعماء الجهادية ويدعى أحمد فضيل قد خطط لاغتيال الخليفة لانه قتل أحد الجهادية بالسم[1] •

وكانت تلك الاضطرابات قد هيأت المجال لانتشار كثير من الشائعات والأخبار ، فتواترت بين السكان ، وعلى رأس تلك حركة مزيل الضلال أو المحن أو ابو نعال أو أبو قجة ، الذي نادى بازالة الفساد وانهاء حكم الخليفة، وربطت هذه الحركة بعوامل دينية لاثارة النعرة الدينية لدى المواطنين وتأليبهم ضد الخليفة وحكم المهدية • فأثارت تلك الاخبار قلق الخليفة وبذل طاقته للقضاء عليها سواء كانت مجرد شائعات أو حقيقة ثابتة •

وتفصيل هذه الحركة ان هناك أخبارا انتشرت مفادها ظهور حركة في جنوب كردفان يتزعمها رجل اختلفت الاقوال في اسمه وأصله ، قيل انه من قبيلة دغيم جمع حوله بعض أهالي تلك القبيلة في جزيرة ابا وأعلن معارضته لحكم الخليفة لان الخليفة سلب من قبيلته خيولها الجيدة دون وجه حق ، وعندما فضح أمره هرب الى قدير ليحتمي بالجبال •

---

(١) Intelligance reports, Egypt, Vol I No 4, June (1892), P. 2

ولذا طلب الخليفة من عامله محمود أحمد ملاحقته • وفي قدير انضم الى هذا الرجل بعض سكان تقلي ومجموعة من العربان الذين يعارضون المهدية[1] •

غير ان المعلومات حول هذه الحوادث مضطربة لان هناك قول آخر مفاده ان قائد هذه الحركة شنقيطي[2] ، تلقب بعدة ألقاب فهو مزيل المحن وأبو نعال والنبي الجديد كما عرف بالشريف محمد الامين[3] ويدعى أيضا فرج الله ومزيل الضلال • ويبدو أن حركته سياسية في جوهرها دينية المظهر ، فقد ادعى ان المهدية خرقت الاسلام وقطعت طريق الحجاج الى مكة • والواقع ان هذه دعوة سبقه اليها آخرون ، واتخذوها وسيلة لاعلان الجهاد فأعلن هذا المدعي الجهاد لفتح طريق الحج الى مكة مهما كلفه • ومن ثم قاد حملة مكونة من خمسين حاجا ، وأعلن رغبته لسلطان سكوتو فمنحه حق المرور مجانا عبر بلاده وسمح لبعض مئات من مواطنيه الذهاب معه • وعند وصوله لكانو انضمت اليه اعداد أخرى ، وفي طريقه بين بورنو وادماوا Admawa انضم اليه مائة من رجال (حياتو) ثم جاء عبر معسكر رابح الزبير فاستقبله استقبالا حسنا وأعطاه كميات من الغذاءات وقد سمع حوالي مائة وسبعين تكروريا عن هذا الولي وانه وصل ابشي عاصمة وداي حيث بارك سلطانها خطواته وأمده بالعون الغذائي والجمال • وقد واصل هؤلاء التكارير سيرهم الى أم درمان ، حيث اعتقلوا هناك بمجرد وصولهم ثم أطلق سراحهم بعد أن

---

(1) Intelligence reports, Egypt, Vol I, No. 10, Jan. 1893, P. 2.

(2) شنقيطي هو اسم متعارف في الشرق يطلق على سكان الصحراء الغربية من العرب (جمهورية موريتانيا الاسلامية الحالية) ، وقد يكون قائد هذه الحركة من تلك المنطقة أو من غرب سكوتو .

(3) تشابه هذا الاسم مع اسم الحاج محمد الامين السركولي الذي يقال انه مكث حوالي اربعين عاما في الشرق ، وانه قام بجهاد واسع في سنغال وغرب افريقيا ، ولكن ما زال الكثير عن حياة محمد الامين السركولي مجهولا ، انظر :
Umar al Nagar, **West Africa and the Muslim pilgrimage,**
PHD thesis, London (1969) P. 300.

أقسموا على المصحف بعدم مغادرتهم أم درمان • وفي النهود استطاع هذا الولي أن يهزم قوات محمود احمد مرتين ، غير انه ذهب باتباعه الى جبال النوبا فانضم اليه بعض النوبا وغيرهم من العربان[1] •

وقد تواترت الانباء عن انضمام أبي قرجة الى هذا الولي ، فقد كان أبو قرجة يعمل مع عثمان دقنة في شرق السودان واختلف معه فحضر الى أم درمان ، ولعل الخليفة خشي منه مساعدته للاشراف لانه من الدناقلة فأرسله للاستوائية لادارتها[2] وربما لهذا السبب أشيع انه انضم الى حركة جنوب كردفان من فاشودة ، ولذلك طلب الخليفة من محمود أحمد أن يبقى بقواته في النهود لمراقبة هذه الامور •

وكان محمود قد أعد بعض الحملات لمطاردة هذا المدعي وكذلك فعل وكيله في الابيض وقتذاك ابراهيم الخليل • وتشير الوثائق الى انه قد وصلت أخبار الى الخليفة تفيد بظهور شخص في جبل (وطا) ادعى الصلاح والورع يعمل لازالة الفساد يسمى (أبو قرجة) وقد اجتمع عليه عدد من الجهادية الذين فروا من محمود عقب تمردهم في النهود • وعندما طلب الخليفة من محمود توضيح تلك الاخبار أفاده بأنه لم يسمع عن هذا المدعي ، وان جبل وطا خالي من (أي انسان) منذ حروب حمدان أبي عنجة عام ١٣٠٣[3] ولكنه أخبر الخليفة بأنه عند مغادرته الابيض الى الفاشر بلغته أخبار في أبي قلب من بعض رؤساء الجبال الذين طلبهم اليه لتجديد بيعتهم بأنه ظهر كجور في جبال الكدرو اجتمع عليه بعض أهالي تلك المنطقة ، ولذلك قبض محمود عليهم وسجنهم كرهائن حتى يتمكن أتباعهم في جبال

---

(١) Intelligence reports, Egypt, Vol. I No. 13, April, 1893, P. 4-5.

(٢) Ibid, No. 12, March, 1893, P. 2.

(٣) مهدية ١/١٤/٣ ص ٣٢٤ ، ٢٤ جماد آخر ١٣١٠ (١٤ يناير ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

الكدرو من احضار هذا الكجور وتسليمه الى عيسى الزين وكيله في الابيض[1] وبرر محمود عدم ارسال قوة من عنده لاحضاره بأنه أمر بسيط ولا يحتاج الى أي تدابير عسكرية ، وليس بهذا الجبل أي عدد من الجهادية الفارين لان هؤلاء الجهادية يقيمون بجبل عريض وهو منطقة بعيدة من موقع الكجور[2] .

غير ان انتشار الشائعات في كردفان حول حركة مزيل الضلال قد هول الامر لمحمود ، فلم يكتف بالمعلومات التي وردت اليه من الخليفة ، فقام بتحريات أخرى حول هذه الحركة ، ومن ثم تجمعت لديه معلومات تفيد بأنه قد لا يكون لكجور جبال الكدرو صلة بالشخص المعني ولذا ينبغي السعي لمعرفة أصل ذلك الشخص وقبيلته خاصة عندما بلغ محمود بان هذا الشخص كسب الى جانبه بعض مجموعات من قبائل الحوازمة كما بلغه بأن زعيم هذه الحركة ينادي برفع الظلم عن الناس وأنه يقيم في جبل السما .

وبناء على تلك الاخبار قرر محمود قيادة فرقة بنفسه الى جبل السما للقضاء على هذا الخارج[3] .

وكيفما كان الامر فانه عند مقارنة المكاتبات الرسمية بالمعلومات الواردة في تقارير المخابرات المصرية ، نجد أن تطابقا في ظهور شخص يدعي الاصلاح في جنوب كردفان وان غرضه ازالة الفساد ، وان اخباره قد انتشرت في بقاع مختلفة من السودان ، وان وقعها كان شديدا على الخليفة في عاصمته لأنها تشكل خطورة على النظام بأكمله .

والذي يمكن قبوله ان هذا الشخص قد ظهر بجبال النوبا وانه وجد

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مهدية ٣/١٤/١ ص ٣٢٧ ، ١١ رجب ١٣١٠ (٣٠ يناير ١٨٩٣) من محمود احمد الى الخليفة .

تأييدا من بين القبائل الساخطة كالجوامعة والحوازمة ومن بين سكان الجبال ومن الجهادية الخارجين على محمود منذ حادثة النهود • كما ان الايادي الاجنبية قد لعبت دورا كبيرا في تهويل الامر واشاعته مما أظهره بأنه ثورة تحمل طابع الاصلاح الديني وفتح طريق الحجاج الى مكة •

وقد أوجدت تلك الحركة أرضية للانجليز لاطلاق شائعاتهم واثارة السخط على حكم الخليفة مما يضاعف من قلقه واضطرابه النفسي ، لدرجة ان هذا الموضوع شكل جانبا هاما من سياسة الخليفة في كردفان في عام ١٨٩٣ وجعله يكرر من تأكيداته لمحمود احمد لضرورة انهاء هذا الامر ، ويزيد هو من تعزيزاته في كردفان رغم احتياجاته لكل قواته في الشمال لمواجهة أي هجوم خارجي •

ورغم كل ذلك فان تلك الحوادث في حقيقة الامر لم تشكل أي خطورة عسكرية أو مادية على نظام المهدية ، ولم يكن لها سوى الآثار النفسية التي ترتبت عليها ، وقد اعترفت المخابرات المصرية بضعف الحركة واعتبرتها أخيرا ثورة صغيرة في دار النوبا[١] • كما ان التحريات التي قام بها محمود ود أحمد وهو قريب من محيط تلك الحوادث لم تؤد الى معلومات أكيدة عن خطورة تلك الحركة وتهديدها للمهدية • وكل ما علمه هو ظهور شخص في الجبال اعتقد انه كجور جبال الكدرو أو زعيم ديني قام بغرض ازالة الفساد ، وتوضح المجهودات العسكرية التي قام بها محمود ود أحمد ووكيله في الابيض ضعف هذه الحركة ، فقد أدت تلك المجهودات على الرغم من انها لم تكن كبيرة الى تهدئة الاحوال ، وجعلت زعيم الحركة يختفي عن المسرح • ولم يعد الخليفة قلقا عن أحوال كردفان ولا عن نظام حكمه ، ثم اختفت أخبار ذلك المدعي بأسمائه المختلفة مما يشير الى انتهاء خطورته ، ولكن لم تتضح نهايته سواء كان ذلك بالقبض عليه كما أشيع[٢] أو موته أو فراره •

---

(١) Intelligence reports, Egypt, Vol. I. No. 4, Feb. 1893, P. 4

(٢) Intelligence reports, Egypt, *Vol. I, No. 21, Dec. 1893, P. 5*

ويمكن أن نستخلص من حركة مزيل الضلال وجود استياء ضد دولة المهدية من سكان كردفان وجبال النوبا ، حيث تمثل في الخلافات السياسية وكثرة حوادث التعدي والنهب وعدم اذعان كثير من القبائل للمهدية ، فأهالي الجبال يعملون للاحتفاظ باستقلالهم والجهادية يتمردون على السلطة، والمجموعات العربية ترفض سياسة التهجير وتقاومها والاهالي يشتكون من سوء النظام وكثرة الالتزامات المالية ، كما يتعرضون لاساليب سيئة في المعاملة من الانصار وخاصة التعائشة •

اذن كان الجو مهيئا للذين ينادون بازالة ذلك الفساد ويدعون الاصلاح أو الذين يعملون للخروج عن سلطة الخليفة ، فأرادوا التخلص من تلك السلطة بنفس الاسلوب القديم الذي اتخذه المهدي •

أي ان تلك الحركة هي حركة محلية اقتدت بحركة المهدي وغيرها من الحركات الاخرى كحركة الفكي ابي جميزة في دارفور أو حركات بلاد غرب السودان كحركة شريف الدين الملقب بمعلم دبابة أو ابو شعيرة في سنغال وياموسى في نيجيريا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وقد حاربها سلطان سكوتو[1] • وبالرغم من تعدد اسماء حركة مزيل الضلال وكثرة الشائعات حولها الا انها في الاصل حركة واحدة تحت زعامة واحدة ، ورغم ما أحيطت به من أهمية الا انها في رأيي لم تبلغ المرتبة التي وصلت اليها حركة الفكي أبو جميزة في دارفور مثلا ، فقد كلفت حركة ابو جميزة المهدية كثيرا من المجهودات العسكرية والمعنوية حتى تمكنت من حسمها • وقد أراد زعيم حركة مزيل الضلال التعبير عن سخطه من حكم الخليفة ، فظهر بمظهر الاصلاح الديني وفتح طريق الحجاج الى مكة واعتقد ان تلك وسائل تعبر عما يجيش في نفوس المواطنين وتؤلبهم على الخليفة فيحقق بها أهدافه وآماله •

---

(1) Umar al Nagar, op. cit, P. 233 & 236

متابعة سياسة التهجير :

كان من واجبات محمود ود أحمد في كردفان العمل على استقرار الامور وتهدئة الاحوال وذلك باستمرار سياسة الخليفة في اخضاع المجموعات العربية التي ما فتئت تخرج على السلطة وترفض اطاعة أوامر الخليفة في الهجرة الى أم درمان ، وتعمل لعرقلة حكم المهدية في كردفان ، بل ان مقاومة هذه القبائل قد نشطت في عهد محمود لان وكلاء محمود في الابيض لم يتحملوا مسؤولياتهم بجدارة وانهم انشغلوا بمصلحتهم أكثر من المصلحة العامة ، ولان الضغط الخارجي ازداد على المهدية وخاصة من الشمال ، فانتقل أثره الى داخل البلاد مقاومة ومعارضة من هذه المجموعات . ولان محمود ود أحمد اتخذ من الفاشر عاصمة لحكم عمالة الغروب وترك على كردفان وكيلا في الابيض . ومن مظاهر مقاومة هذه القبائل للمهدية ما تمثل في موقف قبائل الحمر والمسيرية والحوازمة والبديرية وغيرهم في رفضهم أوامر الهجرة عندما طالبهم محمود بقبولها وتنفيذها ، ومن ثم وجد مقاومة كبيرة .

فقد ورد له من عامله على الحمر البشاري ريدة ، ان الحمر يرفضون الهجرة لانم لا يرغبون في ترك اوطانهم وديارهم ، ولكن محمود يرى ضرورة تهجيرهم لان مسألة تمسكهم باوطانهم قول مردود وان أصروا على ذلك فيجب ارسالهم بالقوة[1] . بينما يعتقد الحمر بأنهم اذا قبلوا الهجرة بعد هذا الوقت قد يتعرضون للتنكيل من الخليفة أو من قادته لرفضهم لها من قبل ، ودليلهم على ذلك انه قد سبق ان نكلت بهم قوة من المهدية بقيادة أحمد فضيل عام ١٣٠٦/١٨٨٨ . ولذا يخشون تكرار هذا الموقف ، ولا بأس لضمان سلامتهم ان ترافقهم قوة لتحميهم . وعلى ذلك رافقتهم فرقة من المهدية بقيادة أحمد العقيد حمودة وأحمد جوامع الى الابيض حيث التقوا بمحمود فطمأنهم

(١) مهدية ٢/١٤/١ ص ١٢٩ ، ٢٣ ربيع أول ١٣٠٩ (٢٧ اكتوبر ١٨٩٢) من محمود احمد الى الخليفة .

وأمنهم فقبلوا الهجرة الى أم درمان[1] .

وكتب محمود يوضح للخليفة بأن الحمر لانوا أكثر من قبل وانهم قد ينضمون للمهدية بأعداد كبيرة[2] . وقد تبع موقف هذه المجموعة من الحمر آخرون من أهلهم ، فقد حضر الى عيسى الزين حوالي ثلاثمائة من الحمر الفلايتة والعجايرة وأعلنوا ولاءهم للمهدية . وقد شعروا بعد ذلك بتحسن في أحوالهم المعيشية وفي استقرارهم وأمنهم[3] .

وكان محمود قد عاد الى دارفور مرة أخرى ، ولكن الخليفة كلفه بمهمة أخرى في منطقة الحمر في عام ١٣١٣هـ/١٨٩٥م ، فغادر الفاشر في ٢ رجب ١٣١٣ ، ١٩ ديسمبر ١٨٩٥ بعد أن عين البشاري ريدة وكيلا عنه بدارفور ، وعند وصوله بجبل الحلة علم بوجود أزمة عطش شديدة في منطقة الحمر وخاصة في أم بل والنهود ، وان قوات المهدية بتلك المنطقة توزعت على جهات متعددة بغرض الحصول على حاجتها من الماء ، وسبب ذلك يرجع الى شح شديد في الخريف[4] ، ومن ثم وزع قواته الى فرقتين واحدة الى الاضية والاخرى الى أبي قلب .

وقد كان لتعذر حصول جيوش المهدية على الماء في كردفان آثار كبيرة في انجاز مهامها العسكرية وخاصة ضد المجموعات العربية ، فقد كان عدم توفر المياه يعوق سير الجيوش وأحيانا يؤدي الى الغاء عمليات عسكرية هامة ، وأحيانا كانت الجيوش تغير وجهتها فجأة ، فضلا عن ان ذلك يؤدي الى زيادة

---

(١) مهدية ٢/٢٢/٨ ص ٢٦١ ، ١٠ شعبان ١٣٠٩ (١١ مارس ١٨٩٢) من أحمد العقيد حمودة وأحمد جوامع الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/٣ ص ٢٨٣ ، ٢٣ ربيع آخر ١٣١٠ (١٤ نوفمبر ١٨٩٢) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٤/٣ ص ٢٨٥ ، ٢٣ ربيع آخر ١٣١٠ (١٤ نوفمبر ١٨٩٢) من محمود الى الخليفة .

(٤) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٣٢ ، ١٠ رجب ١٣١٣ (٢٧ ديسمبر ١٨٩٥) من محمود الى الخليفة .

نفقات التموينات الغذائية ، وما يصيب الانصار من عوامل نفسية مختلفة ، كما ان ذلك يساعد في اعطاء العربان فرصة الهرب أو تحقيق أطماعهم .

ومن مظاهر معارضة القبائل لحكم المهدية ، ان بعض الحوازمة قد اتفقوا مع سكان جبل كندكرو واغاروا على أبي قلب حيث تصدت لهم قوة من الانصار بالتعاون مع اعداد من سكان القرى المجاورة لابي قلب فهزموا الحوازمة وأعوانهم من النوبا[1] .

وقد فشل العامل المسؤول عن الحوازمة ويدعى أحمد التوم في اخضاعهم أو تهجيرهم الى أم درمان ، واقترح على محمود ان يسمح لهم بالتجمع في منطقة البركة للاقامة والزراعة ، حتى اذا ما تكامل عددهم هناك واطمأنوا للاقامة تهاجمهم قوات المهدية وتلقي عليهم القبض وتهجرهم[2] .

أما المسيرية فقد كانت مقاومتهم للمهدية عنيفة ، رغم ان سياسة الخليفة نحوهم كانت ترغيبهم في المهدية أولا واذا أصروا على موقفهم يمكن محاربتهم[3] .

ولذلك فقد أبلغ محمد بشارة عامل المسيرية محمود ود أحمد قرب الابيض ان بعض عمد المسيرية حضروا اليه وأبدوا طاعتهم للمهدية ، فنصحه محمود بأن يكون حذرا لأن (المسيرية مخادعون) ، كما نصحه عيسى الزين الذي كان في الاضية بأن المسيرية مراوغون ودلل على ذلك بأنهم أرسلوا ممتلكاتهم وأموالهم الى جبل عريض حتى لا تراقبهم المهدية[4] .

---

(١) مهدية ٢/٢٢/٤ ص ٦٧ ، ١٥ ربيع الثاني ١٣٠٩ (١٨ نوفمبر ١٨٩١) من ابراهيم الشريف وعلي أحمد الهاشمي الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٤٤ ، ٤ رمضان ١٣١٣ (١٨ فبراير ١٨٩٦) من محمود أحمد الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٤/٣ ص ٢٦٣ ، ربيع أول ١٣١٠ (اكتوبر ١٨٩٢) من محمود أحمد الى الخليفة .

(٤) مهدية ١/١٤/٣ ص ٢٥٩ ، ٢٧ ربيع أول ١٣١٠ (١٩ اكتوبر ١٨٩٢) من محمود أحمد الى الخليفة .

وكان محمود في طريقه من دارفور قد أسر بعض سكان جبل أبيجنوق لتواطئهم مع المسيرية وأرسلهم الى الابيض ليقوم عيسى الزين بارسالهم الى أم درمان[1] •

وقد انتقلت عدوى عصيان العربان الى صفوف جيش محمود نفسه ، فقد تسربوا من الجيش ولحقوا بأهلهم حتى نقص مجموعهم بصورة واضحة، فعندما أعاد احصاء جنوده وهو بجبل الفلفان وجد ان رايات (أولاد العرب) لا تزيد عن ألفي جندي في حين أن تعداد أي قبيلة من القبائل التي كانت بجيشه يربو عن الالفين • وعند تحقيقه في ذلك اتضح له ان أغلب هؤلاء العربان قد هربوا الى ديارهم وان بعضهم قد لجأ الى الجبال ، مما يوضح عدم التزام هؤلاء بمبادىء المهدية ، ولذلك كلف محمود بعض زعماء هذه القبائل من الذين كانوا في جيشه كالشامي هباني من الجوامعة وسيماوي تمساح من دار حامد بالعمل لاعادة هؤلاء الهاربين الى صفوف الجيش[2] •

والتفت محمود في هذا الاثناء الى ملاحقة المسيرية الذين قطعوا الطريق بين الابيض والنهود وقتلوا عددا من العابرين ونهبوا أموالهم ، وشكلوا خطورة حتى اضطر المسؤولون الى تغيير طريق البوستة الى أم بل ، وكان هؤلاء قد غاروا أيضا على الاضية ونهبوا بعض الابقار وعلى أبي شارحه وأبي حراز وسبوا بعض النساء ، وبدأوا يمهدون لمهاجمة الابيض[3] •

ولذا كان على الحملة التي يقودها محمود والتي خرجت من الفاشر في ٢٧ صفر ١٣١١/٩ سبتمبر ١٨٩٣ ردع هؤلاء وتأمين الطريق بين الابيض

---

(١) تبلغ هذه الرايات خمسين راية ، راجع مهدية ١/١٤/٣ ص ٣٢٨ ، ١٠ رمضان ١٣١٠ (١٨ ديسمبر ١٨٩٢) من محمود احمد الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/٣ ص ٣٢٨ ، ١٠ رمضان ١٣١٠ (١٨ ديسمبر ١٨٩٢) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٥/١ ص ١/٩ ، صفر ١٣١١ (أغسطس ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

والنهود ، ثم الالتفات بعد ذلك الى منطقة جبال الدلنج ، لانها أصبحت وكرا لتهريب الاسلحة وملجأ للخارجين على المهدية وهددوا الابيض وغيرهـا من المـدن[1] .

وعندما وصل محمود الى أم بل علم بأن المسيرية متفرقون على ثماني مناطق على الاقل بكردفان[2] ، وأمام هذا الوضع قرر أن يهاجم جبال الدلنج في البداية حتى لا يستفحل أمرها ولانه أيضا لا يستطيع أن يقسم جيشه الى ثماني فرق في ذلك الوقت لتهاجم المسيرية في وقت واحد . فقام من أم بل الى المشبك حيث وزع الجبخانة على جنوده وتوجه الى الدلنج في ٩ ربيع أول ١٣١١/٢٠ سبتمبر ١٨٩٣[3] .

وبعـد أن فرغ محمود من اجراءاته في الدلنج أرسل طلائعـه لتقصي أخبار المسيرية الذين أثاروا القلاقل بين الابيض والنهود وخاصة في منطقة السنوط . وجاءته الاخبار بأن المسيرية انتهزوا فرصة انشغاله بجبال الدلنج ولجأوا الى جبل (ضلمان) بأسرهم وماشيتهم ، وتركوا مزارعهم على كثرتها ونمائها خوفا من البطش بهم[4] .

وكان محمود يرى ضرورة مطاردة هؤلاء المسيرية والقبض عليهم ، لانهم لن يلتزموا للمهدية ويخلصوا لها ، ودليله على ذلك انه كان معه في جبـال النوبا ٧٤ من الحمر و ٣٨ من المسيرية لم يشتركوا معه في الجهاد . وفي هذا

---

(١) مهدية ١/٣٩/٢ ص ٣٢ ، ٤ ربيع أول ١٣١١ (١٥ سبتمبر ١٨٩٣) من محمود أحمد الى شقيقه ابراهيم الخليل .

(٢) مناطق المسيرية الثمانية هي : السنوط ـ شق الدواس ـ الكركر ـ الميع ـ السنيطة ـ الكلكل ـ توتوا ـ الكرناك ، راجع مهدية ١/١٥/١ ص ٢١٦، ١٤ ربيع أول ١٣١١ (٢٥ سبتمبر ١٨٩٣) من محمود أحمد الى الخليفة .

(٣) نفس المصدر .

(٤) مهدية ١/١٥/١ ص ٢٠ ، ٤ ربيع آخر ١٣١١ (١٥ اكتوبر) مـن محمود أحمد الى الخليفة .

الاثناء كان عبد القادر دليل أحد امراء المهدية يلتمس من محمود أن يعفو عن المسيرية وينتهج معهم الاساليب السلمية فهم أهله وانه سيعمل على اذعانهم وهدايتهم[1] .

وقد عمل محمود بعد ذلك على انتهاج سياسة سلمية تجاه المسيرية وغيرهم، ولذا قرر جمع اعداد من المسيرية والحمر في مكان واحد ، لاعلانهم بخطته الجديدة الرامية الى انه ينوي ارسال الرجال القادرين فقط الى أم درمان حيث يعملون في صف المهدية بجانب الخليفة وتبقى عوائلهم في أوطانها وديارها حتى لا يحسوا بالتهجير نهائيا[2] ، ولكن بعض هؤلاء أثار لمحمود عدم التزام قادة المهدية بوعودهم ، لان بعض أعيانهم قبلوا الدعوة وهاجروا للخليفة في أم درمان وقدموا ولاء الطاعة ، ثم عادوا لديارهم بعد أن سمح لهم الخليفة بالعودة واعفاهم من الضرائب ، ولكن عيسى الزين وكيل العامل بالابيض لم يقتنع بذلك فتعرض لممتلكاتهم فأثارهم وجعلهم يتذمرون لهذا الموقف بل ان بعضهم لجأ الى الجبال للاحتماء بها[3] ، ومن ثم التمس بعض أعيان المسيرية من محمود احمد أن يسمح لهم بالاقامة في مناطقهم السنوط والسنيطة والبتبون وغيرها بغرض الاستقرار فيها وتعميرها وترك حياة التجوال، وتأييد المهدية[4] . وكعادة محمود عندما واجه هذا الامر رفعه الى الخليفة لافادته بما يتخذه من اجراء .

ولكن بعد ان تلكأت اجراءات محمود السلمية اشار عليه الخليفة بالحزم

---

(١) مهدية ١/١٥/١ ص ٩٢ ، ٤ القعدة ١٣١١ (٩ مايو ١٨٩٤) من محمود أحمد الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٥/٢ ص ١٣٠ ، ١٥ ربيع آخر ١٣١٢ (١٦ اكتوبر ١٨٩٤) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٥/٢ ص ١٤٣ ، ١٢ جماد آخر ١٣١٢ (١١ ديسمبر ١٨٩٤) من محمود الى الخليفة .

(٤) مهدية ١/١٤/١ ص ١٥ تاريخ ٢٧ جماد أول ١٣١٢ (٢٦ نوفمبر ١٨٩٤) من محمود الى الخليفة .

في أمر المسيرية واتخاذ التدابير الكفيلة بأسرهم وارسالهم اليه في أم درمان.
ومن ثم وضع محمود خطة لتنفيذ هذا الامر فاتفق مع عيسى زكريا والعباس هتوني وحددوا ٥ شوال ١٣١٣/٢١ مارس ١٨٩٦ موعدا للهجوم العام على المسيرية في الابيض وضواحيها وفي الاضية وأبي قلب ، وحدد لكل واحد من هؤلاء منطقة يهاجمها في التاريخ المحدد . وقد استطاع محمود بهذا الاجراء من أسر ٦١٨ من المسيرية ، أرسلهم الى الخليفة تحت حراسة سليمان أحمد اكرت بعد أن أطلق سراح بعضهم لانه لم يتأكد من وقوفهم مع المعارضين[١].

وبعد هذا الهجوم عاد محمود لمخاطبة المسيرية بأسلوب اللين والعطف فأصدر لهم منشورا عاما بناء على أمر الخليفة في ٢١ صفر١٣١٤/ أول أغسطس ١٨٩٦ يحسن لهم الهجرة والاقامة بجوار الخليفة[٢] . وكان لابد من أن يتخذ مثل هذا الاجراء على أعقاب حملات عسكرية حتى لا يشعرهم بأن واجب المهدية فقط مطاردتهم وارغامهم على الخضوع وانما أراد اشعارهم بأن من واجبه أيضا توجيههم وارشادهم . ويبدو أن الظروف كانت مواتية للتهجير اذ أرسل محمود اليهم عددا من رؤسائهم لاقناعهم بهذه الهجرة كما عين الدليل ابراهيم ليقوم بمهمة التهجير[٣] . كما طلب من وكيله في الابيض أن يوفر لهم كل التسهيلات حتى لا يجدوا ثغرة يرتدوا بها . وكان في اعتقاد محمود أن انجاز هذه المهمة من أكبر العوامل التي تسر الخليفة[٤] ، مما يوضح ان رغبة محمود في كل ذلك ارضاء الخليفة أولا ثم دعم المهدية وتقويتها بعد ذلك .

---

(١) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٤٨ ، ٢٠ القعدة ١٣١٣ (٤ مايو ١٨٩٦) من محمود الى الخليفة .

(٢) مهدية ٢/٣٧/٤ ص ٤١٩ ، ١٣١٤ (١٨٩٦) من محمود احمد الى كافة المسيرية الذين بكردفان عموما .

(٣) نفس المصدر .

(٤) مهدية ٢/٣٧/٤ ص ٤١٩ ، ٢٧ ربيع أول ١٣١٤ (٥ سبتمبر ١٨٩٦) من محمود احمد الى عيسى الزين .

وبالرغم من أن محمود يشك في أن المسيرية سينفذون أوامر الهجرة الا انه يخطر الخليفة بالاجراءات التي اتخذها ، ومصدر شكه أن احد الـذين أرسلهم الخليفة نفسه للمساعدة في تهجير المسيرية ويدعى بخيت بريمة غير جاد في هذه المهمة وانما له مطامع ذاتية يسعى لتحقيقها[1] .

وكما توقع محمود فان المسيرية لم ينفذوا أوامر الهجرة علـى الوجـه المطلوب ، فقد أخطره الدليل ابراهيم بأن المسيرية تخلفوا عن الهجرة وان الرؤساء المكلفين بهذه المهام قد هربوا وان بخيت بريمة أظهر عدم رغبته في العمل ، وان بعض المسيرية تفرقوا في الجبال ، وبعضهم لحق بجيش محمود بدعوة مشاركته في الجهاد وفي واقع الامر انهم ينافقون[2] . بل ان بعضهم هاجم احدى فرق الجيش المرافق لمحمود في منطقة ككجة ولكن هذه الفرقة تمكنت من هزيمتهم[3] .

ووضح لمحمود أيضا أن بعض زعماء المسيرية كانوا يبعدون أهلهـم وماشيتهم الى الجبال امعانا في رفض الهجرة واستعدادا للمقاومة ، ومن ثم لجأ محمود الى اعتقال بعض المسيرية وكتب الى أرباع الجيش باعتقال مـن معهم من المسيرية ، وأمر عيسى الزين باعتقال كل المسيرية في الابيض[4] ، وقد وافقت هذه السياسة الامر الذي صدر لمحمود فجأة بضرب المسيرية وحسم معارضتهم بأي وسيلة .

---

(١) مهدية ٣/١٥/١ ص ٢٦٢ ، ٢٩ ربيع أول ١٣١٤ (٧ سبتمبر ١٨٩٦) من محمود الى الخليفة .

(٢) مهدية ٣/١٥/١ ص ٢٦٧ ، ٣ ربيع آخر ١٣١٤ (١١ سبتمبر ١٨٩٦) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/٤٠/٢ ص ٤٩ ، ١٠ رمضان ١٣١٤ (١٢ فبراير ١٨٩٧) من الختيم موسى الى محمود .

(٤) مهدية ٣/١٥/١ ص ٢٤٤ ، ٤ رمضـان ١٣١٤ (٦ فبراير ١٨٩٧) من محمود الى الخليفة .

ثم استعد محمود لارسال حملة من ٤ آلاف مقاتل بقيادة محمد ولد علي لمهاجمة كل المجموعات العربية المتحصنة بجبال النوبا ، وتحركت هذه الحملة نحو قرية قراديد التبلدي قرب جبل الغلغان حيث تجمع بعض البديرية والحوازمة وسكان هذا الجبل ومن اجتمع حولهم من السكان الآخرين • وفي ٢٢ صفر ١٣١٤/ ٢ أغسطس ١٨٩٦ دارت معركة بين الانصار ومجموعة كبيرة من البديرية في احدى قرى الحوازمة المجاورة لجبل الغلغان قتل فيها أكثر من ٥٠٠ بديري ، وقد هدأت هذه المعركة بقية المجموعات العربية وأعادت النظام بعض الوقت ، مما جعل محمود ود أحمد يغادر كردفان الى دارفور في ٧ ربيع أول ١٣١٤/١٦ أغسطس ١٨٩٦ ويعين عيسى الزين وكيلا عنه في الابيض[1] ، ولكن الخليفة لم يلبث أن استدعى محمود الى أم درمان وطالبه بالوصول اليه في تاريخ أقصاه ١٥ رمضان ١٣١٤/١٧ فبراير ١٨٩٧، على أن يؤمن ظهره تماما ويسند المهمة في غرب السودان الى شخصية ذات كفاءة سياسية وعسكرية[2] •

لقد ظلت القبائل العربية في كردفان على عهد محمود ود أحمد في نزاع شديد مع المهدية ، وانها كلما سنحت لها فرصة الخروج جاهرت بعدائها ، وفي تقديري ان كل ذلك يرجع الى أسلوب الحكم وطريقة تطبيقه على الاهالي دون مراعاة لاحوالهم الاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم ، وبصرف النظر عن أثر كل ذلك على أخلاقهم ونفسياتهم ، مما جعلهم يصطدمون دائما وباستمرار بسياسة المهدية في تهجيرهم من أوطانهم بنسائهم وأطفالهم وممتلكاتهم ، أو فرض أموال اضافية على ما قررته الزكاة الشرعية أو سلبهم خيولهم الجيدة وغير ذلك مما يتعارض وتقاليدهم ونمط حياتهم •

---

(١) مهدية ٣/١٥/١ ص ٢٥٩ ، ربيع أول ١٣١٤ (٦ سبتمبر ١٨٩٦) من محمود الى الخليفة •

(٢) مهدية ٩/١٣/١ ص ٣٢٩ ، ٧ شعبان ١٣١٤ (١١ يناير ١٨٩٧) من الخليفة الى محمود ود أحمد •

وبالرغم من ان الخليفة وعامله محمود حاولا في أوقات متفرقة انتهاج سياسة سلمية بغرض ارضاء الاهالي وكسبهم الا ان سلطات المهدية كانت تنتهج أسلوب الضغط لفرض النظام خصوصا في الايام الاخيرة من حكم محمود في كردفان ، ومصدر ذلك ان الظروف السياسية التي تواجه دولة المهدية ختمت تلك الاجراءات ، فان الضغط الخارجي من الشمال قد تصاعد، وأصبح الخليفة في هذه الحالة يحتاج الى تكاتف كل قواته خصوصا جيش محمود وتعبئته لمواجهة هذه الاخطار ، مما لا يسمح بالانشغال بأي مسائل داخلية تؤثر على مقدرة وسلامة ذلك الجيش .

محمود يواصل عمليات اخضاع النوبا :

لقد ظلت عمليات اخضاع النوبا والمجموعات العربية المتحصنة بينهم في نفس مستوى الاجراءات التي يتخذها عمال المهدية في أقاليم كردفان الاخرى، ولم تنقطع تلك الاجراءات منذ أن بدأها حمدان لاستمرار معارضة النوبا للمهدية . وفي عهد محمود ود احمد اتخذ اجراءات عسكرية مختلفة لاخضاع النوبا . فقد طلب عبد الباقي عبد الوكيل عامل محمود في الطيارة من عيسى زكريا وكيل العامل في الابيض ان يلتقي به في الرهد لمهاجمة جبل الداير لان أهله تظاهروا بولائهم للمهدية[1] وعندما طلب اليهم الحضور لمقابلته في تاريخ محدد أخلفوا العهد ، وتعاونوا مع بعض العربان المتحصنين بجبلهم[2]، فالتقى القائدان في الرهد في ٢٠ ربيع أول ١٣٠٨/٣ نوفمبر ١٨٩٠ ، وبادرا بارسال طليعة من الانصار هزموهم فتقهقروا الى قمة الجبل ، واستباح الانصار

---

(١) مهدية ١/٧/١ ص ٩٨ ، ٢٩ صفر ١٣٠٨ (١٤ اكتوبر ١٨٩٠) من عبد الباقي الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/٧/١ ص ١٠٧ ، ٢٣ ربيع أول ١٣٠٨ (٦ نوفمبر ١٨٩٠) من عبد الباقي وعيسى زكريا الى الخليفة .

احدى قراهم وأخذوا ما يمكن أخذه من الغلال والممتلكات وأحرقوا الباقي[1] كما أسروا بعض رجالهم ونسائهم .

ولكن النوبا أمام هذه العمليات استسلموا ، فرأى القائدان تأمينهم ومعاملتهم بالرفق[2] بالرغم من أن محمود كان يرى ضرورة الحذر منهم وطلب من وكيله أن يكون يقظا وحريصا في مراقبة هؤلاء النوبا[3] .

ثم طلب عبد الباقي عبد الوكيل وعيسى زكريا الاذن من الخليفة لمهاجمة جبال تقلي وتكم لانها ليست في ولاء للمهدية ، وفي نفس الوقت اصدرا منشورا الى سكان جبال الكدرو والكواليب لتأمينهم لما أبداه هؤلاء من طاعة وولاء[4] .

ووافق الخليفة على ذلك واقترح على عبد الباقي أن يهاجم تقلي من شركيلة[5] على أن يبقى عيسى زكريا في الابيض ، لعله كان يحتاج اليه في مهمة أخرى أو ان المسألة لا تحتاج الى قواتهما معا .

وقد ساعدت الظروف الداخلية في تقلي عبد الباقي عبد الوكيل ، ذلك انه نشب خلاف داخلي بين رئيس الجبل المدعو علي آدم وأخيه جيلي ، اضطر على أثره جيلي للنزوح جنوبا ، وعلي آدم الى (سدرة) حيث استعد لحرب أخيه جيلي ، ولكن جيلي هرب متوغلا جنوبا فسنحت الفرصة لعلي آدم

---

(١) نفس المصدر .

(٢) مهدية ١/٧/١ ص ١١٢ ، ٢٣ جماد آخر ١٣٠٨ (٣ فبراير ١٨٩١) من عبد الباقي عبد الوكيل الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٣/٥ ص ١٧٧ ، ٢٣ رمضان ١٣١٠ (٩ ابريل ١٨٩٣) من محمود احمد الى عيسى الزين .

(٤) مهدية ١/٧/١ ص ١١٩ ، ٢٦ جماد آخر ١٣٠٨ (٦ فبراير ١٨٩١) من عبد الباقي وعيسى الى الخليفة .

(٥) مهدية ١/٧/١ ص ١٣٩ ، ٨ شعبان ١٣٠٨ (١٩ مارس ١٨٩١) .

للاستيلاء على سلطة الجبل وأعلن ولاءه للمهدية وأوفد مندوبين الى عبد الباقي لابلاغه بذلك ، ومن ثم اخطر عبد الباقي الخليفة بتلك التطورات وأبلغه بأن الموقف لم يعد يستدعي ذهاب الجيش الى تقلي[١] . وانصرف عبد الباقي الى علاج بعض المسائل الادارية في قسمه .

أما أهالي الجبال الاخرى فعندما علموا بقوة اجراءات محمود في استتباب الامن وتأمين حياة الناس ، حضر اليه بعض مكوك الجبال وأعلنوا ولاءهم فأمنهم وعفا عنهم وأعلمهم بأنه لن يطلب منهم سوى الزكاة المقررة على أهلهم[٢] .

وكان محمود قد عاد الى دارفور ، ولكن الخليفة طلب اليه ان يعود الى الجبال لانها أصبحت وكرا للهاربين ومكانا لبيع الاسلحة والمحرمات وخاصة منطقة الدلنج ، وان خطورتهم تعدت منطقة الجبال الى مناطق كردفان الاخرى فقد وجد ان بعض النوبا الذين يعملون في بيع الاسلحة قد تغلغلوا وسط بعض القبائل كالمرامرة والفراحنة وأولاد مرج لحماية أنفسهم وبيع بضائعهم من أسلحة وتبغ[٣] . وقد استطاع محمود أن يأسر عددا من هؤلاء المهربين في منطقة الدلنج كما حصل على مجموعة من أسلحتهم وطلب من الخليفة أن يعمل على اجتثاث جذور هؤلاء المهربين من أم درمان[٤] لانهم ينقلونها من هناك الى هؤلاء في الجبال فيدعمون معارضتهم ويسندون موقفهم .

---

(١) مهدية ١/٧/١ ص ١٥٤ ، ٢٥ رمضان ١٣٠٨ (٤ مايو ١٨٩١) من من عبد الباقي الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٤/١ ص ١/١٧ ، ٢٥ جماد أول ١٣٠٨ (٦ يناير ١٨٩١) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ٤/٢٣/٢ ص ١٤٠ ، ٢ رمضان ١٣١٠ (٩ مارس ١٨٩٣) من محمد ود نوباوي الى الخليفة .

(٤) مهدية ٢/١٤/١ ص ١٢٠ ، ٤ صفر ١٣٠٩ (٢٩ سبتمبر ١٨٩١) من محمود الى الخليفة .

وفي هذا الاثناء استطاع محمد نوباوي من مهاجمة جبل الحرازة ،حيث طلب منه سكان الجبل الامان ـ بالرغم من ان جنوده لاقوا كثيرا من العنت بسبب العطش ـ وتخلوا عن النعمة سوركتي[١] الذي تمادى في عصيانه ، فأعطاهم محمد نوباوي الامان ودعاهم الى النزول عن الجبل[٢] .

وقبل أن ينهي محمود عملياته في الجبال فوجىء بتدهور الموقف في منطقة الضباب ، بعد أن أفلحت الحملة التي وجهت الى جبل الداير في ٢١ ربيع أول ١٣٠٨ / ٤ نوفمبر ١٨٩٠ في تهدئة أحوال هذه المنطقة ، ولذلك أصدر الخليفة أمرا في ٨ صفر ١٣١٠ / أول سبتمبر ١٨٩٢ بتوجيه حملة الى جبل الضباب ومن ثم تكونت من ٣٠٣٣ مقاتلا ، و ٢٠٥٢ بندقية و ٢٧٦ من الخيول بقيادة البشاري ريدة[٣] ، واستطاعت هذه الحملة هزيمة الضباب ، وتدمير مزارعهم ، وهدأت على أثرها الاحوال في مناطق أخرى من الجبال ، ثم أصدر محمود منشورا الى كل النوبا يدعوهم فيه الى التزام الهدوءوالطاعة للمهدية[٤] . وترتب على ذلك أيضا أن أعلن بعض النوبا تعاونهم مع محمود ومساعدته في القبض على المجموعات العربية بمناطقهم كالحوازمة والمسيرية وغيرهم[٥] . وتعتبر هذه هي المرة الاولى التي يتعاون فيها أهالي الجبال مع

---

(١) كان النعمة سوركتي قد التزم بطاعة المهدية وأعلن استعداده للتعاون مع الخليفة وطلب أن يسند اليه ادارة جبل الحرازة ليكون عاملا عليه ، راجع مهدية ١/١٣/٤ ص ٣٧ ، ١٩ محرم ١٣٠٩ (١٥ أغسطس ١٨٩١) من الخليفة الى محمود أحمد .

(٢) مهدية ٢/٢٣/٩ ص ١٥٤ ، ٢٩ رمضان ١٣١٠ (١٥ ابريل ١٨٩٣) من محمد نوباوي الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/٢/١ ص ٤٣ ، ٢٤ صفر ١٣١٠ (١٧ سبتمبر ١٨٩٢) . من محمود الى الخليفة .

(٤) مهدية ١/١٤/٣ ص ٢٨٧ ، ٢٤ ربيع آخر ١٣١٠ (١٥ نوفمبر ١٨٩٢) من محمود الى الخليفة .

(٥) مهدية ١/١٤/٣ ص ٣٢٥ ، ٢٤ جماد آخر ١٣١٠ (١٣ يناير ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

عامل الخليفة في كردفان بصورة تجعلهم يقفون مع المهدية ضد العربان الذين كثيرا ما لجأوا اليهم واحتموا بجبالهم ، ولا يعتبر هذا حكما عاما لانه حدث من سكان الجبال المجاورة لابي قلب وقد يتخذ غيرهم موقفا معاديا وهذا أمر طبيعي لان آخرين من سكان الجبال كانوا يستفيدون من هؤلاء العربان في حصولهم على الاسلحة مثلا .

وقد انتهز محمود فرصة مهاجمة الجبال فتعقب العربان المتحصنين هناك، كما لاحق الجهادية الذين تمردوا عليه في النهود واحتموا بجبل عريض . وكان هؤلاء الجهادية يترقبون مهاجمة محمود لهم ، ولكنه فاجأهم في ١١ شعبان ١٣١٠/ ٢٨ فبراير ١٨٩٣ وهزمهم دون أن يبذل مجهودا يذكر أو يجد مقاومة منهم وأسر بعض رؤسائهم وحصل على أسلحتهم[١] . ومن هناك توجه الى منطقة المسيرية .

ولكن محمود اضطر لمهاجمة منطقة الجبال مرة أخرى حيث تمكن في ١٧ ربيع أول ١٣١١/٢٨ سبتمبر ١٨٩٣ من ضرب جبل الدلنج وهزيمة سكانه والمحتمين به وقتل منهم اعدادا كبيرة[٢] ، وقام بعد ذلك بتخريب مزارع النوبا ومزارع الحوازمة في منطقة النما لاضعاف شوكتهم ، ثم قام بمناورات عسكرية لارهاب من بقي من السكان حتى أعلنوا طاعتهم وطلبوا من محمود أن يأذن لهم بالبقاء في أماكنهم ، ولكن محمود رفض طلبهم مالم يحضروا سلاطينهم وأعيانهم ليتعهدوا أمامه بالطاعة والولاء[٣] .

وكان هذا الجبل يشكل خطورة على المهدية ، فقد كانت أغلب الجبال

---

(١) مهدية ٣/١٤/١ ص ٣٣٠ ، ١٧ شعبان ١٣١٠ (٥ مارس ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٥/١ ص ١٧ ، ٤ ربيع آخر ١٣١١ (١٥ اكتوبر ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

(٣) مهدية ١/١٥/١ ص ٢٠ ، ٤ ربيع آخر ١٣١١ (١٥ اكتوبر ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

ترسل مندوبين عنها للاقامة بالدلنج وذلك للحصول على حاجتها من الاسلحة والبارود وتصريف ما عندها من بضائع مختلفة بالاضافة الى انه كان يهدد المدن المجاورة وخاصة الابيض ، فقد كانت تخرج منه فرقتين كل اسبوع واحدة لمهاجمة الابيض والاخرى لمهاجمة النهود ، وكانت تتغير هذه الفرق اسبوعيا بحيث لا تهاجم فرقة واحدة مدينة واحدة مرتين متتاليتين ، ومهمة هذه الفرق السلب والنهب بجانب ما تثيره من ذعر وقلق للسكان واضطراب وفوضى في النظام[1] .

ومن الطبيعي ان يستفيد العربان الخارجين على السلطة من هذه الاغارات ، يدعمونها أو يستفيدون مما تثيره من قلق واضطراب في خلق مزيد من ذلك الاضطراب لعرقلة نظام المهدية . ثم عاد محمود الى دارفور وترك بقية جيشه في أبي قلب ووجهه بضرب ثلاثة جبال هي جبل تلشي وجبل الداجو سليجي ومنطقة كيلك أولا لمطاردة المسيرية وثانيا للحصول على العيوش والغلال . وبدأت تلك المجموعة من جيش محمود مهمتها في ٢٩ شوال ١٣١١/ ٦ مارس ١٨٩٤ حيث استطاعت ان تنشر الامن وتغتنم بعض الاسرى وتحصل على كميات كبيرة من الغلال[2] .

والخلاصة فانه على ضوء ماذكر مازال الموقف في كردفان وجبال النوبا يتطلب مراقبة شديدة ويقظة تامة وتحركات عسكرية مستمرة ، لانه بالرغم من تعهد السكان بالطاعة الا انهم سرعان ما يعودون الى مواقفهم فيغيرون على المدن ويقطعون الطرقات ، وقد يرجع ذلك الى ظروفهم المعيشية وحاجتهم الى الغلال وحصولهم على السلاح لان الانصار كانوا يدمرون مزارعهم ويأخذون

---

(١) مهدية ١/١٥/١ ص ١٩ ، ٢ ربيع آخر ١٣١١ (١٣ اكتوبر ١٨٩٣) من محمود الى الخليفة .

(٢) مهدية ١٥/١ مجلد ١ ص ٩٤ ، ١٧ الحجة ١٣١١ (٢١ يونيو ١٨٩٤) من البشاري ريدة وام بدي الرضي وابراهيم الشريف الى محمود ود احمد .

أسلحتهم ، ولذلك عمل محمود على اقامة دوريات مستمرة تجوب جهات الجبال خوفا من اغارتهم المفاجئة .

وقد كان سكان الجبال يجدون في (الجلابة) موردا للاسلحة وواسطة للاتصال التجاري المستمر الذي كانت تحرمهم منه المهدية فيضطرون الى الاغارة والسلب بجانب المعارضة السياسية القائمة منذ نشوء المهدية .

نقل محمود الى الشمال :

تطورت الظروف السياسية أواخر عهد محمود بكردفان ، وزاد الضغط الخارجي على البلاد ، وشعر الخليفة بحاجته الى كل سند ودعم ، وهو يعلم أهمية جيش محمود وتكوينه ومدى فعاليته ، اذ لم تمض فترة قصيرة على محمود في عمالة الغرب حتى بلغ جيشه الموجود بكردفان عام ١٣٠٩ (١٨٩١) ٦٧٤٦ من الجنود يمتلكون من السلاح ٤١١١ بندقية من أنواع مختلفة[١] ، وهذا الجيش موزع على عدد من الحاميات في الابيض وشات وبارة والطويشة والنهود[٢] .

ولكن محمود استطاع بناء هذا الجيش حتى بلغ في نهاية نفس العام أكثر من ١٠ آلاف جندي من الانصار والجهادية كما زادت الاسلحة التي يمتلكونها[٣] ، ولكنه كان موزعا بانحاء كردفان وبقية الغرب . بينما ارتفع هذا الجيش أوائل عام ١٣١٠ بعد منتصف ١٨٩٢ الى ١٤٧ر١٢ جندي ، ٥٣٩٩ أسلحة مختلفة الاصناف ، ٨٣٦ من الخيول .

---

(١) مهدية ١/١٤/١ ص ٣ ، ٧ جماد أول ١٣٠٨ (١٩ ديسمبر ١٨٩٠) من محمود الى الخليفة .

(٢) Intelligence reports, Egypt, Vol. I, No. 9. Dec. 1892. P. 2.

(٣) مهدية ٢/١٤/١ ص ٢٢١ ، ٥ القعدة ١٣٠٩ (٢ يونيو ١٨٩٢) كشف يحتوي بيان الجيش الغربي المقيم بابي حجار .

وكل هذه المجموعات كانت تقيم في الابيض في هذا الوقت ، غير ان محمود شعر بالاضرار التي قد تنجم من وجود هذه الكثرة في منطقة واحدة من نقص في المؤن الغذائية ومياه الشرب واخلال بالامن ، ولذلك ارسل بعضهم الى الاضية وقامت فرقة أخرى بمناورة عسكرية في جبال النوبا لارهاب السكان والعربان المقيمين بينهم[١] .

وكان الخليفة يهتم دائما بنظام الضبط والربط في الجيش وينصح قادته بالحزم القائم على تبادل الرأي والاستشارة بين قادة الارباع ، ويوجه لهم النقد الشديد كلما أحس بتقصير أو تفريط في اداء المسؤوليات ، ويدعوهم الى التركيز على الجهاد والبعد عن الجري وراء الغنائم وبذل كل مجهود لتحقيق النصر لان هذه دعوة المهدية التي نادى بها المهدي ، فالجهاد أداة الثورة ووسيلتها الى الحياة والبقاء والاتساع[٢] .

ولذلك عندما تطلبت ظروف الجهاد حشد قوات المهدية لمواجهة التدخل الاستعماري استدعى الخليفة محمود ود أحمد على رأس جيشه . فقد أخطره في ٢٤ ربيع آخر ١٣١٤/ ٢ اكتوبر ١٨٩٦ بأن الانجليز هزموا محمد بشارة في دنقلا العرضي وأبعدوه عن شاطىء النيل[٣] ، ويخشى الخليفة من أن تزحف جيوش هؤلاء بعد سقوط دنقلا مباشرة الى أم درمان عبر طريق الصحراء[٤].

---

(١) راجع مهدية ١/١٤/٣ ص ١/٢٧٥ ، ٢٢ ربيع آخر ١٣١٠ (١٣ نوفمبر ١٨٩٢) كشف بيان الجيش الموجود بكردفان هذا العام . ومهدية ١/١٤/٣ ص ٢٧٧ ، ٢٣ ربيع آخر ١٣١٠ (١٤ نوفمبر ١٨٩٢) من محمود الى الخليفة . ومهدية ١/١٤/٣ ص ٢٩٦ ، ٦ جماد أول ١٣١٠ (٢٦ نوفمبر ١٨٩٢) من محمود الى الخليفة .

(٢) محمد ابراهيم ابو سليم **منشورات المهدية** ، المقدمة ص (ز) .

(٣) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٧٠ ، ٢٠ جماد آخر ١٣١٤ (٢٧ اكتوبر ١٨٩٦) محمود الى الخليفة .

(٤) محمود عبد الله ابراهيم ، **المصدر السابق** ، ص ٢٠ .

وطلب من محمود ان يعمل لتحرك جيشه دون أن يشيع بينه أخبار هزيمة محمد بشارة حتى لا يستغلها المناوئين له أو تؤثر في روح الجيش المعنوية[1] . ولكن عاد بعد ذلك وطلب من محمود ان يتريث في الحضور ، فاضطر محمود عندما وصل الابيض في ٢١ رجب ١٣١٤/ ٢٦ ديسمبر ١٨٩٦ ، الى توزيع جيشه على جهات متعددة وذلك لان الابيض لا تسع كل قواته[2] . وكانت قوات محمود في حالة معنوية عالية وفي تعداد ضخم ، مما جعله يصف ضخامة جيشه للخليفة بأنه يمتد طولا من اول كردفان الى قرب دارفور وعرضا من المجلد جنوبا الى كاجة شمالا ، لانه وزعه على مناطق أبي حراز والتيارة وأم دم ، وجوار الابيض ، وترك فرقا أخرى في منطقة كجمر والنهود والاضية وقوات أخرى في منطقة المدكوك بين شكا والاضية[3] .

وكان الخليفة قد خاطب قادة هذا الجيش يحثهم على التهيؤ للجهاد وبث تلك الروح في جنودهم ، فوجد منهم ترحيبا وطاعة حيث تمثلت تلك الطاعة عندما استدعى الخليفة محمود احمد ليحضر اليه على عجل في ١٣ القعدة ١٣١٣ / ٢٧ ابريل ١٨٩٦ ولكن محمود تأخر ، فندم على ذلك وقدم اعذاره للخليفة ، في انه كان مشغولا بضرورة اخضاع المسيرية ولانه كان مريضا بداء الدم ولذا تأخر مضطرا[4] ، ولكن سرعان ما حضر اليه بعد ذلك في أم درمان وعاد للابيض في ١٧ رمضان ١٣١٤ / ١٩ فبراير ١٨٩٧ بعد أن تزود ببعض التوجيهات .

---

(١) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٧٠ ، ٢٠ جماد آخر ١٣١٤ (٢٧ اكتوبر ١٨٩٦) من محمود الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٧٥ ، ٢١ رجب ١٣١٤ (٢٦ ديسمبر ١٨٩٦) من محمود الى الخليفة .

(٣) نفس المصدر .

(٤) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٤٧ ، ٢٠ القعدة ١٣١٣ (٤ مايو ١٨٩٦) من محمود الى الخليفة .

ثم غادر محمود كردفان على رأس هذا الجيش في ٢٧ القعـدة ١٣١٤/ ٢٨ أبريل ١٨٩٧ ، وعين الختيم موسى عاملا على كردفان بنـاء على توصية الخليفة يساعده كل من علي أحمد الهاشمي وموسى حسين واحمد مـالك بما معهم من جنود . كما عين عيسى الزين ليشرف على عائلات الانصار التي تخلفت في كردفان وأقام أغلبها في بارة وأخرى في أم دم وغيرها[١] .

وقد واجه محمود صعوبات جمة في قيادة جيشه الى أم درمان من حيث حفظ النظام ، وتنظيم طريقة السير ، وواجه أيضا فرار بعض الجنود الـى ديارهم مما جعله يعمل على ارجاعهم فتأخر في وصوله الـى أم درمان[٢] وكان الخليفة يساعده باصدار التوجيهات والانذارات بمنع الانصار من التعـرض على سكان القرى التي يعبرونها ، وقد احتاط محمود لهذا الغرض أيضا فاقام حراسا على القرى التي يمر بها الجيش ، ورغم ذلك فقد أخلى بعض سكان النيل الابيض قراهم لسابق تجاربهم مع مثل هذه الجيوش .

وكان الخليفة يفتخر بجيش محمود ويعده نموذجا لجيش المهدية المنظم ، ولذا عندما اقترب الجيش من أم درمان طلب الخليفة من محمود أن يدخـل المدينة في ترتيب وتنسيق ، يظهر جنوده في مستوى مشرف من حيث النظافـة والنظام[٣] . وفي ٦ الحجة ١٣١٤/٧ مايو ١٨٩٧ وصل محمود الـى مشارف أم درمان حيث أقام قريبا من جبل أولياء في انتظار تكامل جيشه واعـداده بالصورة التي ترضي الخليفة عند دخوله المدينة .

---

(١) مهدية ٣/١٥/١ ص ٢٨٥ ، ٢٧ القعدة ١٣١٤ (٢٨ ابريل ١٨٩٧) من محمود الى الخليفة .

(٢) مهدية ٣/١٥/١ ص ٢٩٦ ، ٧ الحجـة ١٣١٤ (٨ مـايو ١٨٩٧) من محمود الى الخليفة ، راجع أيضا مهدية ٣/١٥/١ ص ٢/٢٨٧ ، ٢٧ القعدة ١٣١٤ (٢٨ أبريل ١٨٩٧) .

(٣) مهدية ٣/١٥/١ ص ٢٩٢ ، ٦ الحجـة ١٣١٤ (٧ مـايو ١٨٩٧) من محمود الى الخليفة .

وبالرغم من خروج هذا الجيش العظيم عن كردفان الا انها ظلت تشكل أهمية للخليفة ، وترجع أهميتها في هذه الفترة بالذات الى موقعها الاستراتيجي من حيث ان حدودها تلتقي بدنقلا ، وان الخطر الذي يهدد الدولة في هـذا الاثناء يقبع في تلك الجهات ، وكان الخليفة يخشى من تسرب نفوذ الانجليز عن طريق دنقلا الى كردفان • ولذا أصبح على عامله في هذا الوقت مسؤولية المراقبة الشديدة وتأمين ظهر الدولة •

وقد احتاط الخليفة لهذا الامر على الفور وطلب من عيسى الزين ارسال قوة من الانصار لمراقبة هذه المنطقة ، فوصلت تلك القوة الى العامرة ثم واصلت سيرها الى المزروب حيث التقت بأحد الاشخاص ويدعى محمد ولد أبو شامة من اولاد طريف يقوم بدعاية للانجليز ، مما يدل بأن هؤلاء قـد بدأوا يتدخلون لكسب ولاءات داخل كردفان ، ثم أقامت تلك القوة في جبل الحرازة لمواصلة الترصد لتبليغ المسؤولـين كلما جـدت اخبار أو وقعت حوادث[1] •

---

(١) مهدية ١/٢٧/٦ ص ٦٠ ، ٩ جماد آخر ١٣١٤ (١٥ نوفمبر ١٨٩٦) من عيسى الزين الى الخليفة .

الفصل السادس

كردفان في أواخر عهد المهدية

(١) عمالة الختيم موسى (٢٧ القعدة ١٣١٤ ، ٢٨ ابريل ١٨٩٧ ـ جماد آخر ١٣١٦ ، **نوفمبر ١٨٩٩)** .

كانت مهمة الختيم موسى في كردفان صعبة وذلك للظروف التي صارت اليها المنطقة عقب مغادرة محمود أحمد لها . فقد كانت أغلب مناطق كردفان في تلك الفترة خالية من ساكنيها لانهم اما هاجروا مع محمود ، أو هجروا أوطانهم الى مناطق أخرى بحثا عن القوت ، فكان من واجب الختيم ان يعمل على اعادة ما يمكن اعادته منهم لاستقرارهم وتأمينهم[١] .

وقد كانت سلطة الختيم في بداية ولايته ضعيفة على بعض المناطق كدار حامد وابو حديد والحرازة والهلبة لان محمود كان قد عين عليها عيسى الزين وجعل لها بيت مال منفصلا ، ويرجع ذلك الى ان أكثر عائلات الانصار الذين تقدموا للجهاد مع محمود في الشمال تقيم بتلك الجهات[٢] .

ولما كانت مسؤولية الختيم تشمل كل كردفان فانه عمل على معالجة المشاكل المختلفة التي واجهته ، فعندما ظهر شخص يدعي المهدية في جبل

---

(١) مهدية ١/١٥/٣ ص ٤ ، ٢٨ محرم ١٣١٥ (٢٩ يونيو ١٨٩٧) الختيم موسى الى الخليفة .

(٢) نفس المصدر .

الداير ، تصدى الختيم له منذالبداية ، فخاطب الضباب سكان الداير حول هذه المسألة ، هل هو جاد في دعوته ومن أي نوع هذه الدعوة هل هي دينية بمعنى أنه مهدي أو أنه يدعي الخلافة أو ان غرضه الحصول على سلطة سياسية في تلك المنطقة ، وادعى ذلك ليكسب ولاء بعض الناس .

وكان الختيم يدرك ان الضباب قد ينضمون الى هذا الرجل لانهم لم يذعنوا للمهدية ولم يخضعوا للخليفة نهائيا ، ورغم ذلك فان هذا المدعي لم يجد ضالته وسط الضباب فالتجأ الى جبال أخرى ولكنها رفضته ، ثم تقرب الى المسيرية المقيمين في الجبال فلم يقبلوه ، فاضطر الى النزوح نحو النهود[1] ، وكان الختيم يعتبر أهالي النهود من المعارضين وقد يساعدون هذا المدعي فاستأذن الخليفة في مطاردته واللحاق به حتى لا يستفحل أمره[2] ، ثم اتضح له ان اهالي النهود ايضا رفضوه وأبعدوه من بينهم ،حيث توجه مرة أخرى للدعوة وسط المسيرية عله يجد مجالا بينهم[3] ، ولكن لم يأت له ذكر بعد ذلك مما يدل على اختفائه وانتهاء أمره دون أن يكون له أثر سياسي يذكر سوى تحركاته المختلفة والتي تتبعها الختيم باهتمام .

غير ان ظروف الامن في كردفان كانت في صورتها العامة مشابهة للاحوال في عهد العمال السابقين ، فقد كانت تقارير الختيم الى الخليفة تشير بأن الاحوال غير مستقرة وان أكثر القبائل متحركة ضد المهدية كعادتها كلما سنحت لها الفرصة للخروج ، من ذلك ان الجوامعة في أم روابة والطيارة وابي عوه أعلنوا عصيانهم وقطعوا الطرق ، وأكثروا من الاغارة على عائلات

---

(١) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٤ ، ١٨ رمضان ١٣١٥ (١٠ فبراير ١٨٩٨) من الختيم موسى الى الخليفة .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٧ ، ٢٤ شوال ١٣١٥ (١٨ مارس ١٨٩٨) من الختيم الى الخليفة .

الانصار المتجمعة هناك ينهبون ويسرقون ويقتلون[1] • كما أظهر سكان النهود وأم بل ومناطق أخرى عصيانهم وأغاروا على بعض القرى ، فقد كان موسى هجام عاملا على النهود ولكن محمود أحمد رأى قبيل سفره تعيين محمد ولد علي في مكانه وكتب الى هجام بالحضور الى الابيض ، وعند حضور العامل الجديد رأى ان هجام يقوم بالاضطرابات والقلاقل وارتكب عددا من المخالفات، وانه لا يرغب في الحضور الى الابيض ، فأبلغ الختيم موسى بذلك • وأضاف بأنه سلك طريق أم بل متجها الـى منطقة أخرى • ومن ثم أرسل الختيم موسى قوة بقيادة التجاني العاز للقبض عليه حتى لا يؤثر على الآخرين • وقد علم التجاني في طريقه بأن الامور في النهود نفسها غير مستقرة وان عاملها لم يستطع كبح جماح الخارجين فغير طريقه واتجه الى النهود • وفي الطريق هاجمته مجموعة من المعاليا والبديرية والجوامعة وحمر وتامه وبرتي ، وحدث اشتباك بينهم في ١٩ محرم ١٣١٥/ ٢٠ يونيو ١٨٩٧ ، وقتل في هذا الاشتباك التجاني العاز وبعض أتباعه ، ويرجح ان قوات المهدية هزمت لان الختيم لم يذكر تفاصيل المعركة كاملة ، بل ذكر انه لم يكن يتوقع حدوث كل ذلك ، لانه لم يكن يعتقد ان حالة النهود تدهورت الى هذا الحد من السوء وان هذه المجموعات التي كان يعتقد انها قد أيدته وآزرته من قبل قد خرجت عليه[2] •

والواضح ان موسى هجام قد لعب دورا في تأليب هذه المجموعات ضد الختيم ، فضلا عما سببه هو من قلق ومشاكل أدت الى اضعاف موقف المهدية في النهود ، وأدت الى تجمع تلك المجموعات المتعددة تحت قيادة واحـدة

---

(١) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٨ ، ٢٤ شوال ١٣١٥ (١٨ مارس ١٨٩٨) من الختيم موسى الى الخليفة .

(٢) مهدية ١/١٥/٣ ص ٩ ، ٩ صفر ١٣١٥ (١٠ يوليو ١٨٩٧ من الختيم الى الخليفة .

برئاسة منصور محمد الشيخ الحميري[1] . ويرى الختيم ان موقف تلك القبائل لا يعني عداء صريحا للمهدية بقدر ما هو موقف أملته حاجتهم للغلال والعيوش والتي كانت تعتقد وجودها في النهود لان أغلب جهات كردفان قد ضاقت بها سبل العيش ، هذا بجانب ان أغلب زعماء النهود قد نزحوا مع جيش محمود الى الشمال ، مما جعل هذه المجموعات تتكتل وتهاجم الطرقات كما تهاجم النهود فتسببت في تلك الفوضى ، ولذلك اقترح على الخليفة أن يرسل من يقوم بارشادهم وتوجيههم لانهم بذلك قد يعودون لطاعة المهدية[2] ، وهذا ما يمكن أن يقدمه الختيم في تلك الظروف فلن يستطيع ان يوفر لهم كفايتهم من الذرة والغلال لعدم توفرها في المنطقة .

ومما يشير الى عدم الاستقرار في كردفان ان مجموعة من عربان المسيرية والحمر قد غارت في محرم ١٣١٥/ يونيو ١٨٩٧ على منطقة الاضية ، وكان عاملها حينذاك عبد الله الامين تساعده فرق من البديرية والمعاليا وبعض (أولاد البلد) ، فاستطاع أن يصد ذلك الهجوم وقتل منهم ٩٧ شخصا وفر الباقون[3] ، ويبدو ان المسيرية قد خضعوا بعد هزيمتهم في هذا الهجوم لان وفدا منهم حضر للختيم موسى يطلب الامان فأمنهم وأكرمهم[4] .

والواضح ان الحوادث والاشتباكات في هذه الفترة لم تكن عنيفة كمستواها في عهود العمال السابقين ، وقد يرجع ذلك الى ضعف هذه

---

(١) مهدية ٣/١٥/١ ص ١٦ ، ٤ شعبان ١٣١٥ (٢٩ ديسمبر ١٨٩٧) من الختيم الى الخليفة .

(٢) مهدية ٣/١٥/١ ص١٨ ، ٢٥ شعبان ١٣١٥ (١٩ يناير ١٨٩٨) من الختيم موسى الى الخليفة .

(٣) مهدية ٣/١٥/١ ص ٧ ، ٢٨ محرم ١٣١٥ (٢٩ يونيو ١٨٩٧) من الختيم موسى الى الخليفة .

(٤) مهدية ٣/١٥/١ ص ١٦ ، ٤ شعبان ١٣١٥ (٢٩ ديسمبر ١٨٩٧) من الختيم موسى الى الخليفة .

القبائل بسبب الضربات القوية التي لحقتها من قبل ، وبسبب الظـروف الاقتصادية المنهارة التي يعيشها اقليم كردفان عموما .

وكانت منطقة الكبابيش تثـير اهتمام الخليفة دائما وخاصة في هــذه الظروف التي تتعرض فيها البلاد الى الضغط الخارجي ، ولذلك كان يطلب من عماله في تلك المنطقة موافاته بالتقارير عن أحوال الكبابيش وعلاقاتهم واتصالاتهم ، فقد كان يضع اعتبارا كبيرا لما يمكن ان يلعبوه في هذا الوقت وخاصة بعد ان وقع الجزء الشمالي من البلاد في ايدي الغزاة . فقد أخطره عوض السيد قريش عـامله على الكبابيش بان الانجليز قـد سلموا بعض الكبابيش كمية من السلاح دون مقابل لكي ينقلوا لهم الاخبار والمعلومات[1] مما يضر بسلامة البلاد .

والواقع ان الكبابيش لم يسكنوا نهائيا للخنوع بعد ما لحقهم من أذى وضربات من المهدية ولكنهم كانوا كثيرا ما يقومون باغارات على أجزاء من كردفان . فقد تجمعت اعداد مسلحة منهم في الصافية وعد المرفة واستعـانت ببعض السكان في أم درق وأبو حديد ، وأغـاروا على بعض الجهات التي كان مقررا دخلها لعائلة محمود احمد[2] .

وقد لاحظ عمر محمد قشي عامل دار حامد الضرر الذي سيلحق بمنطقته من جراء هذه الاغارات ولذا طلب من الختيم ان يسمح له بمحاربة سكان جبال أم درق وأبو حديـد حتى لا يتمكنوا من تقـديم أي مساعـدات للكبابيش[3] ، ويبدو أن هؤلاء الكبابيش لم يثيروا اضطرابات كمـا كان

---

(١) مهدية ٧/٢٧/٢ ص ٨٦ ، ٣ رجب ١٣١٤ (٢٨ نوفمبر ١٨٩٧) من عوض السيد قريش الى الخليفة .

(٢) كانت تكلف منطقة معينة لتزويد بيوت الامراء بالمؤن والغذاءات والاموال كما حدث لعثمان آدم ومحمود ود أحمد حتى بعد موتهم أو نزوحهم .

(٣) مهدية ٨/٢٨/٢ ص ٢٧٥ ، ٢٧ شعبان ١٣١٥ (٢١ يناير ١٨٩٨) مـن الختيم الى الخليفة .

متوقعا لانهم طلبوا التصالح مع أهالي كاجة وعقدوا اتفاقا معهم لفتح الطريق وتصفية المشاكل التي كانت بينهم[1] .

وحتى لا يتفاقم امر الكبابيش وتقوى صلاتهم (بالغزاة في دنقلا) ، أقام الخليفة مركزا في مشرع الصافية لمراقبة منطقة الكبابيش وكشف آي علاقة أو اتصال يتم بالاجانب في دنقلا ورفع تقارير منتظمة بذلك الشأن للخليفة[2] ، ولكن مجموعة من الكبابيش استطاعت احتلال مركز الصافية في ١٤ مايو ١٨٩٨[3] ، وزاد بعد ذلك تسرب نشاط الانجليز الى داخل كردفان ووجدوا من العربان من ينقل مكاتباتهم ويوزعونها،وحدث ان نقلت مثل هذه المكاتبات الى عين ولد ابتنكل وتليت على العربان ثم وزعت[4] .

وقد تأثرت مناطق عديدة بهذا التدخل بل ان مناطق أخرى وجدت الفرصة فتخلصت من المهدية ، فقد شجع ذلك مكوك جبل الحرازة[5] لخروجهم على الانصار ، كما ان عمر محمد قشي عامل دار حامد خرج على الختيم وتعاون مع الانجليز والكبابيش بعد ان كان يضرب حاجزا بين الختيم ومناطق الكبابيش ودنقلا ويحمي ظهره من تلك الناحية (... واما جهة دار حامد قد بلغنا أكيدا ان عمر محمد قشي قد خابر عربان الكبابيش واتحد معهم وقاصد ادخالهم في جهته ...)[6] .

---

(١) مهدية ١/١٥/٣ ص ٢٣ ، ١٨ رمضان ١٣١٥ (١٠ فبراير ١٨٩٨) من الختيم الى الخليفة .

(٢) مهدية ٢/٢٩/١ ص ٣٤١ ، ٢٣ شوال ١٣١٥ (١٧ مارس ١٨٩٨) من جلي المحسون الى الخليفة .

(٣) Intelligence reports, Egypt, Vol. I, No. 59, 13th Feb. , to 23rd. May, 1898, P. 9.

(٤) مهدية مختلفة ٢٩/٢ ملف ٦ ص ٧٨ ، ١٣ صفر ١٣١٦ ، (٣يوليو١٨٩٨) من الختيم الى الخليفة .

(٥) Intelligence reports, Egypt, Vol. I, No. 59, 13th - 23rd May 1898, P. 9.

(٦) مهدية ١/١٥/٣ ص ٣٤ ، ١٧ محرم ١٣١٦ (٧ يونيو ١٨٩٨) من الختيم موسى الى الخليفة .

كما انه قام بتوزيع منشورات في النهود وام بل وجبل الحلة وكاجة والحرازة[1] • وكاتب بعض الشخصيات في دارفور ، لاثارتهم وانفصالهم عن المهدية ، وقد دعمه الانجليز ببعض الاسلحة وأوعزوا اليه بضرب الابيض واستلام السلطة ، وفعلا جمع أعدادا من دار حامد وهاجم الابيض ولكنه فشل[2] ، ولو تحقق له ذلك لانتهت سلطة المهدية المتهالكة في كردفان ولمهد الطريق للانجليز بالتغلغل بقواتهم في كردفان •

وبالرغم من ان انتصار الختيم على عمر محمد قشي قد يؤمن الابيض وما جاورها الا ان الحالة غير مطمئنة وخاصة في منطقة الحرازة والصافية[3]، وهذا يوضح مدى تغلغل نفوذ الانجليز في كردفان وامتداده لدارفوروتحريك العناصر المضادة للمهدية ، وربما يهدينا هذا الى ان الانجليز سعوا الى تغيير الطريق التقليدي في غزو البلاد عن طريق النيل الى غرب السودان لتفادي الحشود العسكرية التي بدأ يقيمها الخليفة لمواجهة هذه التحركات ، كما يستفيدون من الوضع المتأزم في كردفان من ضعف هيبة الحكم وعدم مقدرته من فرض ارادته على القبائل وضعف الموارد الغذائية ، فضلا عن ان الختيم نفسه بدأ يشكو للخليفة من قلة السلاح وانعدام الجبخانة ، مع ان الحركات المناوئة تزداد فعاليتها وتتشعب آثارها[4] •

وتوضح تقارير المخابرات المصرية انه لم يبق في جانب المهدية الا حاميتين في بارة والابيض معزولتين عن بقية الاقليم ، وان الخليفة أصبح في حالة

---

(١) مهدية ٦/٢٩/٢ ، ص ٧٨ ، ١٣ صفر ١٣١٦ (٣ يوليو ١٨٩٨) من الختيم الى الخليفة .

(٢) مهدية ٦/٢٩/٢ ، ص ٧٩ ، ١٣ صفر ١٣١٦ (٣ يوليو ١٨٩٨) من الختيم الى الخليفة .

(٣) نفس المصدر .

(٤) مهدية ٦/٢٩/٢ ، ص ٧٦ ، ١٣ صفر ١٣١٦ (٣ يوليو ١٨٩٨) من الختيم الى الخليفة .

لا يستطيع معها بناء قوة في كردفان تحميه وتعيد الامن والاستقرار ، بينما تزداد فعالية المخابرات في كردفان للوقوف على تطورات الاحداث وفتح المنافذ(١) للانجليز حتى تأكدوا من ان قوة المهدية في كردفان أصبحت اسمية فزادوا من اطلاق الشائعات وأوردوا كثيرا من أخبار الهزائم التي لحقت بالخليفة في الشمال وأعلنوا ان الخليفة سيدعو الختيم موسى عند هزيمة محمود ، ويطلقون الشائعات حول الخليفة وبعض قبائل كردفان التي هاجرت للجهاد كالجوامعة وغيرهم ، حتى انعكس أثر ذلك في موقف القبائل التي تقيم بكردفان ، فزادت قبائل المسيرية والحمر من عصيانها وقويت شوكة المعارضين وسعت بعض المجموعات القبلية في التكتل خارج الابيض لاسقاط حاميتها ، وتذهب الشائعات الى ان الخليفة يتوقع تطور موقف هؤلاء المعارضين مما يجعله في حاجة ماسة الى مواصلات سريعة تربطه بكردفان ، ولذا فهو يبحث عن الجمال كوسيلة سريعة للمواصلات(٢) .

وقد أيد الختيم للخليفة تجمع هؤلاء العربان وتصاعد معارضتهم ، وانهم هاجموا بعض القرى المجاورة للابيض ، ولكنه تمكن من تفريقهم عنها وغنم لهم سلاحا وخيولا(٣) .

كذلك وصله من عيسى الزين ان بعض الجوامعة تعرضوا لمجموعة من الانصار ذهبت لاحضار الغلال لعائلات الانصار في بعض القرى فقتلوا ثمانية وأسروا ستة وعشرين ، ولكن الختيم تريث في اتخاذ أي اجراء لاعتقاده بأنها

---

(١) Intelligence reports, Egypt, Vol. I, No. 58, 1st, Jan. to 12th Feb. 1898, P.

(٢) Intelligence reports, Egypt, Vol. I, No. 56, 6 October to 12th Nov. 1897, P. 3.

(٣) مهدية ٣/١٥/١ ص ١٠ ، ٢١ ربيع أول ١٣١٥ (٢٠ أغسطس ١٨٩٧) من الختيم الى الخليفة .

حادثة خفيفة ، وانه سيتخذ الاجراءات الصارمة ضدهم اذا ثبت عصيانهم[١] .

ويوضح لنا هذا الموقف المتهالك مدى التدهور الذي أصاب حكومة المهدية في كردفان ، فهو موقف لم تعتده السلطة هناك ، لان واجبها حماية أنصارها ، مما يؤثر في روح الانصار المعنوية ويفتح المجال للمخابرات المصرية لتقوي صلاتها وتزيد من « شائعاتها » وأتاح لهم ذلك المجال فأعلنوا ان علي احمد الهاشمي المسؤول عن بيت المال في الابيض وافق على مساعدة الحكومة المصرية ، وأرادوا بذلك أن يقيموا شرخا في الحكومة داخل الابيض نفسها بعد ان زرعوا كثيرا من الخلافات والشائعات خارج الابيض ، وبعد ان فشلت محاولاتهم المختلفة في احتلالها .

ولكن مدينة الابيض ظلت وسط ذلك الخضم من الشائعات والتدهور المستمر تحمل لواء المقاومة والمحافظة على النظام بالرغم من انفضاض الاهالي من حولها وضعف حاميتها الداخلية وقلة امكانياتها المادية والعسكرية فضلا عن الضربات المتلاحقة التي تصلها من العربان مع ضعف مواردها الغذائية وارتفاع أثمان الغلال حتى أشاع الانجليز بأن سعر اردب الذرة في الابيض بلغ ١٥ دولارا[٢] ، الا ان المدينة الجائعة مافتئت تقاوم وتتطلع لامدادات البقعة لتحافظ على دولة المهدية .

ثم قام الختيم موسى بطواف على انحاء كردفان للتعرف على أحوالها فاتضحت له المأساة على حقيقتها ، تدهور في الامن وانعدام في وجود الذرة والغلال اللازمة لحياة الانسان فهجر الناس مناطقهم وساءت الاحوال الصحية وانحطت الحالة النفسية فضاقوا ذرعا بنظام المهدية ، ورأى انفضاض أعوانه من حوله وتمردهم عليه .

---

(١) مهدية ٣/١٥/١ ص ١٥ ، ٤ شعبان ١٣١٥ (٢٩ ديسمبر ١٨٩٧) من الختيم موسى الى الخليفة .

(٢) Intelligence reports, Egypt, Vol. I, No. 59, Appendix V 13th Feb. to 23rd Dec. 1898.

ولكن الختيم قبل ان يكمل طوافه على انحاء كردفان تفاقمت أزمة الغذاء في الابيض ، وبلغه من وكيله فيها حدوث الضائقة وتعرض المدينة الى اغارات متكررة من اهالي الجبال ليلا ونهارا[1] ، فاضطر الى العودة فورا الى الابيض لمراقبة الموقف والبحث عن حل لهذه المشاكل[2] ، فوجد ان الضائقة تفاقمت وان المدينة أصبحت خالية من السكان تقريبا ومن بقي منهم مصاب بالهزال وسوء الحالة الصحية[3] . وتبع ذلك ضعف في الجيش وقلة في معداته الحربية ، بعد ان كانت كافية لحماية الابيض .

وهذه نتيجة طبيعية للموقف المضطرب في البلاد عامة ، ولهجر الناس مناطقهم في كردفان ولرحيل اعداد هائلة من السكان مع جيش محمود مما ترتب عليه قلة في الايدي العاملة وخراب للمزارع فعمت الفوضى وكثر السلب والنهب .

ومن الاجراءات التي اتخذها الختيم موسى لحل ضائقة القوت ان استدعى الشامي هباني من منطقة الجوامعة للتشاور معه في الوسائل التي يمكن بها توفير الذرة للاهالي ، وقد التزم له الشامي بتوفير كميات منها في خلال شهرين لان الامطار قد هطلت ونمت البذور[4] . بينما أخذ الختيم يفكر فيما يفعل في هذين الشهرين ، فقد نفدت حيله وفشلت مجهوداته ووزع كل ما يملكه من أبقار ، ولكن الحالة زادت ضنكا ، فاقترح على الخليفة ان يهاجر بمن

---

(١) مهدية ٢/٤١/٢ ص ٢٠ ، ١٥ محرم ١٣١٦ (٥ يونيو ١٨٩٨) من الحاج أحمد أبو فلج الى الختيم .

(٢) مهدية ١/١٥/٣ ص ٣٤ ، ١٧ محرم ١٣١٦ (٧ يونيو ١٨٩٨) من الختيم موسى الى الخليفة .

(٣) مهدية ٢/٢٩/٥ ص ٢٠ ، ١٧ محرم ١٣١٦ (٧ يونيو ١٨٩٨) من الختيم الى الخليفة .

(٤) مهدية ٢/٢٩/٦ ص ٦٦ ، ١١ صفر ١٣١٦ (٣٠ يونيو ١٨٩٨) من الشامي هباني الى الخليفة .

معه من الانصار الى منطقة الجمع،وان ينزل بأم حجر لانها أرحب للانصار[1].

وخلاصة القول ان كردفان قد ضعفت واضمحلت وان المهدية كنظام سياسي قد شارف نهايته ، فقد فشل في حفظ الامن وفي توفير الغذاء ، بالرغم من ان الختيم كان يعتقد في بداية عهده ان الاحوال هادئة وانه بامكانه حفظ كيان المهدية سواء في دار كردفان او جبال النوبا حيث وجد تأييد بعض سكان الجبال من الضباب والكدرو والدلنج[2] .

ولكن ذلك أمر وقتي ، فسرعان ما عادوا الى عصيانهم كما عادت القبائل الاخرى ، حتى شعر الانجليز بعدم مقدرة المهدية من السيطرة على أهالي الجبال وانهم اذا تكتلوا في جانب واحد ضد الخليفة يمكن أن يشكلوا قوة رهيبة ضد حكمه[3] .

وقد أثرت رحلة محمود أحمد الى الشمال بوضوح في مقدرة كردفان من النواحي الاقتصادية والعسكرية فقد أخذ معه كل جيوشه ولم يترك الا فرقة الختيم موسى وما تأخر معها من الارباع الاخرى فسمحت هذه الحالة البائسة في كردفان للمعارضين بالعصيان والتمادي فيه لانه لم توجد القوة الكافية لردعهم ، كما سمح ذلك الموقف لجاسوسية الانجليز بالعمل وأوجد لها تربة خصبة لكسب ولاءات كثيرة من زعماء القبائل ومن قادة المهدية وعلى رأسهم عمر محمد قشي ، حتى اذا ما هزم الانجليز الخليفة واحتلوا البلاد كانت الفرصة ميسرة لهم لاكمال عملية الاحتلال في كردفان وهي في هذه الحالة لاتعدو ان تكون عملية شكلية لا تتعدى اكمال اجراءات عسكرية وتنظيمية .

---

(١) مهدية ٢/٢٩/٦ ص ٧٥ ، ١٣ صفر ١٣١٦ (٣ يوليو ١٨٩٨) من الختيم موسى الى الخليفة .

(٢)مهدية ١/١٥/٣ ص ٦ ، ٢٨ محرم ١٣١٦ (٢٩ يونيو ١٨٩٨) من الختيم موسى الى الخليفة .

(٣) Intelligence reports, Egypt, Vol. I, No. 61, from 1st. Jan. to 15th. Feb. 1899.

(ب) الخليفة ينحاز الى كردفان لمواصلة الجهاد ضد الاحتلال :

كانت معركة عطبرة[1] ايذانا للخليفة بأن هذا الجيش الزاحف لا محالة قادم اليه في أم درمان ، وأن عليه ان يعمل بحزم وقوة في سبيل مواجهة زحفه وهزيمته ، ورغم أن بعض أتباعه قد أرهبتهم مقدرة ذلك الجيش خصوصا الذين حضروا واقعة عطبرة مما جعلهم ينصحون الخليفة بأن يلجأ الى كردفان أو يحتمي في دار التعائشة ليدافع عنها ويحميها ، الا أن الخليفة في هذا الموقف كان أصيلا ووطنيا ، فرفض ذلك الرأي بل ألقى قائله الزاكي عثمان في السجن وأعلن تصميمه على الكفاح من أجل السودان ومن أجل السيادة الوطنيـة (.... فأنا أحارب حتى أنتصر أو يقتل جيشي كله فأجلس اذ ذاك على فروتي عند قبة المهدي وأسلم أمري الى الله ...)[2] .

ولم يكترث الخليفة بعد ذلك الى تهديدات السردار وانذاراته عندما أرسل اليه خطابا قبيل معركة أم درمان يخطره بأن قواته مصممة على انهاء حكمه الذي قضى على الرجال والنساء والاطفال ، وطلب منه التسليم حتى تحقن الدماء ولا يتعرض الناس الى كوارث أو يتحمل المسئولية كاملة[3] .

ومن ثم تقدمت الحملة الى أم درمان ، وكانت طلائع المهدية بقيادة عبد الباقي عبد الوكيل تراقب تحركات الحملة في وادي بشارة ، ثم تقهقر عبدالباقي

---

(١) كان الجيش الانجليزي ــ المصري بقيادة كتشنر قد تقدم وتكامل فـي كنور شمال عطبرة بقليل ، وسار محمود أحمد على رأس جيش الانصار في النيل حتى العالياب ، ولكنه غير اتجاهه لمحاصرة جيش العدو عن طريق النخيلة حيث تحصن فيها وبنى زرائبه ، وفي هذا الاثناء كان كتشنر قد وصل بجيشـه الـى رأس الهودي ، وفي ٨ أبريل ١٨٩٨ دارت معركة بين الفريقين عرفت بمعركـة عطبرة هزم فيهاالانصار وأسر محمود ود أحمد .

(٢) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٧٣ .

(٣) Sudan Intelligence reports, Appendix 6, 15th Rabia 1310, 30th August 1898. P. 32.

الى السبلوقة وظل يتقهقر كلما تقدمت الحملة الى أن وصل أم درمان ، ولذا مهد الطريق أمام الحملة للزحف نحو كرري دون أن تجد عائقا يعرقل سيرها ولو دخل معها في مناوشات أو مقاومة ، خاصة عند شلال السبلوقة لاصابها بخسائر غير طفيفة ، ولكن عبد الباقي بأتباعه من الانصار آثر اخلاء الشلال وانتظار العدو في سهول كرري[1] .

وفي كرري شمال أم درمان كانت المأساة التي تبعتها الهزيمة الساحقة لجيش المهدية العظيم ، وذبحت حرية السودان أمام التيار الاستعماري الجارف الذي أعمته المصالح المادية والتسابق للحصول على المستعمرات الى حصد البشر دون وازع حضاري أو انساني ، مما جعل صمود الخليفة واصراره على المقاومة موقفا وطنيا مشرفا ، ولذا لم يتردد في حشد كل جيوشه وعتاده الحربي في ميدان المعركة معتمدا على كثرة المحاربين من جنده في مواجهة التحديات الصعبة التي يمتلكها الانجليز ، فبلغ جيشه في الميدان ٥١٧٨٩ ، فيهم ٨٦ أميرا ، ٥٤٩٥ فارسا و ١٤٣٠٠ راجلا مسلحين بالبنادق المختلفه ، والباقون يحملون السيوف والحراب[2] .

وفي ٢ سبتمبر ١٨٩٨ دارت معركة كرري في استراتيجية غير متكافئة من حيث التكتيك العسكري والفكر الحربي ، وهنا برزت كفاءة الجندي السوداني وشجاعته الاصيلة في سبيل وطنه تضحية وفداء .

وعندما رأى الخليفة أن نيران العدو تحصد جيوشه حصدا ، تقهقر الى أم درمان ليدبر أمره ، وهناك دعا أتباعه الى اجتماع ، فاتضح له ضعفهم وقلة عددهم فقرر اللجوء الى كردفان حتى يتمكن من تجديد خطته وتصعيد مقاومته ، رافضا التسليم أو المهادنة ، فخرج من أم درمان ومعه نساءه ونساء المهدي وبضعة آلاف من الجهادية وغيرهم قبل دخول جيش الاحتلال أم درمان بساعة

---

(١) محمد فؤادي شكري ، **المصدر السابق** ، ص ٥١٦ .

(٢) نعوم شقير ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٧٧ .

واحدة [١] • وعندما علم كتشنر بهرب الخليفة الى الغرب قرر مطاردته والقبض عليه ، فأوفد حملتين خلفه واحدة عن طريق الصحراء والاخرى عن طريـق النيل[٢] ، دون أن تتمكنا من اللحاق به فاضطرتا الى العودة •

وكان الخليفة قد ترك النيل بعد عدة أميال جنوب أم درمان وسلك الطريق البري مارا بالشقيق وجبل كون حتى وصل أبي ركبة[٣] • وفي الطريق خاطب الختيم موسى عامله في الابيض ليلتقي به بمن معه من جنود الحامية لتعزيز قواته ووضع خطة للمقاومة ، فلحق به الختيم موسى في العجيلة[٤] • حيث تتوفر المياه ، وهناك أوفد الخليفة بعض أتباعه لجمع الغلال وغيرها مـن الامدادات والمؤن الغذائية ، كما أرسل الخليفة خطابا الى أحمد فضيل الذي كان فـي القضارف ، يوضح له أنه في أمان ، وأنه يستعد للهجوم على أعدائه ، ويشيد به ويطلب منه مزيدا من البذل والمقاومة • ويبدو من هذا الخطاب أن الخليفة يعول على أحمد فضيل كثيرا وخاصة وأن جيشه مازال فتيا ، اذ قدر بحوالـي ٣٠٠٠ جندي من حملة البنادق والحراب[٥] •

وفي هذا الاثناء كانت مخابرات العدو تبحث عن الخليفة حتى أدركت أنه يقيم في منطقة غربي أبي ركبة وأنه بدأ يحفر الآبار ويشيد الزرائب لحمايـة قواتـه[٦] •

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٢٨٤ •

(٢) Sudan Intelligence report, Vol. 3, No. 60, 25th May to 31st Dec. 1898, P. 7.

(٣) Ibid. P. 21.

(٤) Winston S. Churchil, **The Rivew war, London,** (1951), P. 347.

(٥) Sudan Intelligence report, Vol. 3, 25th May to 31st. Dec. 1898

(٦) Cairint, 1/66/341. 18.12.1898. From Macdonald Omdurman to Sirdar Cairo.

وكانت سلطات الاحتلال تعتقد أن قوات الخليفة لاتزيد عن ألف شخص ولا يملكون سلاحا أو ذخيرة ، ولكن اتضح لهم أن أتباع الخليفة تضاعفوا لدرجة أن تقديراتهم تربو عن عشرين ألف نسمة يتراوح عدد المحاربين منهم بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف مقاتل[1] • كما كانت معلوماتهم تشير الى انه متجه نحو أم روابة ، ولكنه في طريقه اصطدم مع الملك كمبو شيخ جبل الداير وبعض جهاديته ، وأنه تمكن من هزيمة الخليفة وقتل بعض أتباعه قرب شركيلة فالتجأ الى جبل ضلمان قرب الابيض[2] •

وليس من المستبعد حدوث مثل هذه الاصطدامات وخاصة في جبل الداير، فضلا عن أن الانجليز يعملون لاظهار الخليفة بمظهر القاتل الشرس الذي قتل المسلمين الابرياء وحرم الاهالي من القوت والغذاء • وقد أصدر السردار منشورا الى بعض مشائخ وزعماء كردفان يمنحهم فيه (أمان الله ورسوله وأمان الخديوي وأمانه الشخصي) ويسمح لهم بالتنقل والعمل لكسب القوت ، ويذكرهم بالانتصارات العديدة لقواته في دنقلا وبربر والقضارف والخرطوم ، والتي أنهت عهد البطش والجبروت ، وفي ظل العهد الجديد سيجدون الرخاء والنعيم والحماية ، ويمكنهم أن يعملوا في التجارة وفي الزراعة ، وبعد أن تفرغ الحكومة من جهات النيل ومناطق الشرق ستتجه الى الغرب لتنظيمه وادارته ، وتحسين أحوال سكانه[3] ، ثم يطلب من تلك القبائل مساعدته في القبض على الخليفة الذي مازال يحلم بالنصر معتمدا على (حضراته ونبوءاته)•

ولعل السردار بهذا المنشور كان يرمي الى استعداء قبائل الغرب ضد الخليفة حتى لا تقدم له الحماية والمساعدات التي يطلبها ، وفيه أيضا تهديد

---

(١) Churchil, op. cit, P. 352.

(٢) Cairint, 1/66/341. 24.11.1898. From Max - Wel to Wingate,

(٣) Sudan Intelligence report, Vol. 3, No. 60, Appendix 97, 25th May to 31st. Dec. 1898. P. 141.

لهذه القبائل بأن الحكم الجديد سيسود في منطقة الغرب فعليهم الطاعة والرضوخ حتى ينالوا عطف النظام الجديد .

ولم يلق الخليفة بالا لكل ذلك ، فقد علمت مصادر الاحتلال انه ينوي الذهاب الى قدير للاحتماء وتدعيم قوته ، ولكن هذه المصادر اعتقدت بأن أتباعه سيضغطون عليه لكي يتقهقر غربا أكثر[1] ، وقد يكون هذا الزعم حقيقة لان أغلب الذين بقوا مع الخليفة من التعايشة الذين يرغبون في الذهاب الى اوطانهم في شكا وغيرها لاتخاذها ملاذا والدفاع عنها ، ولكن لن تساعدهم الظروف خاصة بعد اعتلاء علي دينار عرش الفور ، فقد استطاع أن يستولي على السلطة هناك بعد هروبه من أم درمان عقب معركة كرري مباشرة[2] ، فأصبح بذلك عائقا لتقدم الخليفة سواء لدارفور أو لاقصى الغرب .

وفي هذا الاثناء عملت حكومة الاحتلال على قطع خط الرجعة للخليفة فأقامت حاميات في الكوة والدويم لتقف حائلا بين الخليفة في كردفان وبين محاولته الحضور الى الجزيرة[3] ، كما أوفدت حملة بقيادة الكولونيل كتشنر في ٢٩ ديسمبر ١٨٩٨ لملاحقة الخليفة ، فوصلت الدويم في ٤ يناير ١٨٩٩ ، وكانت تقديراتها لقوات الخليفة حينذاك انهم ما بين ٢٥٠٠ ــ ٣٠٠٠ جندي يحملون ما بين ١٥٠٠ ــ ١٨٠٠ بندقية ، وان الخليفة يقيم في أبي شريعة ، ثم علموا انه عاد الى العجيلة ، ومن ثم واصلت الحملة سيرها الى الفاششوية ، ولكن اتضح لهم ان الخليفة ترك العجيلة في ٧ يناير ١٨٩٩ الى شركيلة ، فاضطر كتشنر الى العودة ، خصوصا عندما علم بازدياد قوات الخليفة ، وصعوبة الاراضي التي سيرتادها والعناء الذي سيواجه حملته ، وخوفا من

---

(١) Cairint, 1/66/341. 8.10.1898.

(٢) Sudan Intelligence report, Vol. 3, No. 61, 1st. Jan. to 18th. Feb. 1898. P. 1.

(٣) مكي شبيكة ، **السودان عبر القرون** ، بيروت (١٩٦٧) ص ٣٧٤ .

أن يكون لها مصير حملة هيكس(١) رجعت الحملـة الى الخرطوم فـي أول نوفمبر ١٨٩٩(٣) .

ثم سعت الحكومة بعد ذلك الى كسب ولاء سكان المناطق الواقعة بين الدويم وبارة لاقامة حاجز بشري يعوق رجوع الخليفة الى شمال السودان(٣)، فلا يكفي فقط اقامة حاميات عسكرية في الدويم والكوة بينما لا يقدم الاهالي المساعدات اللازمة ، وهذا يحتم ايضا اتصالات مع عرب الحوازمة وسكان الجبال حتى يمكن محاصرة الخليفة وتضييق الحلقة عليه وقبضه .

ثم علمت الحكومة ان الخليفة ذاهب الى دار الاحامدة ليبحث عن الغلال وان الحوازمة والضباب أغاروا على قواته في شركيلة التي وصلهـا في أول مارس ١٨٩٩ ، ويبدو من تلك الاخبار ان الخليفة يكرس جزءا من وقتـه في الحصول على الغلال اللازمة ، ولذلك أراد أن يحسن علاقاته مع مكوك تقلي والداير ليحصل على ما يريده من الحبوب ، ولكن أسلوبه السلمي في هذا الصدد فشل فاضطر لاستخدام القوة ، ومن ثم هاجم تقلي ليحصل على الذرة . ولذا رأت حكومة الاحتلال ان تعزز قوات مؤيديها من العربان ، فأمدت أتباعها في بارة وكجمر بالسلاح ليقاوموا الخليفة بفعالية . وبالرغم من علم حكومة الاحتلال بأن بعض العربان في جنوب الابيض يميلون الى تأييدها والانضمام اليها الا انها تشك في انهم سيحاربون الخليفة ويهاجمون المناطق التي يتكتل فيها أنصاره(٤) .

والواقع ان الخليفة لم يكن مستقرا في منطقة معينة داخل كردفان بسبب

---

(١) نفس المصدر .

(٢) Churchil, op. cit, P. 354.

(٣) Cairint, 1/66/341, 1st. Feb. 1899, operation against Khalifa.

(٤) Sudan Intelligence reports, Vol. 3. No. 62, 16th Feb. to 30th April 1989, P. 2.

المعوقات التي يجدها من العربان الموالين للحكومة الجديدة أو مــن سكان الجبال ، فضلا عن حاجته الماسة الى السند البشري والدعم المادي من الجمال والسلاح وضرورة الحصول على الحبوب ، ولذلك فهــو يتنقل من مكان الى آخر ، ومن ثم تضاربت أقوال المخابرات حوله ، فأحيانا هو في مكان ضيق بمنطقة تقلي وان أتباعه في شركيلة يهاجمون باره التي يقيم بها فضل المولى شيخ الكبابيش فيتمكن من صدهم[1] ، وانه تحرك مع حوالي ٣ آلاف رجل من البقارة والتعائشة والهبانية وغيرهم ــ يحملون ١٢٥٠ بندقية من شركيلة الى بلولة وقد واجهته صعوبات في تقلي من مك جبل تقلي • ولكنه واصل سيره حتى وصل جبل الجرادة شمال قدير في نهاية شهر أغسطس وقــاوم اعتراض بعض العربان المحليين ثم تمكن من الاتفاق مع الملك بوش مك جبل قدير لامداده ببعض المؤن والحبوب ، وهناك أغار الانصار على بعض الجبال المجاورة بغرض الحصول على مزيد من الغلال[2] •

وتشير المخابرات الى ان قوات الخليفة تقلصت الى ١٥٠٠ رجل يحملون ٦٠٠ بندقية[3] • وقد يدل ذلك على أن أتباعه اما قتلوا في المعارك والاشتباكات التي واجهته أو انهم يئسوا من نجاحه مرة أخرى فانفضوا من حوله ، فضلا عن ان الخليفة نفسه كان شديدا في مسألة الضبط والربط ، مما جعل حكومة الاحتلال تشيع بوجود خلاف بين الخليفة وقادته ، فقد أشاعوا انه سجن الختيم موسى ، ولكن ربما كان هذا مجرد خلاف في وجهات النظر بينهما لان الختيم وقف بجانب الخليفة وقاتل معه حتى نهايته في جديد •

وفي خلال ذلك كان المسؤلون في الحكومة الجديدة يتحركون مــا بين

---

(١) Cairint, 1.66.341. 20.6. 1899.

(٢) Sudan Intelligence reports, Vol. 3. No. 63, 1st. May to 15th July 1899, P. 2.

(٣) Ibid.

الدويم وكردفان لتوقعات كثيرة كانت تصلهم حول موقف الخليفة وخاصة بعد قدوم أحمد فضيل من القلابات وتعزيزه لقوات الخليفة ، وللاشاعات المتضاربة حول ما ينوي الخليفة اتخاذه لدرجة انهم أعلنوا ان الخليفة أشاع بين أتباعه بأنه اذا ضاقت به كردفان وهزمت جيوشه سيذهب باتباعه من الانصار والجهادية ويؤسس مملكة جديدة في منطقة الكلكة(1) .

ومن ثم قامت طلائع من قوات الاحتلال بقيادة الكولونيل ماهون والكولونيل متفورد Mitford الى كردفان حتى وصلت الى كاكا ، وفحصت الطريق المؤدي الى قدير وأخطرت المسؤولين بصلاحيته حتى جبل الجرادة ما عدا ندرة المياه والتي قد تكون من عوائق الطريق ، فأعد المسؤولون في حكومة الاحتلال حملة للقضاء على الخليفة قوامها ٨ آلاف مقاتل ذهبت عن طريق كاكا ، وعندما وصلت طلائع هذه الحملة الى جبل فنقر علمت ان الانصار تركوا قدير في ١٦ أو ١٧ اكتوبر ١٨٩٩ الى منطقة شمال جبل الجرادة ، ومروا عن طريق أم زقا Umzuga وأم طلحة الى دار الاحامدة التي وصلها الخليفة في ٦ نوفمبر ١٨٩٩ ، حيث تقيم بالقرب منهم قوات احمد فضيل في منطقة قوز جمعة(2) .

وكان الخليفة قد طلب من احمد فضيل ان يبقى في العلوب والا يتحرش بقوات الاحتلال حتى وصوله اليه . ولكن أحمد فضيل أخطر الخليفة بأنه مضطر الى الابتعاد عن مكان المياه ولذا ينبغي حضور الخليفة فورا(3) . بينما كانت قوات الاحتلال ترجح ان الخليفة متجه الى جديد وانه ينوي الزحف بعد ذلك الى أم درمان عن طريق شات والدويم .

---

(1) Cairint, 1/39/231.

(2) Sudan Intelligence reports, Vol. 3. No. 65, 1st Sept. to 20th Nov. 1899, P. 2.

(3) Cairint, 1/66/339. 20.11.1899.

(جـ) مقتل الخليفة واحتلال كردفان

بعد أن تأكد لحكومة الاحتلال ان الخليفة يعمل للتوجه نحو أم درمان، أعدت حملة بقيادة الجنرال ريجنالد ونجت قوامها ٣٧٠٠ جندي ، للتوجه نحو منهل جديد لتتعقب قوات أحمد فضيل وقوات الخليفة .

فخرجت هذه الحملة من الفاششوية في ٢١ نوفمبر ١٨٩٩ لملاقاة أحمد فضيل في نفيسة حيث يقيم في انتظار قوات الخليفة . ولكن الحملة عندما وصلت الى منهل نفيسة وجدته خاليا من الانصار ، وعلمت من أنصاري عجوز تخلف عن قوات أحمد فضيل انه بارح أبي عادل لملاقاة الخليفة في جديد .

ومن ثم تحركت الحملة خلف الانصار فحدث اشتباك بين الفريقين اضطر على أثره أحمد فضيل الى التقهقر نحو منهل جديد ، وغنم ونجت في هذا القتال كميات من الذرة والسلاح ومجموعة من الاسرى والقطيع ، وقتل من جنود المهدية ما يربو عن ٤٠٠ جندي وجرح كثير منهم بينما لم تخسر الحملة الا قتيلا واحدا وأربعة جرحى . ثم اتجهت أنظار ونجت بعد ذلك الى مكان الخليفة،فواصلت الحملة سيرها نحو منهل جديد في مساء ٢٣ فبراير١٨٩٩[١] وقد علمت الحملة حينذاك ان الخليفة يقيم في منهل أم دبيكرات قريبا من جديد[٢] . والواقع فان احتلال الحملة لمنهل جديد وضع الخليفة في موضع استراتيجي حرج ، فقد كان طريقه الى الشمال مقفولا لوجود الحملة ، وتعرقه من ناحية الجنوب الغابات الوعرة وعدم توفر المياه ، بالاضافة الى انه كان في حاجة شديدة الى الزاد الضروري من الحبوب التي استولت عليها الحملة من أحمد فضيل ، فلم يجد الخليفة حينئذ مندوحة من القتال . وفي ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ حدثت المعركة الفاصلة بين المهدية وحكم الاحتلال ، وهاجمت الحملة

---

(١) Cairint, 1/66/340. 25th Nov. 1899, from Wingate to Kitchener.

(٢) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص ١٣٠٨ .

معسكر الخليفة فقاوموا جهادية الختيم موسى حتى أسر فسلموا كما سلم بقية الانصار وأسر آلاف من النساء والاطفال داخل المعسكر •

أما الخليفة عندما تأكد له مصيره ولم يجد الفرصة للتقهقر وفشل في المقاومة ، أمر بقية أتباعه وأمرائه بأن ينزلوا من خيولهم ويجلسوا حوله بعد أن افترش فروته وجلس عليها ينتظر حتفه في شهامة ونبل كعادة الفرسان في السودان في مثل هذه المواقف مفضلا الموت على التسليم •

وكان مقتله في ذلك المكان مشهدا دراميا حزينا لكنه عكس اصالة في القيادة وشهامة في القتال أدهشت أعداءه وأعجبتهم ، ومات معه في هذا الحادث عدد كبير من قادته من بينهم علي ود حلو وأحمد فضيل وكان من بين الذين أسروا عثمان شيخ الدين ويونس الدكيم والختيم موسى وفضل الحسنة ، وأكثر من ٣٠٠٠ رجل و ٦٠٠٠ امرأة وطفل الى جانب كميات من الأسلحة والسيوف والحراب والمواشي وغير ذلك[1] •

ومن ثم أسدل الستار على فترة الحكم الوطني والتي سادت البلاد زهاء سبعة عشر عاما صمد فيها الخليفة أمام المناورات الاستعمارية والتفتت القبلي والنعرات المحلية ،وناضل في سبيل حرية الارادة الوطنية ضد التغلغل الاستعماري الشرس لاكثر من عام داخل كردفان ، ظل مطاردا فيها وهو يؤمل الحصول على القوة التي تمكنه من دحر قوات الاحتلال وطردها خارج البلاد • ونال بذلك شرف النضال المستميت في سبيل عزة البلاد واستقلالها •

ثم قامت حكومة الاحتلال بعد ذلك باكمال اجراءات الاحتلال في كردفان فأوفدت الكولونيل ماهون على رأس دورية من الهجانة لاحتلال الابيض ، فاستطاعت هذه الدورية تنفيذ مهمتها واحتلال المدينة في ١٧ ديسمبر ١٨٩٩،

---

(١) Cairint, 1/66/340, Faslishoya, 25th Nov. 1899, from Wingate to Kitchiner.

وكانت الابيض حينذاك في حالة خربة ، وفي بؤس شديد خالية من السكان تقريبا الا النفر القليل .

ويعتبر احتلال الابيض انهاء لكل عمليات المقاومة العسكرية داخل كردفان، فقد أصبح الطريق بعد ذلك ممهدا لقوات الاحتلال أن تجوب انحاء كردفان دون عائق ، وان تنفذ خطتها السياسية في فرض سيطرتها على البلاد ،فدعت أهالي كردفان للعودة لاوطانهم والاستقرار بها وممارسة أعمالهم في الزراعة وغيرها . وطمأنتهم الحكومة الجديدة بانها ستفتح الطرق والآبار في أماكن مختلفة لتوفير المياه . ومن ثم وجدت الحكومة تأييد بعض مشائخ وزعماء كردفان ، ومن هؤلاء مشائخ الحمر ابراهيم المليح وعبد الرحيم ابو دقل اللذين كانا ذوي ولاء شديد للمهدية[1] .

وأعلنت الحكومة أيضا اهتمامها باعادة بناء المدن وتعميرها وبالذات مدينة الابيض لاهميتها القديمة كمركز تجاري هام في غرب السودان ، كما عملت على اقامة محطات عسكرية في جهات متعددة من كردفان وخاصة في الاطراف لتأكيد فرض السيادة الجديدة كالاضية وبارة . وقد أورد الكابتن أوكونيل O'Connell عند طوافه في جهات الاضية والنهود وتقلي وغيرها ، ان الهدوء يسود المنطقة وليس هناك الا حوادث اغارات طفيفة بين مك تقلي ومك تكم[2] لا تؤثر على الامن العام . ثم اقترح بان يسمح للنوبا بحمل أسلحتهم لتعودهم على ذلك ولاهميتها في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية .

ثم أعلنت الحكومة منع الاجانب من السفر الى مناطق كردفان ما عدا الموظفين الرسميين منهم[3] ، وهذا اجراء احتياطي لاحساسها بأن نعرات

---

(١) Sudan Intelligence reports, Vol. 3, No. 65, 1st. Sept. to 20th Nov. 1899, P. 2.

(٢) Sudan Intelligence reports, Vol. 3, No. 68, 9th. March to 9th. April. 1900, P. 2.

(٣) Sudan Intelligence reports, Vol. 3, No. 67, 1st. Jan. to 8th. March, 1900, P. 3.

المهدية وتعاليمها مازالت شائعة في تلك البقاع •

والواقع ان كردفان بعد مقتل الخليفة في جديد لم يكن في استطاعتها أن تقاوم أو تبدي أي اعتراض ، فوجد الحكام الجدد الجو مهيئا لهم لفرض سيادتهم وتوطيد نفوذهم دون أي مجهود يذكر •

الخاتمة

لقد ساد الاعتقاد بأن سكان الغرب هم سدنة الثورة المهدية وحماتها ، وتعمق هذا المفهوم عندما عمد الخليفة عبد الله الى الارتكاز على قبائل الغرب وخاصة البقارة الذين ينتمي اليهم نسبا فولاهم المناصب القيادية وتكون عصب جيشه منهم قيادة وقاعدة ، واعتبر كردفان موئل أنصاره ومؤيديه •

ومن ثم صارت كردفان تشكل عنده أهمية قصوى بالرغم من انها كانت من العمالات الداخلية وليس لها منفذ الى الخارج الا عن طريق منطقة الكبابيش الى مصر ، ولذا فقد اهتم الخليفة كثيرا بها • دون سائر العمالات الاخرى ، للاشراف عليها وضمان ولائها ، وعندما صارت عمالة بذاتها اسندها الى أقرب الرجال اليه من الشبان الذين يمتلئون حماسا للمهدية وولاء للخليفة•

كما كان الخليفة يعتبر كردفان تأمينا لظهره وملاذا يلجأ اليه عندما تشتد حوله الخطوب ، وقد تحقق له ذلك عقب هزيمته في معركة كرري ٢ سبتمبر ١٨٩٨ ، اذ تقهقر الى كردفان لينظم نفسه ويبني قواته لمقاومة الاحتلال وهزيمته •

ولكن واقع الامر يشير الى ان كردفان كانت على امتداد عهد الخليفة مصدر قلق له ونشب بينه وبين قبائلها صراع عنيف شمل حتى قبائل البقارة الذين يرتكز اليهم ، وكان أبرزه ما حدث بينه وبين الكبابيش بقيادة زعيمهم

صالح فضل الله ، وذلك بسبب رفض هذه القبائل سياسة الخليفة الرامية الى تهجيرهم الى الشمال •

والواقع ان تهجير هذه القبائل الى أم درمان لم يكن الغرض منه دعم نظام الخليفة وتوطيد نفوذه في المناطق الاخرى أو تحقيق سياسة المهدية الرامية الى نشرها خارج البلاد وحسب وانما كان ايضا من دوافعها احساس الخليفة بخطورة هؤلاء على حكمه وضرورة مراقبتهم وابعادهم عن مناطقهم لارغامهم على الخضوع والولاء • ومهما كانت أسباب رفض هذه القبائل للهجرة الا انه يوضح خروج تلك القبائل عن أمر السلطة ، كما توضح الحروبات الكثيرة التي خاضها الخليفة في كردفان وجبال النوبا سواء الى اخضاع المجموعات المختلفة لسلطته أو لتهجير قبائل كردفان لام درمان — توضح ان الخليفة كان يواجه مشاكل مستمرة في تلك المنطقة وانها ليست بأي حال من الاحوال منطقة يطمئن الحاكم لسكانها أو يعتمد عليهم كلية كما كان معتقدا •

المصادر

وثائق المهديـة :

وهي مجموعة المهدية الموجودة بدار الوثائق المركزية بالخرطوم

أ ـــ القسم الاول :

١/١	خطابات عبد الرحمن النجومي الى الخليفة
١/٧	خطابات عبد الباقي عبد الوكيل الى الخليفة
١/١١	خطابات الخليفة الى عثمان آدم
١/١٢	خطابات عثمان آدم الى الخليفـة
١/١٣	خطابات الخليفة الى محمود ود أحمد
١/١٤	خطابات محمود ود أحمد الى الخليفة
١/١٥	خطابات محمود ود أحمد الى الخليفة
١/٢٥	خطابات الخليفة الى حمدان أبي عنجة
١/٢٨	خطابات حمدان أبي عنجة الى الخليفة
١/٢٩	خطابات النور عنقرة الى الخليفة

ب ـــ القسم الثاني :

رسائل الى أشخاص مختلفين :

٢/١٣	رسائل مختلفة
٢/١٤	مختلفـة
٢/١٦	مختلفـة
٢/١٧	مختلفـة
٢/١٨	مختلفـة
٢/١٩	مختلفـة
٢/٢١	مختلفـة
٢/٢٢	مختلفـة

٢٣/٢	مختلفة
٢٤/٢	مختلفة
٢٧/٢	مختلفة
٢٨/٢	مختلفة
٢٩/٢	مختلفة
٣٠/٢	مختلفة
٣٧/٢	مختلفة
٣٨/٢	مختلفة
٤٠/٢	مختلفة
٤١/٢	مختلفة
٤٢/٢	مختلفة

ج ـــ القسم الثالث : دفاتر الصادر

دفتر صادر	١
دفتر صادر	٢
دفتر صادر	٣
دفتر صادر	٦
دفتر صادر	٧
دفتر صادر	٨
دفتر صادر	٩
دفتر صادر	١٠

د ـــ ١/٨ رسائل من المهدي الى حمدان أبي عنجة

هـ ـــ ٩/٨ يوسف ميخائيل ، **غردون والسودان** ، نسخة مصورة

ز ـــ

Cairint,
1/10/51/22
1/10/51/23
1/39/231
1/66/330
1/66/340
1/66/341

Intelligence Reports, Published by Sudan Central Archives, 3 Vols, (1969?)

ف — منشورات الامـام المهـدي ، الاحكام والآداب ، ج ٣ ، تصويـر ادارة المحفوظات المركزية ، الطبعة الاولى ، (يوليو ١٩٦٤) .

محفوظات دار الوثائق القومية بالقاهرة (القلعة)

١ — محفظة ٢٤ معية تركي

٢ — محفظة ٣٨ معية تركي

٣ — محفظة ١٠٢ خديوية

٤ — محفظة ١/١٤٧ دفتر ١٠ معية تركي

٥ — محفظة ٥٥٨ معية تركي

٦ — محفظة ٧٦٦ خديوي تركي

دار الكتب المصرية :

جريدة القاهرة ، السنة الاولى ، العدد ١٧٥ ، ٩ شوال ١٣٠٣ ، (١١ يوليو ١٨٨٦) .

المراجع باللغة العربية :

١ — ابراهيم فوزي ، **السودان بين يدي غردون وكتشنر** ، جزآن ، القاهرة (١٣١٩ هـ)

٢ — اسماعيل بن عبد القادر الكردفاني ، **سعادة المستهدي بسيرة الامـام المهدي** ، تحقيـق محمد ابراهيم ابـو سليم ، الطبعة الاولـى — (بيروت ١٩٧٢)

٣ — الشـاطر بصيلي عبد الجليل ، **معالم تاريخ سودان وادي النيل** ، (من القرن العاشر الى القرن التاسع عشر الميلادي) ، الطبعة الاولـى — القاهرة (١٩٥٥)

٤ — عبد الله علي ابراهيم ، **الصراع بين المهدي والعلماء** ، مطبعة التمدن — الخرطوم (١٩٦٦)

٥ ـــ عبد الله محمد أحمد ، **جهاد في سبيل الله** ، المطبعة الحكومية بالخرطوم (١٩٦٥)

٦ ـــ عبد الرحمن زكي ، **يوميات عباس بك** ، معاون حكمدار عموم السودان

٧ ـــ عبد الغفار محمد أحمد ، « تمساح أم بده » ، **مجلة الخرطوم** ، العدد الاول ، السنة الرابعة ، اكتوبر (١٩٦٨) ص ١٦٣ ــ ١٩٢

٨ ـــ عبد الفتاح القباني ، « القبائل المستوطنة بجبال النوبا » **المجلس** ، مجلة الحكومة المحلية ، العدد ٩٤ ، يوليو (١٩٥٩)

٩ ـــ عبد المجيد عابدين ، **تاريخ الثقافة العربية في السودان** ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثانية (١٩٦٧)

١٠ ـــ عثمان حمد الله ، **كتاب التعارف والعشيرة** في رفاعه والحصاحيصا وبحري الجزيرة ، بيروت .

١١ ـــ محمد ابراهيم أبو سليم ، **مخطوط النجومي** جـ ١ رسالة دكتوراه ، جامعة الخرطوم (١٩٦٦) .

١٢ ـــ **منشورات المهدية** ، (تحقيق ١٩٦٩) .

١٣ ـــ **المرشد الى وثائق المهدي** ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم (مارس١٩٦٩)

١٤ ـــ **الحركة الفكرية المهدية** ، قسم التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم ، الطبعة الاولى (١٩٧٠) .

١٥ ـــ محمد بن عمر التونسي ، **تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان** ، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد القاهرة (١٩٦٥) .

١٦ ـــ محمد سيد محمد ، **السودان في عهد الخليفة التعائشي** ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة (١٩٦٣) .

١٧ ـــ محمد عبد الرحيم ، **محاضرة عن العروبة في السودان** ، المطبعة التجارية الجديدة بالخرطوم ، الطبعة الاولى (١٩٣٥) .

١٨ ـــ محمد عوض محمد ، **السودان الشمالي ، سكانه وقبائله** ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، القاهرة (١٩٥٦) .

الشعوب والسلالات الافريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (١٩٦٥) .

١٩ ــــ محمد فؤاد شكري ، **مصر والسودان** (تاريــخ وحدة وادي النيــل السياسية في القرن التاسع عشر) دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية (١٩٥٨) .

٢٠ ــــ محمد محجوب مالك ، « النظام البيروقراطي في دولة المهدية » ، **مجلة الخرطوم** ، العدد الثالث (ديسمبر ١٩٦٦) ص ٤٤ ــ ٤٨

٢١ ــــ محمود عبد الله ابراهيم ، **حملة الامير محمود ود أحمد الى الشمال** ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم (١٩٦٩) .

٢٢ ــــ مكي شبيكة ، **السودان في قرن** ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية (١٩٥٧) .

٢٣ ــــ **السودان عبر القرون** ، دار الثقافة ، بيروت (١٩٦٧) .

٢٤ ــــ موسى المبارك الحسن ، **تاريخ دارفور السياسي** ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم (١٩٦٤) .

٢٥ ــــ نعوم شقير ، **جغرافية وتاريخ السودان** ، بيروت (١٩٦٧) .

المراجع باللغة الانكليزية :

1. Anglo - Egyptian Sudan Handbook Series, Vol. II, **Kordofan and the Region to the West** (1912).
2. Borbour, K. M. , **The Republic of the Sudan**, London (1964)
3. Churchill, W. S. , **The River War,** An Account of the reconquest of the Sudan, London, (1951).
4. Elles, R. J. , « The Kingdom of Tagalli » , **S. N. R,** Vol. XVIII, Part I, (1935), pp. 1 - 35.
5. Gleichen, **The Anglo - Egyptian Sudan,** Vol. I, London, (1905).
6. Henderson, K. D. D. , **Sudan Govt. Memorenda No. 2.** A note on the History of the Hamar tribes of Western Kordofan (1935).
7. Hill, R. , **A Biographical Dictionary of the Sudan,** London, (1967).

8. Holt, P. M. **The Mahdist state in the Sudan,** Oxford (1958)

The Archives of the Mahdia from S. N. R. Vol. XXXVI (1955) by James Townsend & Sons, Ltd. , Excter, England.

9. Lewis, I. M. , **Islam in tropical Africa,** Oxford (1966).

10. MacMichael, H. A. , **A History of the Arabs in the Sudan,** London (1967).

11. **The Tribes of Northern and Central Kordofan** London, (1967).

12. Ohrwalder, J. **Ten Years Captivity in the Mahdist Comp,** (translated by Wingate) London (1892).

13. Pallme, I. , **Travels in Kordofan,** London (1944).

14. Prout, H. G. , **General Report on the Province of Kordofan,** Cairo, (1877).

15. Reid, J. A. , « Story of a Mahdist Amir », **S. N. R.** Vol. IX, Part II, (1926) P. 79 - 82.

16. Slatin, R. , **Fire and Sword in the Sudan,** (Translated by Wingate), London (1896).

17. Stevenson, R. C. , **The Nuba People of the Kordofan Province,** An Ethnographic survey, M. Sc. Thesis, (1965).

18. Talal Asad, **The Kababish Arabs,** Power autority and consents in a nomadic tribes, (London, 1970).

19. Theobald, A. B. , **The Mahdiya,** London, (1957).

20. Tothill, J. D. **Agriculture in the Sudan,** by numerous authors, Oxford, (1952).

21. Umar al -Nagar, **West Africa and Muslim Pilgrimage,** Ph. D. Thesis, London, (1969).

22. Wingate, F. R. , **Mahdism and Egyptian Sudan,** London, (1965).

23. Yusuf Fadl Hasan, **The Arabs and the Sudan,** Edinburgh, (1967.)


مسطورات
MUSTORAT

الملاحق

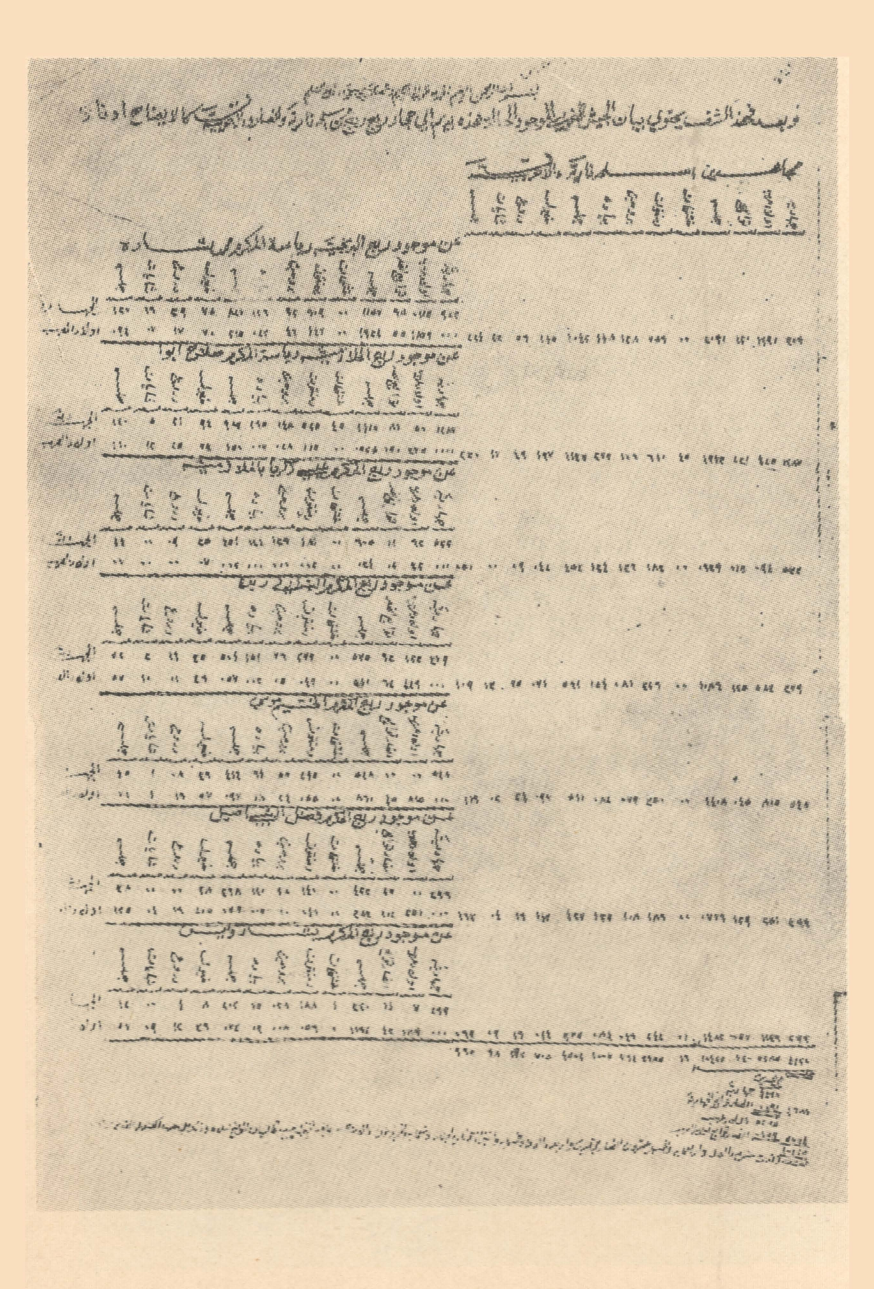
١ ـــ نماذج لوثائق المهديـــة

٢ ـــ خـــرط

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الولي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد مع التسليم

وبعد فمن عبد ربه الفقير [illegible] الخشيم موسى [illegible] سيدنا ومرشدنا الى الحبيب في الله تعالى سيدي يعقوب بن محمد نفعنا

الله ببركاته واعلم بعد اهداء مزيد السلام واقبل الايادي الكريمة والاكرام [illegible] تعلم انه كان رفع منا

ما انشاه عبد من عمر محمد فتش الحاوي عند طلبه بجهة بارا وتوجهه [illegible] ولنا وارسلناه لجهة [illegible] فيه

[illegible] لفهم المراد منهم والحال سيدي كما تقتضيه ذلك ارسلنا له [illegible] لثبوته ومعرفة حاله

فامتنع من مقابلة ناظر المذكور [illegible] فقتله وهرب منهم [illegible] لنا بارا [illegible] لبقعة الابيض

فبعد وصولنا [illegible] من جهة [illegible] فيه ومعهم نفر من [illegible]

كانوا ماسورين [illegible] سيدي الكريم محمود احمد [illegible] العواله وعبد الله

ولد الخليفة [illegible] راس الفساد [illegible] من الترك عن [illegible] اهالي كردفان

بالقيام ومحاصرة بقعة الابيض وقطع الخارج لبقعة المهدية عليه السلام [illegible]

العواله وغاروا على جبال [illegible] الموجودات [illegible] الانصار [illegible] من العواله [illegible]

واستلم الجبال [illegible] الانصار [illegible] الحرازة لا [illegible]

والجنود كل [illegible] على القيام والجنود المحاصرة لبقعة الابيض [illegible] اعداء الدين

وقد وافقته جميع دار حامد ومحمد ابو بكر الجلابي و[illegible] الانصار [illegible] ونشوشة جهة بارا

وكافة الناسات الموجوده معنا ولما تحقق لنا ذلك عينا لهم [illegible] النشيط من الانصار

فوجدهم مجتمعين [illegible] وبادروا الانصار بالحرب [illegible] الانصار وقتلوا كافة [illegible]

وعمر فر هارب فبعد يومين جمع له جمع كثير واراد الهجوم على الانصار فتوجهت له الانصار في محل [illegible]

ولله الحمد قد مكنهم الله منهم وقتلوهم ثانيا ولم ينج منهم الا القليل وعمر فر هارب [illegible] قبله الله [illegible]

وهلك [illegible] عن المعركة وبعد الله [illegible] والانصار جميعهم بخير ومن روس دار حامد قتلوا

[illegible] الترك ارسلت [illegible]

[illegible] ابو بكر راس الفساد [illegible] الواردة لهم من الترك

خليفة المهدي عليه السلام [illegible] وعبد الرحمن الخليفة [illegible] الحرازة [illegible] فيه [illegible]

لا [illegible] اعداء الله [illegible] على ساق محاصرة بقعة الابيض وقطع الطرق [illegible]

[illegible] هذا الامر [illegible] الافكار فلذا [illegible] المذكورين

[illegible] الواردة لهم من الترك [illegible] المتعبدة [illegible]

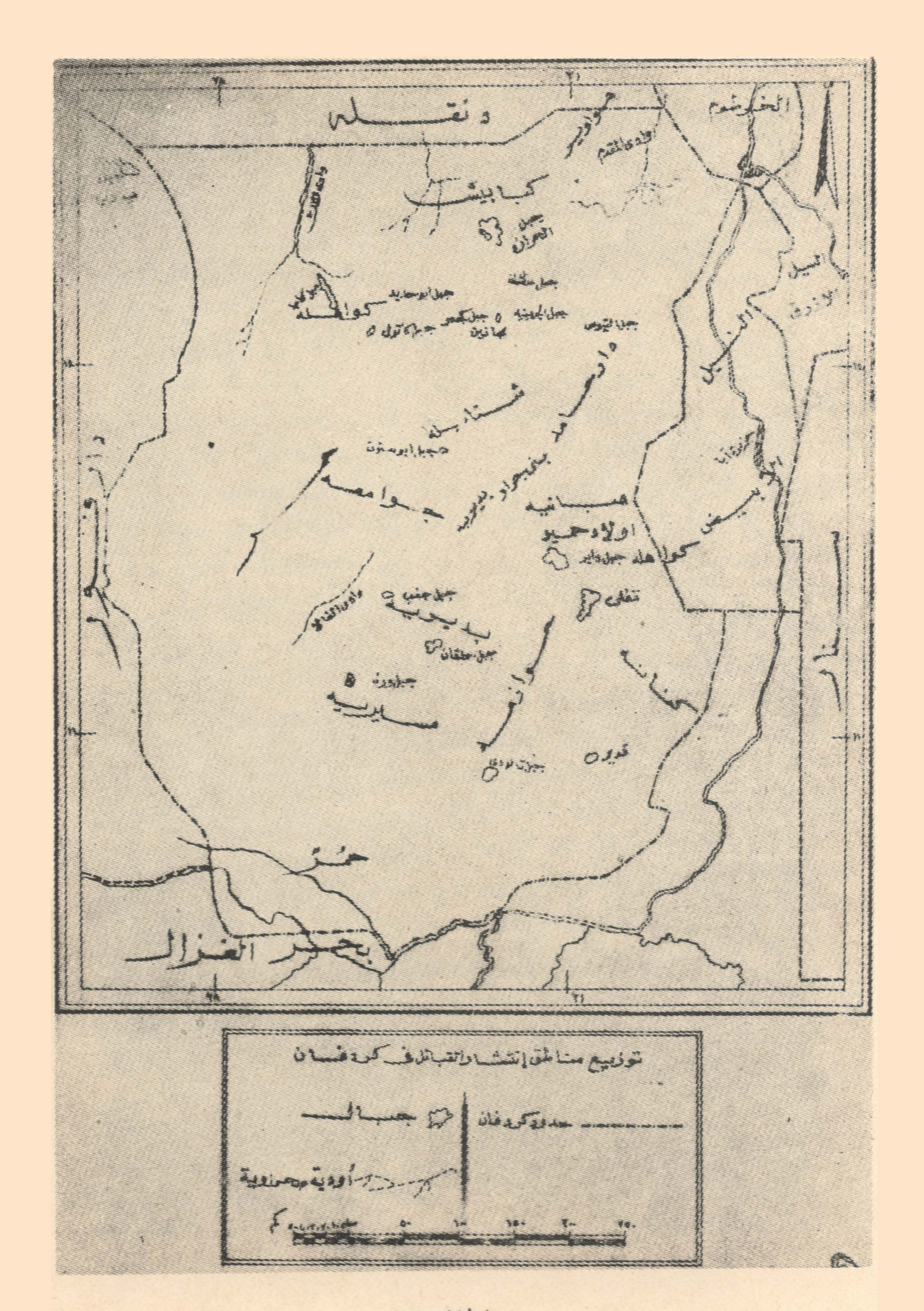
بقعة الابيض [illegible] الانصار [illegible]

[illegible] اشاعة [illegible] الله [illegible]

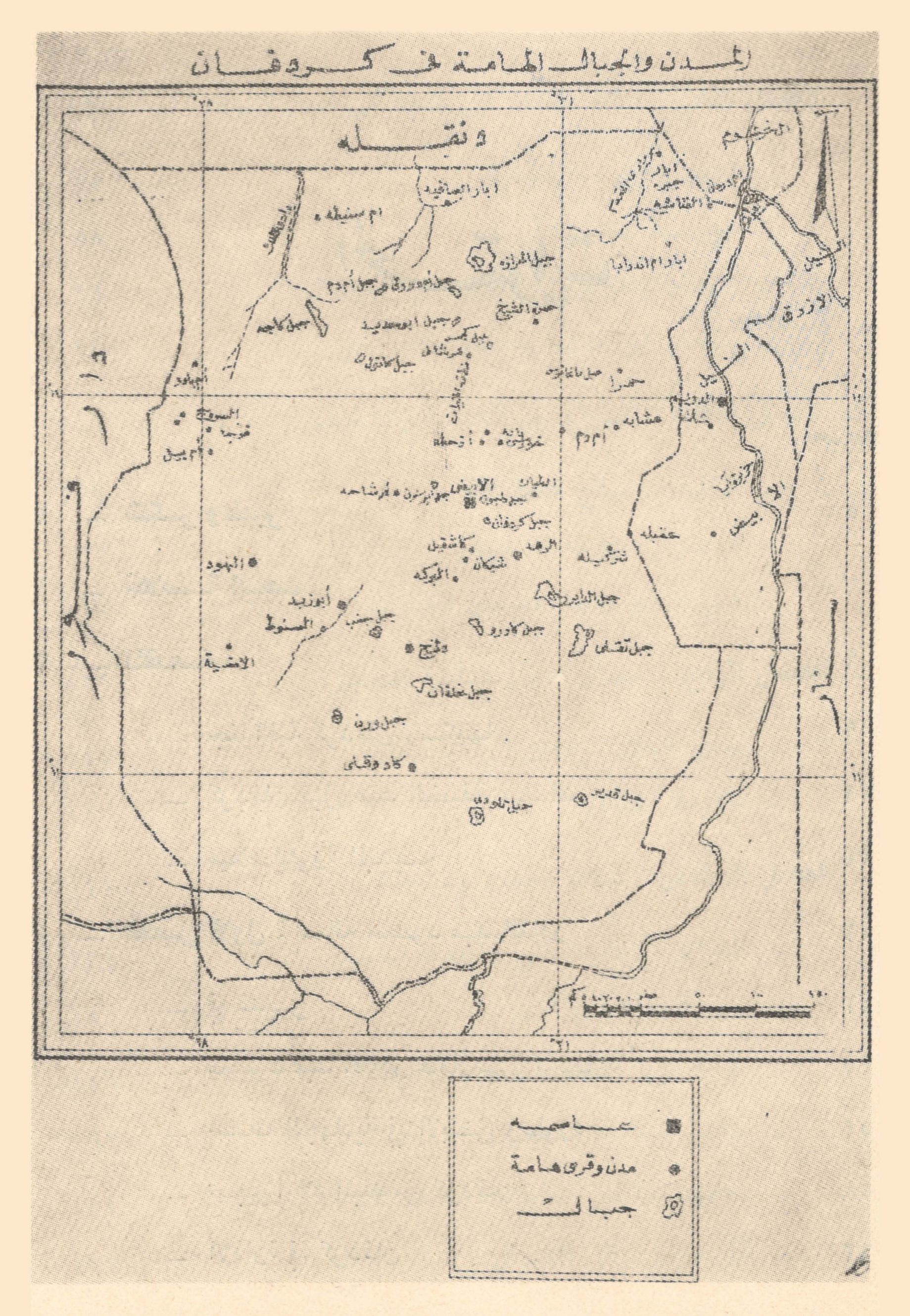
فلذا ارسلنا [illegible] ابو بكر [illegible]

[illegible]

[illegible]



دنقلة
الخرطوم
كبابيش
جبل أبو حديد
كواهلة
شنابلة
جوامعة
حوازمة
مسيرية
حمر
بحر الغزال
النيل الأبيض
توزيع مناطق إنتشار القبائل في كردفان
حدود كردفان
جبال
أودية موسمية
كم


المدن والجبال الهامة فى كردفان
دنقله
ام سنيطه
حمرة الشيخ
جبل كاجه
ام روابه
اعشابه
الابيض
جبل كردفان
الرهد
شيكان
البركه
كازقيل
النهود
أبوزبد
السنوط
الأضية
جبل الداير
جبل كادرو
الدلنج
جبل تقلى
جبل خلفان
جبل ورن
كادوقلى
جبل تلودى
الدويم
الخرطوم
عاصمة
مدن وقرى هامة
جبال

هذا الفهرس تفاعلي، يمكنك الضغط على أي باب أو فصل للانتقال عليه

المحتويات

صفحة

صفحة

صفحة

كتب صدرت عن المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون

١ ـ **رواية الفراغ العريض**	تأليف ملكة الدار محمد
٢ ـ **سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي**	تحقيق الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم
٣ ـ **الادب السوداني وما يجب أن يكون عليه**	تأليف حمزة الملك طنبل
٤ ـ **قصائد من شعراء المهدية**	جمع وتحقيق قرشي محمد حسن
٥ ـ **تاريخ كردفان السياسي في عهد المهدية**	عوض عبد الهادي العطا
٦ ـ **مشاعر انسان ((شعر))**	العوض أحمد الحسين
٧ ـ **الناصر قريب الله : حياته وشعره**	دراسة اعداد فاطمة القاسم شداد
٨ ـ **لحن وقلب ((شعر))**	مصطفى طيب الاسماء
٩ ـ **ظلال وعيون ((شعر))**	مختار محمد مختار
١٠ ـ **في أودية الغربة ((شعر))**	فضيلي جماع
١١ ـ **أصول الشعر السوداني**	تأليف عبد الهادي الصديق